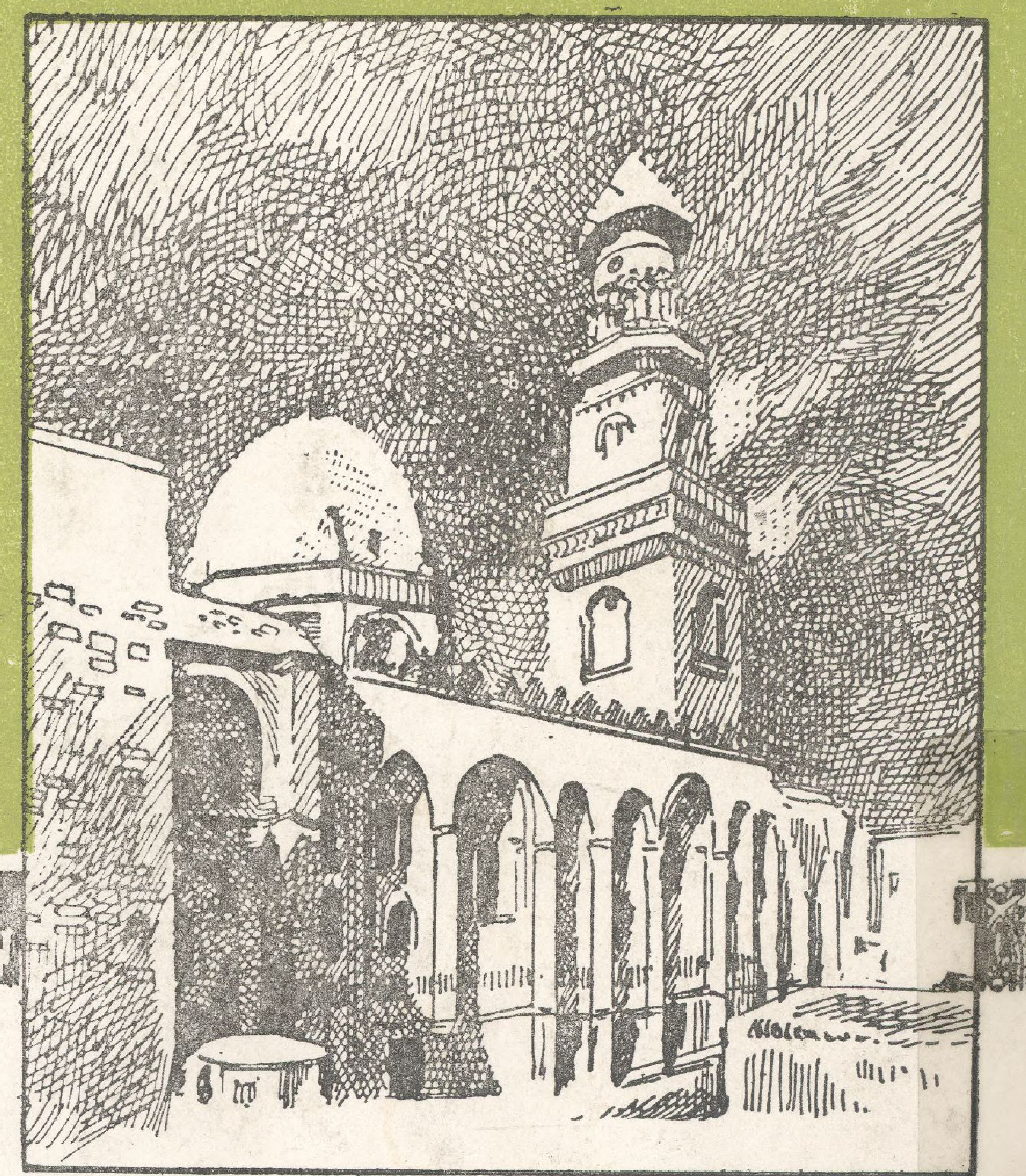
نُظُم

دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر

دراسة شاملة لنظم البلاط ورسومه



تأليف

الدكتور عبد المنعم ماجد
استاذ التاريخ الاسلامى ومدير
مركز الدراسات البردية
جامعة عين شمس

إهـــــداء2005

أ/إبراهيم منصور غنيم

القاهرة

نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر

دراسة شاملة لنظم البلاط ورسومه

٢

تأليف

دكتور عبد المنعم ماجد

أستاذ التاريخ الاسلامى ومدير مركز
الدراسات البردية بجامعة عين شمس

الطبعة الثانية
منقحة
١٩٨٢

الناشر
مكتبة الانجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد
القاهرة

برنامج الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

تناول الجزء الأول دراسة النظم السياسية لدولة سلاطين المماليك ، التى حكمت فى مصر من ٦٤٨ إلى ٩٢٣ ﻫ (١٢٥٠ — ١٥١٧ م) ، أى زهاء ثلاثة قرون ، إلى وقت مجىء العثمانيين . حقاً إن المماليك كانوا من الأرقاء ؛ إلا أنهم نظموا أنفسهم على أساس طبقة مترابطة ؛ فى دولة منظمة فى علاقتها بعضها مع بعض ، ومع المحكومين .

وهذا الجزء الثانى يستكمل هذه النظم السياسية بدراسة نظم بلاط سلاطين المماليك ورسومه فى مصر ؛ وهى دراسة لم تظهر مفصلة إطلاقاً فى أى مصدر قديم أو مرجع حديث . فهذا البحث سجل لنظم بلاطهم وأعياده الرسمية ، التى تميز بها عن أى بلاط آخر ظهر فى مصر الإسلامية ، أو عن أى بلاط غيره من بلاط الدول الإسلامية الأخرى . يضاف إلى ذلك ؛ أنه سجل لأعياد خاصة بالمماليك كطبقة متميزة فى المجتمع المصرى ، ولأعياد قبطية ، كان يحتفل بها شعبياً ورسمياً ؛ إذ القبط جزء دائم من شعب مصر الإسلامية .

وعلى الرغم من قلة ما ورد عن نظم بلاط سلاطين المماليك ورسومهم ؛ إلا أنه بتقصى التعبيرات الإصطلاحية — ومعظمها فارسى وتركى وعربى — تمكنا من أن نرسم لها لوحة مميزة ؛ فهذه التعبيرات عندنا بمثابة العمد ، التى

تدل على نظم بلاط المماليك ورسومهم . وقد محصنا ماوجدناه عنهما ؛ لنخرج منه خلاصة علمية ، عرضناها فى قالب منهجى دقيق ؛ والله ولى التوفيق .

تصدير الطبعة الثانية

لقد أصبحت هذه الدراسات الخاصة؛تلاقى الاهتمام الزائد من قبل الباحثين؛ وهى التى استمدت مادتها الأساسية من مصادر معاصرة موثوق بها ، ولاشك أن مصر فى الحقبة المملوكية كان لها الريادة الحضارية ، فرسوم بلاط دولة سلاطين المماليك وأعيادها ؛هى قمة فى الأبهة والدقة ، التى تليق بشعب مصر الأصيل ، وحضارته عبر العصور .

(*) المؤلف

ماجد

(*) كل نسخة مبيعة تكون ممضاة من المؤلف .

الكتاب الثاني

الفصل الأول

نظام البلاط

كان سلاطين المماليك — مثل الأيوبيين — قد جعلوا مركز بلاطهم القلعة فى القاهرة ، أو ما يُعرف بقلعة الجبل ؛ لوقوعها على جبل المقطم . وهى التى بدىء فى بنائها فى عهد صلاح الدين على يد بهاء الدين قراقوش فى سنة ١١٧٦/٥٧٢[1] — وهو خصىّ أبيض من أتباعه — وتمت فى عهد خلفه وحفيده السلطان الكامل فى سنة ١٢٠٧/٦٠٤ ؛ ومنذئذ أصبحت مقراً للسلاطين الأيوبيين ، ومن بعدهم المماليك . وقبل إتمام بناء هذه القلعة كان سلاطين الأيوبيين يقيمون بدار الوزارة الكبرى[2] ، التى بنيت فى عهد الفاطميين ، جرياً على السنة التى استنها صلاح الدين ، الذى رفض أن

---

(١) منها : الخطط ، ٣ ص ٣٣٠ ؛ عبد اللطيف البغدادى ، كتاب الإفادة والإعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، القاهرة ١٢٨٦ هـ ، ص ٢٣ ؛ Répertoire, t9,p.123-4 ؛ انظر . Casanova: Histoire et description de la Citadelle du Caire. M.M.A.F. tVI, p. 569-70.

يبين النقش الذى وجد على بلاطة بداخلها أن صلاح الدين أمر بإنشائها فى سنة ١١٨٣/٥٧٩ ، وهو بالأحرى تاريخ يدل على أن قدراً كبيراً منها قد أنجز بناؤه فى هذه السنة . أنظر أيضاً ملاحظتنا فى كتابنا : الناصر صلاح الدين الأيوبى ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ١٠٣ — ١٠٤ .

(٢) الخطط ، ٢ ص ٣٠١ — ٣٠٢ ، ٣ ص ٣٣٠ ؛ انظر . Ravaisse : Essai sur l'histoire et sur la topographie du Caire d'après Maqrîzî. M. M. A. F. Paris, 1887, t3, 2ème partie, p. 50;63.

كانت هذه الدار يقال لها الدار الأفضلية نسبة إلى الوزير الفاطمى الأفضل (ت ٥١٥ / ١١٢٢) ، التى بناها . وكان هناك دار وزارة أخرى أنشأها الوزير الفاطمى ابن كلس أيام العزيز (ت ٣٨١/٩٩١) ، ثم تحولت إلى مصنع للحرير « دار ديباج » . أيضاً ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، ١ ص ٩١ وهامش (٦) .

يكون له بلاط فى قصر ملكى . فبقيت دار الوزارة هذه إلى وقت ظهور المماليك ، وسُميت : الدار السلطانية ، وجُعلت منزلاً لضيوف الدولة الكبار من الملوك والرسل .

وقد سار سلاطين المماليك على سنة سلاطين الأيوبيين فى سكنى قلعة الجبل ، على الرغم من أنهم كانوا أصلاً يسكنون فى قلعة أخرى فى جزيرة الروضة[١] ، على النيل ، بين مصر والجيزة ، حيث أقام فيها الملك الصالح نجم الدين قلعة لمماليكه، وأقام فيها معهم وقتاً[٢] ، ثم قضى هؤلاء على سادتهم الأيوبيين وتولوا الحكم بعدهم ، وسُموا بسبب سكناهم فى قلعة هذه الجزيرة : البحرية[٣] ، نسبة إلى البحر ، الذى هو النيل . وحتى بيبرس ، الذى يُعتبر المؤسس الحقيقى لدولة المماليك البحرية لم يسكن قلعة الروضة ، على الرغم من أنه نفسه قد زاد فى عدد بروج قلعة الروضة — وهى الأماكن الحصينة — وفرّق هذه البروج على جميع الأمراء وسلّمهم مفاتيحها ، ورسم أن تكون سكناهم ، وسكنى أجنادهم فيها ، وحتى اصطبلاتهم[٤]. ولكن قلعة الروضة خُرّبت بعد بيبرس ، مما جعل المماليك البحرية تنتقل منها ؛ حيث سكن بعضهم مع السلاطين فى قلعة الجبل . كذلك بقيت قلعة الجبل مقراً لبلاط سلاطين الجراكسة ، الذين تولوا بعد البحرية ، حيث كانوا من مماليك هؤلاء ، ويسكنون فى بروج هذه القلعة ؛ فعرفت دولة الجراكسة أيضاً بسبب سكنى هذه البروج : البرجية[٥] . ولا ريب أن سلاطين المماليك البحرية والبرجية ، قد زادوا فى قلعة جبل المقطم مبانى متعددة ، مما هيأ لبلاطهم فيها البذخ والترف .

---

(١) الخطط ، ٣ ص ٢٨٩ .

(٢) نفسه ، ٣ ص ٢٩٢ وما بعدها .

(٣) نفسه ، ٣ ص ٣٨٤ س ٢٦ .

(٤) نفسه ، ٣ ص ٢٩٩ س ٢١ وما بعدها .

(٥) نفسه ، ٣ ص ٣٤٨ س ١٢ — ١٣ ، ٣٩١ .

حقاً إن مصر قد عرفت قبل المماليك عظمة بلاط الفاطميين ، ومن بعدهم الأيوبيين ؛ إلا أن بلاط المماليك فاق كل ما عُرف قبله ، حتى وُصف بأن ليس له نظير[١] . فقد أصبحت مصر في عهد المماليك بعد أن انتقلت إليها الخلافة العباسية بسبب استيلاء المغول الوثنيين على العراق ، مركز العروبة والإسلام وقتذاك ؛ وبخاصة أنه لم يعد في بلاد الاسلام أي خلافة غيرها ، بعد زوال خلافة الأمويين في قرطبة ، وخلافة الشيعة في القاهرة — على يد الأيوبيين — ، وحتى خلافة الموحدين في المغرب ؛ لذلك منح المماليك بلاطهم في القاهرة الترف البالغ ، الذي يليق بمركز بلادهم ؛ التي امتدت حتى لامست العراق ، وسيطرت على الجزيرة العربية .

هذه القلعة[٢] ، مركز البلاط المملوكي — ومن قبل البلاط الأيوبي — بُنيت على نشز مرتفع من قبل المقطم ، من الحجر الأسود والأصفر ، الذي أُتي به من أهرامات مصر الصغيرة أو نحت من الصخور ، وقد أحيطت بسور وخندق وأبراج ، وكان لها عدة أبواب ، منها : بابها الأعظم المواجه القاهرة ، ويقال له الباب المدرج ، وباب آخر مواجه القرافة أو المقابر .

وكانت تشتمل على ما كان يشتمل عليه أي بلاط إسلامي باذخ آخر . ففيها عدة قصور عظيمة ، شُبهت بأجنحة تطل على القاهرة[٣] ، بُنيت في عهد سلاطين مختلفين ، نذكر منهـــا : القصر الكبير[٤] ، والقصر الأسود

---

(١) زبدة ، ص ٢٦ .

(٢) نفسه ، ص ٢٦—٢٧ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى (اعتمدنا على الطبعة الثانية) ، ٣ ص ٣٦٨ وما بعدها ، الخطط ، ٣ ص ٣٢٧ وما بعدها ؛ وأيضاً :

Ency. de l'Isl, (art Le Caire) tI, p. 843.

(٣) أنظر . Relationi del S. Pietro Martire milanese. Delle cose notabili della provincia dell' Egitto scritte in lingua latina. Venezia, 1564, p. 277.

(٤) ابن إياس ، ٢ ص ٢٤ ..

الأبيض[١] ، والقصور الجوانية وعددها ثلاثة[٢] ، والقصر الأبلق[٣] ، والقصر المعروف بالأشرفية[٤] . وفيها دور خاصة بالحريم ، سميت آدر الحريم أو الآدر الشريفة أو السلطانية[٥] ، وكان يوجد مثلها فى أيام الأيوبيين . وفيها مساكن للمماليك السلطانية وأمرائهم بنسائهم وأولادهم، ولعلها فى الأبراج التى سميت بأسماء ، مثل : البرج الأحمر[٦] . وفيها حوانيت ، وأسواق ، وميادين ، وملاعب ، وأحواش ، واصطبلات ، وساحات للحيوانات البديعة والأبقار والأغنام والطيور والدواجن . وفيها أبنية متعددة لخزن ما يحتاج إليه سكان القلعة ، وأبهة السلاطين . وأخيراً يوجد فيها ما يوجد فى كل مدينة إسلامية من مساجد ومصليات وحمامات ومدارس ، وحتى سجون .

ومع أن القلعة فى وقت الايوبيين ، كانت تستمد ماءها[٧] من بئر عميقة حفرها قراقوش ؛ حيث كان ينزل إليها بثلثمائة درجة ، ومن حوض ماء ، مصنع ، بناه بيبرس تحتها ؛ فإنها فى عهد الناصر محمد كانت تستمد ماءها من النيل مباشرة ؛ حيث حفرت بئران عميقتان على ساحله ،

---

(١) أنظر: Sauvaget : La poste, p. 45.

(٢) الخطط ، ٣ ص ٣٣٢ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ س ١٣ .

(٣) بنى فى ٧١٣/١٣١٣ ، وانتهى من بنائه فى ٧١٤ / ١٣١٤ . نفسه ، ٣ ص ٣٣٢ س ١٨ ، ٣٤٠ — ٣٤١ . يقول ابن شاهين إن به ثلاثة قصور : زبدة ، ص ٢٦ .

(٤) الخطط ، ٣ ص ٣٤٣ . بناه الأشرف خليل فى عام ٦٩٢/١٢٩٣ .

(٥) نفسه ، ٣ ص ٣٣١ ، زبدة ، ص ١٢١ ؛ صبح ، ٣ ص ٣٦٨ . بنيت فى عام ٦٠٤/١٢٠٧ .

(٦) الخطط ، ٣ ص ٣٣٢ س ٢ .

(٧) نفسه ، ٣ ص ٣٣٢ ، ٣٤١ ، ٣٧٣ — ٣٧٤ : كذلك بذلت محاولات عديدة لإيصال المياه من النيل عن طريق حفر الخلجان ، حتى إن أحدها كان يحتاج عشر سنوات لعمله ؛ ولكنه لم ينجز .

رُكبت عليها السواقى أو الدواليب ، التى تديرها الأبقار ، فتنقل المياه إلى قناطر فى سور القاهرة ومصر ، والقناطر العتيقة التى بُنيت من أيام الطولونيين ، حتى تصل المياه إلى القلعة ، فتدخل إلى القصور وإلى دور الأمراء . وهذه الدواليب أُعتبرت من عجائب الدنيا ، إذ أن المياه ترتفع أكثر من خمسمائة ذراع .

☆

وتطلب القيام بأعمال البلاط فى قصر المماليك وجود عدد كبير من الأشخاص ، الذين يقومون بالأعمال المختلفة فيه ، فضلاً عن أعداد كبيرة من النساء والجوارى ؛ كما كان يعج بأصناف عديدة من الموظفين ، لم تظهر من قبل فى أى بلاط إسلامى سابق قبلهم . ومع هذا لم يُخلق التعقيد فى القيام بأعمال البلاط المملوكى فجأة ؛ وإنما هو إرث عن بلاط حكام مصر قبلهم ، ولا سيما بلاط الفاطميين ؛ كما أتى بعضه من مصادر متعددة من خارج مصر ، أو أنه أتى نتيجة لتطور بطىء خلال حكم المماليك فى مصر .

وعلى عكس البلاط فى عهد الفاطميين ؛ حيث أن غالبية من كانوا يعملون فيه من جنس الصقالبة الذين يُشترون من أوربا الشرقية[1] ، أو من جنس السود الذين يؤتى بهم من قارة أفريقيا ، فإن قصر سلاطين الأيوبيين ، ومن بعدهم المماليك ، كانت غالبية العاملين فيه من جنس الترك ، الذين يُؤتى بهم من بلاد الشرق ؛ حيث كان الترك فى آسيا يبيعون عموماً ذكور أولادهم وإناثهم[2] ؛ فضلاً عن أن سلاطين المماليك أنفسهم من الترك ، عملوا على استيراد المماليك من جنسهم . كذلك وجدت فى بلاط سلاطين المماليك أجناس أخرى جُلبت من مناطق متعددة ؛ إذ كانت بيزنطة ومدن

(١) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، تحقيق de Goeje ، ص ٢٤٢ ؛ صبح ، ٣ ص ٤٨١ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١١ .
(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٣٧٩ س ١٢ .

إيطالية ، لها مستعمرات على البحر الأسود ، قد تخصصت فى بيع المماليك من الجورجيين واللان والأرمن ، وحتى من الأوربيين[1] اليونان والسلاف والبُلغار والصرب والألبانيين ؛ حتى أن البابوية هددتهم بعقاب الدنيا الآخرة .

وتميّزت فى بلاط المماليك — كما فى جميع بلاط دول العصور الوسطى — طبقة تُعرف باسم : الحواشى أو الخواص أو حتى الخاصكية[2] — وهذه الأخيرة كلمة من أصل عربى ، مع تصغير فارسى — تكوّن بطانة السلطان . فكان من أفرادها من يصل إلى مرتبة الأمراء ، على حسب درجاتهم المتنوعة[3] — كما فى جيش المماليك — من أمراء المئين أو المقدمين والطبلخانات والعشروات أو غيرهم ؛ وهى درجات تتميّز على حسب ما يملكه كل أمير من أعداد المماليك أو بعلامات تشريفية : فأمراء المئين أو المقدمين يملك الواحد منهم مائة مملوك أو أكثر ، وأمراء الطبلخانات لهم الحق فى دق الطبول وغيرها من الآلات فى المواكب السلطانية ، كما يسمون بعدد المماليك الذين يملكونهم ، فسموا أمراء ثمانين وسبعين وأقلهم أربعين ، وأمراء العشرات فهم الذين يكون لهم عشرة مماليك أو أقل .

---

(١) الخطط ، ٣ ص ٣٤٨ س ١٦ ؛ Heyd :
Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, p. 443,560;
، ماجد ، نظم المماليك ، ١ ص ١٢ وهامش .

(٢) الخطط ، ٣ ص ٣٣٢ س ٢٦ ، ٣٣٣ س ١ — ٢ ، ٣٤١ س ٨ — ٩ ، ٣٥٣ — ٣٥٤ ، ٣٦٦ س ٦ ؛ زبدة ، ص ١١٥ — ١١٦ ؛ القصد ، ورقة ١٢٣ .
عنها ، انظر . Dozy : Suppl, I; p. 346 . مفردها « خاصكى » ؛ وإن كنا لا نوافق على شرح « Dozy » لها ، بأنهم جماعة يشاركون وحدته ، كذا نشير أن الخاصكية يقابلها « الفرجية » . بعامة ، انظر . Johnson :
Dict. Pers. Arabic and English London 1852, p. 503.

(٣) صبح ، ٣ ص ٢٧٢ ، انظر . نظم المماليك ، ١ ص ١٤٥ — ١٤٧ لهوامش :

فكان من هؤلاء الأمراء من هو صاحب وظيفة في البلاط — حيث صار أمراء المئين أو المقدمين أصحاب الوظائف في البلاط منهم يتسمون : الأمراء المقدمين أرباب الوظائف[1] — أو ليس له وظيفة ، وإنما ينتدب لمهمات أخرى[2] . وقد بلغ عددهم في أول عهد الدولة أربعين[3] ، وإن زادوا حتى صاروا ألفاً ومائتي خاصكي في آخر عهد سلاطين الجراكسة[4] ؛ مما يؤكد أن التعقيد في وظائف البلاط المملوكي تطور في زمن حكم المماليك أيضاً . فكان هؤلاء الحواشي ، يتميزون بزي خاص ، فيلبسون الملابس المزركشة الجميلة[5] .

*

وكان العمل في بلاط سلطان المماليك — كما في بلاط الفاطميين والأيوبيين في مصر ، أو في أي بلاط إسلامي آخر — موزعاً بين عدد من البيوت أو الدور تعرف باسم : « خانات » جمع « خاناه »[6] — وهو اسم فارسي غلب عليها — أو حتى : « خزائن » جمع « خزانة » ، وهي أماكن واسعة توجد في القلعة ، تستخدم إما في خزن البضائع ، أو في صنع الأشياء . والواقع إن القلعة لم تكن تحتوي فقط على بيوت السلطان

---

(١) ابن إياس ، ٣ ص ٢ .

(٢) نفسه ، ٣ ص ٣ ، زبدة ، ص ١١٦ س ٣ — ٤ .

(٣) زبدة ، ص ١١٦ س — ٢ . وذلك في أيام الناصر محمد بن قلاوون .

(٤) وذلك في أيام قانصوة الغوري . ابن إياس ، ٣ ص ٤ س١٩ . ولدينا أعداد أخرى لهم ، فهم في زمن الأشرف برسباي نحو ألف خاصكياً . زبدة ، ص ١١٦ س ٣ . كذلك في عهد شيخ ، أنقص هذا السلطان عددهم من ألف إلى ثمانين . ابن تغري بردي (P) ، ٦ ص ٤٢٩ .

(٥) المقصد ، ورقة ١٢٣ ب .

(٦) الخطط ، ٣ ص ٣٢٣ س ٦ — ٧ ؛ صبح ، ٤ ص ٩ ؛ انظر . Johnson :
Dict. Persian Arabic and English. London, 1852, p. 506.

وحده ، بل أيضاً على بيوت الحاشية ، ولا سيما الخواص من أمرائه[١] . فكانت هذه توصف بالكريمة ، بينما بيوت السلطان توصف بالشريفة[٢] .

وقد تعددت البيوت فى عهد المماليك بشكل لم يعرف قبلاً ؛ وإن وُجد لها مثيل فى عهد الفاطميين والأيوبيين . وبينما كانت أسماؤها عربية فى عهد الفاطميين[٣] ، أصبحت أغلب أسمائها عربية بتحريف فارسى أو تركى فى عهد المماليك ، وربما كان بدء ظهورها فى عهد الأيوبيين[٤] ؛ فقد وجد بعضها من عهدهم . ولا نستطيع أن نجزم بأن بيوت سلاطين المماليك ظهرت كلها دفعة واحدة ؛ وربما كان كل سلطان يضيف إليها ما يريد .

وبلغت هذه البيوت درجة كبيرة من الغنى ؛ لا تقل عمّا كانت عليه فى بلاط مصر قبلهم ، بل فاقتها فى غناها . ولقد أصبح غناها الفاحش منبعاً للخيال فى قصص ألف ليلة وليلة ، التى ظهرت فى وقت المماليك . فكان غناها يتمثل فيما جمعه السلاطين من أشياء جُلبت من جميع بقاع الأرض ، وفيما صنعوه فى مصر . ولا غرو فمصر مشهورة منذ عهد الفراعنة بغناها الفاحش ؛ ولكن الغنى الخيالى لسلاطين المماليك وأمرائهم[٥] ، أتى على الخصوص من الإقطاعات التى استولوا عليها ؛ فضلاً عن الاشتغال بالتجارة الداخلية أو الخارجية ، حتى أن السلطان نفسه كان يحتكر بعض أصنافها ، وله جماعة تُعرف بتجار السلطان[٦] .

---

(١) نفسه ، ٣ ص ٣٣٣ س ١ — ٤ ؛ نفسه ، ٤ ص ٦٠ .

(٢) صبح ، ٤ ص ٦٠ .

(٣) أنظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، الجزء الثانى .

(٤) عماد الأصفهانى ، كتاب الفتح القسى فى الفتح القدسى ، مصر ١٣٢١ هـ ، ص ١٢٤ .

(٥) مثلاً ، انظر . تركة الأمير سلار (ت ٧١٠/١٣١٠) ، التى احتوت على مجوهرات ومصاغ وتحف نادرة . ابن اياس ، ١ ص ١٥٥ — ١٥٦ .

(٦) حوادث ، ص ٢٧٠ ، ٣٢٦ ؛ زبدة ، ص ١٠٨ ؛ للمقريزى ، سلوك ، مخطوط دار الكتب برقم ٣٣٣٧ ، ٤ ورقة ٥٩٢ ؛ صبح ، ٨ ص ٦٧ ، ٧٧ ؛ وقبله : نظم المماليك ، ١ ص ٧٩ — ٨٠ .

وكان يشرف على هذه البيوت عدة موظفين يتفاوتون فى درجاتهم ، كما وُجد موظفون مماثلون لبيوت خواص الأمراء[١] . فيأتى فى مقدمتهم موظف كبير اسمه : « الإستدار » ، ووظيفته تسمى : «الإستدارية[٢] » ، له التصرف التام فى استدعاء ما يحتاج إليه كل بيت من بيوت السلطان ، وربما وصل عددهم إلى أربعة[٣] ، يوزعين فى أعمالهم على البيوت ، يرأسهم من يسمى : « إستدار العالية[٤] » . كذلك كان يعاونه موظفون كبار يتصرفون فى الوارد والمنصرف إلى البيوت ، يسمى الواحد منهم :

---

(١) الخطط ، ٢ ص ٢٢٢ س ١ — ٤ .

(٢) نفسه ، ٢ ص ٢٦١ ؛ صبح ، ٤ ص ٢٠ ، ٣١ ، ٥ ص ٤٥٧ ؛ ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩٤ ؛ المقصد ، ورقة ١٢٦ ا ؛ Corpus I, p. 188 ؛ انظر . Dozy : Suppl, I, p. 21 ؛ Quat : Sult,. I, p. 26 (n). ؛ Demomb. : Syrie. LX—LXI . يقول الخالدى كما يقول القلقشندى إنه من الخطأ تسميته أستاذ الدار أو استادار ، بمعنى سيد الدار ؛ فكلمة إستدار هى لفظ فارسى مركب من استد ومعناها الأخذ ، أو من اصطان وهى عامية ، معروفة فى مصر بالأعطى (المقدمة ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢) ، ودار ومعناها ممسك ؛ بمعنى المتحدث فى البيوت السلطانية . كذلك هى كلمة مختلفة عن : الأستاذين ، جمع « أستاذ » ، المستعملة فى العصر الفاطمى — وهى أيضاً من أصل فارسى ، تعنى : « عريف أو سيد أو معلم » — فكانت تعنى عبيد القصر الفاطمى . عن ذلك ، انظر . صبح ، ٣ ص ٤٨١ ؛ ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١١ — ١٢ وهامش . ومع هذا ؛ فإن كثيراً من المصادر المملوكية السابقة — بما فيها القلقشندى نفسه — يذكرها بلفظة « استادار » ؛ تحريفاً عن كلمة « أستاذ » الفارسية ؛ وإن كنا نؤيد الخالدى الذى كان أحد رجال الدواوين ، ومطلعاً على شئون الدولة ؛ كما أن وظيفة الإستدار فى عهد المماليك لم توجد فى عهد الفاطميين ؛ وإن وجدت فى أيام الأيوبيين . أنظر . حسن المحاضرة ، ٢ ص ٩٨ .

(٣) صبح ، ٤ ص ٢٠ .

(٤) ابن إياس ، ٢ ص ٢٩ (فى آخر الصفحة) .

«خازندار أوخزندار[١]» ، وهم أنواع منهم : خزندار الصنف الذى يشرف على الطراز أى صنع الملابس الرسمية، وخزندار العين على الجواهر الثمينة ، وخزندار الكيس على مال الصدقة أثناء المواكب على الخصوص ، يرأسهم جميعاً : «خزندار كبير» ، ووظيفته : «خزندارية الكبرى» . كما كان يتبع الإستدار موظف ، اصله مدنى ، اسمه : «ناظر البيوت» وعمله : «نظر البيوت[٢]» ؛ إذ يوصف بأنه مساعد له ، وينظر معه فى جميع عمله .

ويوجد لكل بيت موظفون خصوصيون ، من طبقة المماليك وغيرهم ، منهم : «المِهتار[٣]» — الجمع المهتارية أو المهاترة — وهو رئيس البيت ، و «الغلمان أو غلمان البيوت[٤]» ، وهم الفراشون أو الصنّاع المختصون بالبيوت ، ولهؤلاء أسماء متنوعة على حسب نوع عملهم فيها ، و «الناظر»[٥] ، و «الشادّ» أو «المشدّ»[٦] ، وهم الأمناء على ما فى البيت ، و «المستوفى[٧]» ، ربما للحساب .

وسنذكر أسماء بعض البيوت السلطانية الخامة ، التى غلب عليها اسم : «خاناه» :

---

(١) صبح ، ٤ ص ٢١ ، ٥ ص ٤٦٢ — ٤٦٣ ؛ زبدة ، ص ١١٤ ، ١١٦ ؛ القصد ، ورقة ١٢٧ ؛ Corpus : I, p. 271, 273. ؛ انظر .
: Syrie, LXI et (2) : Demomb. ; Suppl, I, p. 370 : Dozy
هى كلمة عربية وفارسية .

(٢) الخطط ، ٣ ص ٣٦٤ ؛ صبح ، ٤ ص ٣١ . يقول القلقشندى نظر البيوت والحاشية .

(٣) صبح ، ٥ ص ٤٧٠ . مه بالفارسية معناها : الكبير ، وتا — بمعنى أفعل التفضيل أى الأكبر . أنظر : Dozy : Suppl, 2, p. 620.

(٤) ابن إياس ، ٣ ص ٢٣ س ١٠ — ١١ ؛ صبح ، ٥ ص ٤٧١ .

(٥) ابن إياس ، ٣ ص ٤ س ٦ ، وبعده .

(٦) نفسه ، ٢ ص ٤٠ س ٢٥ ؛ صبح ، ٤ ص ٢١ ؛ وبعده .

(٧) ابن إياس ، ٣ ص ٤ س ٧ .

الشراب خاناه أو الشربخاناه[1] ، وهى تشبه خزانة الشراب عند الفاطميين[2] ، تحتوى على أدوات الشراب النفيسة، من : أنواع الصينى الفاخر ، والشوكات ، والكيزان ، وطاسات نحاسية وغير ذلك ، كما تصنع فيها وتوضع : أنواع الأشربة ، والحلوى ، والسكر ، والفواكه ، والعطريات ، وحتى الأدوية أو العقاقير ، إذ كانت أشبه بالصيدلية الملكية ؛ فكان لذلك يطلق عليها أيضاً . الدواء خاناه[3] .

وفيها على الخصوص، يخزن الثلج[4] ، الذى يجلب من الشام إلى مصر ، بالطريق البحرى فى مراكب ، كانت ثلاثاً إلى عهد بيبرس ، ثم صارت إحدى عشرة مركباً ، وهى تأتى فى البحر إلى دمياط ، وتنقل فى النيل إلى بولاق ، ثم تحمل على البغال إلى الشراب خاناه ، حيث تخزن فى صهريج . كذلك كان الثلج يجلب أيضاً عن طريق البر من الشام إلى العريش ، فتحمله الهجين من دواب البريد الحكومى ؛ وقد أصبح عدد النقلات البرية إحدى وسبعين نقلة فى العام . فكان الذى يشرف على نقل الثلج ، وتخزينه فى الشراب خاناه يسمون : الثلاجين ، جمع ثلاج .

فكان من يعملون تحت رئاسة المهتار - رئيس البيت - من الغلمان

---

(١) صبح ، ٤ س ١٠ ؛ زبدة ، ص ١٢٤ ؛ النويرى ، نهاية ، ٨ ص ٢٢٤-٢٢٥ ؛ المقصد ، ورقة ١٧٩ .

(٢) صبح ، ٣ ص ٤٧٢ .   (٣) الخطط ، ٣ ص ٣٢٥ س ٢٥ .

(٤) صبح ، ١٤ س ٣٩٥ — ٣٩٧ ؛ زبدة ، ص ١١٧ — ١١٨ . من الطريف أن نشير أن استخدام الثلج كان منذ الأمويين . كذلك الفاطميون قبل المماليك استعملوا الثلج على موائدهم ، وأنهم يصرفون لأكابر دولتهم رواتب منه ، كما أرسلوه مع الحجاج فى مكة ، وفى ساحات القتال . أنظر . ناصر خسرو ، سفرنامة ، ترجمة الخشاب ، ط ١ ، القاهرة ١٣٦٤/١٩٤٥ ، ص ٦٤ ؛ ابن تغرى بردى ، تحقيق Popper ، ٢ ص ١٥ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١٠٢ وهامش (٤) . ويذكر أحد المستشرقين أنه اطلع على مخطوط قديم ، يظهر فيه أن العرب كانوا يصنعون الثلج . أنظر . Risler . La Civilisation Arabe. Paris, 1955, p. 160.

يسمّون : الشراب دار أو شربدارية[١] ، وهم الذين يكونون مسئولين عمّا فيها ، كما يوجد فيها أيضاً الشاد أو مشد الشراب خاناه ، وهو الأمين على ما فيها ، حتى أنه كان يُختار من بين الأمراء[٢] المماليك .

الطشت أو الطست خاناه أو الطشتخاناه[٣] ، وهى التى سُميت بيت الطشت فى أيام الأيوبيين[٤] ، وكانت تشبه خزانة الكسوة الباطنة فى أيام الفاطميين[٥] ، وذلك لوجود ثياب السلطان الداخلية « البياض » ، الذى لابد له من الغسل . فكان يوجد فيها أدوات غسل الملابس الخاصة بالسلطان والساكنين فى القلعة ، مثل : الطشوت أو الطسوت والأبارق وغير ذلك .

وفيها يوجد كل ما يتعلق بالحمامات ، مثل : الساخانات ، والوقود ، والمباخر ، وأنواع البخور ، والطاسات ، والمناشف وفوط الخدمة ، ومقاعد الجلوس ، والوسائد « النمرقات » ، والستائر ، وبسط الصوف « اللبابيد » ، والسجادات .

فكان من يعملون فيها تحت رئاسة المهتار من الغلمان يسمون : طشت دارية أو طشتدارية أى الغسالين[٦] ، والرختوانية[٧]

---

(١) صبح ، ٥ س ٤٦٩ ؛ ابن إياس ، ٣ ص ١٢ س ٣ . دار معناها ممسك ، أى ضمناً من يختصون بالشراب .

(٢) زبدة ، ص ١١٤ ؛ صبح ، ٤ ص ٢١ ؛ ابن إياس ، ٢ ص ٤٠ س ٢٥ . يقول إنه من « أمراء الطبلخانات » .

(٣) صبح ، ٤ ص ١٠ — ١١ ؛ زبدة ، ص ١٢٤ ؛ نهاية الأرب ، ٨ ص ٢٢٥ .

(٤) الفتح القسى ، ص ١٢٤ .

(٥) صبح ، ٣ ص ٤٧٢ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١٦ — ١٧ .

(٦) صبح ، ٥ ص ٤٦٩ ، ٤٧١ ؛ انظر . Dozy : Suppl, 2, p. 44. الغلمان تطلق أيضاً على من يخدمون الخيل وغيرها .

(٧) من رخت وهى فارسية ، بمعنى قماش . صبح ، ٥ ص ٤٧١ ؛ السلوك ، ١ ص ٢٩٤ ؛ انظر . Dozy : Suppl, I, p. 518 : Quat : (40) Sult Maml, I, p. 162 ;

أى المنظفين ، وهم يشتركون فى تهيئة ما تحتاج إليه المناسبات الرسمية الكبرى . وقد أطلق على العاملين فى هذا البيت تسمية عامة : « بابا[١] » ، لعلها كلمة من أصل يونانى ، ربما للتعظيم أو للتدليل ، بسبب أنهم يمسون بأيديهم ملابس السلطان الداخلية .

الفراش خاناه[٢] ، وهى تشبه إلى حد كبير خزانة الفرش والأمتعة فى أيام الفاطميين[٣] . وفيها أنواع الخيام التى تستخدم فى الحرب والصيد والنزهة والأسفار ، منها : الملون بالأبيض والأحمر والأزرق ، المصنوع من الصوف « الجوخ » ، أو من خرق القطن الغليظ ، أو من أى قماش آخر . كما يوجد فيها ما يتعلق بهذه الخيام من فرش ، مثل الشلائت للنوم ، وهى الفرش المحشوة .

وفيها على الخصوص آلات عديدة من آلات الفرش ، التى تستخدم للقصور أو المساجد . فنذكر السجاد وما فى نوعه[٤] ، الذى أتقنت صناعته فى مصر وقت المماليك . فكان يصنع من الصوف أو الحرير أو الحصر ، ويزين برسوم وزخارف دينية ، ومن مشاهد الصيد والحدائق ، ويكون خفيفاً أو سميكاً ؛ بحيث أنه كان يوجد ما يسمى المحفور أو السميك أو ذات الخمل . وقد عرفت منه أنواع متعددة ، مثل : السجاد أو السجاجيد

---

(١) صبح ، ٥ ص ٤٧٠ .

(٢) نفسه ، ٤ ص ١١ ؛ زبدة ، ص ١٢٤ — ١٢٥ ؛ النويرى ، نهاية ، ٨ ص ٢٢٦ — ٢٧ ؛ المقصد ، ورقة ١٢١ .

(٣) الخطط ، ٢ ص ٢٦٦ وما بعدها ؛ صبح ، ٣ ص ٤٧٢ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٧٠ .

(٤) عن السجاد وما فى نوعه ، بعامة ، انظر . Wiet :
Tapis égyptiens, Arabica. Jan., 1959, Fasc. I, tVI, p. Isqq.

أو السواجيد التى تمتاز بأشكال دينية[١] ، والبسط بمعنى الكبير من بسط . أى مد ، وهى كلمة وردت فى القرآن[٢] ، والكليم وهى فارسية[٣] ، والشقق مفردها شقة[٤] ... إلى غير ذلك . وقد جمع أحد أمراء المماليك مجموعة من البسط ، بلغت حوالى مائة وثمانين زوج ، منها ما طوله من أربعين ذراعاً إلى ثلاثين ذراعاً[٥] .

فكان يُشرف عليها المهتار ، الذى تحت يده الغلمان المسمون : فراشين ، حيث كان من خبرة أحدهم أنه يستطيع أن يقيم خيمة بمفرده[٦] ، كما أن بعضهم كان يعمل فى الكنس والخدمة فى الحفلات الرسمية .

السلاح خاناه[٧] ، أو خزائن السلاح ، أو حواصل الذخيرة[٨] ، أو ما يسمى أيضاً الزَرَدخاناه[٩] ، وهذه الأخيرة تعنى مكان الزرد على الخصوص ، وهى تسمية فارسية للدروع . فكانت تشبه خزائن السلاح أو خزانة الدرق[١٠] — بمعنى الترس — فى أيام الفاطميين .

---

(١) منها خاصة ، انظر : Ency. (art Sadjdjâd) , t4, p. 47sqq .

(٢) أنظر : Dozy : Suppl, I, p.84—6 .

(٣) أنظر : Johnson : Dict. Pers, .

(٤) ابن إياس ، ١ ص ٣٠٣ ؛ النويرى ، نهاية ، ٨ ص ٢٢٥ .

(٥) الخطط ، ٣ ص ١١٧ — ١١٨ .

(٦) صبح ، ٤ ص ١١ .

(٧) نفسه ، ٤ ص ١١ — ١٢ ؛ زبدة ، ص ١٢٢ ؛ النويرى ، نهاية ، ٨ ص ٢٢٧ — ٢٢٨ ؛ القصد ، ورقة ١٢٨ أ .

(٨) ابن إياس ، ٣ ص ١٦ س ٢٨ .

(٩) صبح ، ٤ ص ١١ ؛ النجوم (P) ، ٦ ص ٢٥٦ ؛ ابن إياس ، ٣ ص ٢١ س ١٩ . عن هذه الكلمة ، انظر : Dozy : Suppl, I, p. 585.

(١٠) الخطط ، ٢ ص ٢٦٨ — ٢٦٩ ؛ انظر . ماجد . نظم الفاطميين ، ٢ ص ٢٠ — ٢١ . من كلمة درق ، انظر : Dozy : Suppl, I, p. 435 . وقد تعني أيضاً الدروع ...

فكانت السلاح خاناه التي في القلعة تصنع فيها الأسلحة ، إذ نسمع عن صناع الزرد خانة(١) ، الذين يصنعون كل صنف ، ويعملون ليل نهار « لا يبطل منهم أحد » ، وعن الزردكاشية(٢) ، جمع زردكاش ، الذين يظهر من اسمهم كأنهم صناع الزرد ، وإن كان يبدو أنهم رؤساء في هذه الخاناه ، وهم درجات من بينهم الأمراء ، الذين يصل عددهم إلى أكثر من عشرة ، يرأسهم الزردكاش الكبير ، كما يخزن فيها السلاح ، الذي صنع في أماكن أخرى(٣) ، أو حتى سلاح الأمراء المتوفين ، أو من يعتقلهم السلطان . فكان إذا جمع السلاح ، حمله الحمالون أو العتالون(٤) على رءوسهم ، وزفوه في القلعة في يوم مشهود(٥) .

فنجد فيها : « خوذات(٦) » ، ومنها الفارسية « خود » ، والعربية « بيض » ، لأن هذه الأخيرة على شكل البيض ، و « المغفر(٧) » ، وهي خوذة مسدولة على قفا اللابس وأذنيه لوقاية العنق ، و « الترس

---

(١) زبدة ، ص ١٢٢ س ١٥ — ١٦ ؛ ابن إياس ، ٣ ص ١٢١ س ٢١ .

(٢) نفسه ، ص ١١٤ هامش (١) ، ١١٥ ؛ نفسه ، ٢ ص ٤١ س ١٢ ، ٣ ص ١٢١ س ٢١ ؛ صبح ، ٤ ص ١٢ ؛ النويرى ، نهاية ، ٨ ص ٢٢٧ . هى لفظة مكونة من زرد أى درع ، وكاش وهى تحريف عربى ، بمعنى سيد . عن هذه الأخيرة ، انظر Dozy : Suppl, 2, p. 435.

(٣) زبدة ، ص ٤٠ س ٤ ؛ النويرى ، نهاية ، ٨ ص ٢٢٧ .

(٤) ابن إياس ، ٣ ص ٧ س ٦ — ٧ . عن هذه الكلمة ، انظر Dozy : Suppl, 2, p. 94 . مفردها عتال .

(٥) صبح ، ٤ ص ١٢ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ٨ ص ٢٢٧ .

(٦) النجوم (P) ، ٦ ص ٢٥٦ س ١٤ ؛ صبح ، ٢ ص ١٣٥ ، [ط ٢ س ١٤٢] .

(٧) صبح ، ٢ ص ١٣٥ [ط ٢ ، ص ١٤٢] . عن هذه الكلمة ، انظر Suppl, 2, p. 218.

و الدرق(١) ، وهى لاتقاء قذائف العدو ، تكون من جلد البقر أو « اللمط »(٢)، وهو حيوان يعمّر فى الصحارى ، أو تكون من خشب أو حديد .

وفيها أنواع الزرد وهى الدروع ، مثل : « الزرديات المسبلة(٣) » ، التى تغطى الجسم كله ، و « قرقلات(٤) » ، و « كزاغنديات أو كزغندات(٥) » ، و « بكاير(٦) » ، وكلها أسماء فارسية للدروع ، قد تكون مبطنة ، و « الجواشن(٧) » ، وهو عبارة عن صدر بغير ظهر .

وفيها أنواع الأسلحة الخفيفة من : « النمشاة » أو ما يسمى أيضاً « النمجاة » أو « النمجة(٨) » ، وهو خنجر مقوس ، و « الطبر(٩) » ،

(١) صبح ، ٢ ص١٣٦ [ط ٢ ، ١٤٣] ؛ ابن إياس ، ١ ص ٢٧٣ س ٢٥ .

(٢) عن هذه الكلمة ، انظر . ابن هذيل ، كتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان ، تحقيق وتعليق عبد الغنى ، دار المعارف ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ؛ انظر . Dozy : Suppl, 2, 550—1.

(٣) السلوك ، ١/٢ ص ٦٠٨ س ١٢ ؛ انظر . Mayer : Op. cit, p. 37.

(٤) صبح ، ٤ ص ١١ ؛ ابن إياس ، ٣ ص١٦ (آخر الصفحة) ؛ النجوم (P) ، ٦ ص ٢٥٦ . عنها ، انظر . Dozy : Suppl, 2, p. 336 . مفردها قرقل ، وهى فارسية .

(٥) السلوك ، ١ ص ٢٥٣ ؛ انظر . Dozy : Suppl. 2, p. 462 ; Schwarzlose, p. 334 . مفردها كزاغنده ، وهى فارسية .

(٦) ابن إياس ، ٣ ص ١٦ . هى أيضاً دروع .

(٧) نفسه . عن صنعها ، انظر . ابن هذيل ، ص ٢٢٧ . هى كلمة فارسية ، مفردها جوشن .

(٨) ابن إياس ، ١ ص ٢٧٣ س ٢٥ ؛ مفضل (P. O.) ، ص ٦١٢ . عنها ، انظر . Dozy : Suppl, 2, p. 724 . وهى فارسية .

(٩) هى لفظة فارسية . عنها ، انظر . Dozy : Suppl,2, p. 20 . يحملها الطبردارية ، مفردها طبردار ، أى حاملى الفؤوس ، يرأسهم أميرطبر . صبح ، ٥ ص٤٥٨ ، ٤٦٢ ؛ انظر . بعده .

جمعها أطبار وهى القؤوس ، وعلى ما يبدو لم تكن سلاحاً متميّزاً فى مصر قبلهم ، وهى تُحمل على الخصوص فى المواكب كشعار ملكى ، و « السيوف » بأنواعها الطويل والقصير ، والعريض والدقيق(١) ، و « الدبوس » جمعها « دَبابيس(٢) » ، وهو عمود له رأس ، و « النشّاب(٣) » ، وهى سهام خشبية صغيرة ، ذات نصول مثلثة الأركان ، و « والتركاس » أو « التركاش(٤) » ، جمعها « تراكيس أو تراكيش » توضع فيها النشّاب ، وأيضاً الخناجر ، والسكاكين ، والبلط ، والرماح .

وفيها أنواع الأقواس المختلفة(٥) ، وهى تتألف من عمود ومفتاح ، والسهم يوضع فى القضيب ، فنها : قوس اليد التى تشد باليد ، فتخرج منها سهام تشبه الجراد دفعة واحدة فى جهات متعددة ، وهى تعرف بالعربية ، وقوس الرجل ، التى تشد بدفعها من الرجلين ، وهى تُعرف بالإفرنجية أو الرومية ، وقوس اللولب التى تشد بواسطة اللولب ، وقوس الركاب التى تشد من ركاب الخيل .

وفيها أنواع السلاح الثقيل من مجانيق صغار وكبار ، وهى آلات قذافة

---

(١) صبح ، ٢ ص ١٣٢ — ١٣٣ [ط ٢ ، ص ١٣٩ — ١٤٠] .

(٢) نفسه ، ٢ ص ١٤٥ [ط ٢ ، ١٤٢] ؛ السلوك ، ١/٣ ص ٨٨٦ س ٩ ؛ انظر . Suppl, I, p. 423 : Dozy

(٣) ابن إياس ، ٣ص ١٩ . عن وصفها ، انظر . الخطط ، ٢ص ٢٦٨س ٢٤–٢٥.

(٤) ابن إياس ٣ ص ٩ س ٢٠ ؛ انظر . Quat :
Sult. Maml, I, p. 31; n (14).

(٥) عن وصفها ، انظر . الخطط ، ٢ ص ٢٦٨ ؛ ابن هذيل . كتاب الفرسان وشعار الشجعان ، ص ٢١١ ؛ انظر .
: Un traité d'armurerie, p.110 (نص) ; p.132 (ترجمة) : Cahen
. Suppl, 2, p. 418 : Dozy ؛ ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ١٢٢ ؛ وقبله .

على بُعد بالأحجار واللهب ، وحتى الزرنيخ والأفيون ، لعله بقصد خنق العدو[1] . وفى آخر عهد الدولة ظهرت المدافع أو المكاحل ، وهى آلات قذافة من نحاس ورصاص أو حديد ، يوضع فيها الحجر أو البندق أو الحديد[2] . كذلك الدبابات[3] والستائر والأبراج وغير ذلك ، من الأدوات الثقيلة .

يُضاف إلى ذلك ، وجود معدات للخيل فى وقت الحرب فى هذه الخاناه « الزردخاناه[4] » ، مثل : لبوس الخيل من حرير ملون ، وبدلات تسمى « بركستوانات أو بركصطوانات[5] » ـ مفردها بركستوان أو بركصطوان ـ تكون مصنوعة من الفولاذ ، وهى التى حلت محل التجافيف[6] ـ مفردها تجفاف ـ التى عُرفت فى زمن الفاطميين ؛ فكانت هى الأخرى مطعّمة « مكفتة » بالذهب ، كما توضع على أنحاء جسم الخيل أيضاً : رُكب فولاذ[7] ، وأتراس ، وحتى خوذة عند المؤخرة .

---

(١) ابن أرنبغا الزردكاش ، الأنيق فى المجانيق ، ورقات ٩٠ — ٩١ ؛ انظر . على إبراهيم ، المماليك البحرية ، ص ٣٠٩ ؛ وقبله .

(٢) ابن إياس ، ١ ص ١٩٦ س ٣ ، ٣ ص ٩ س ٢٥ — ٢٦ ؛ صبح ، ٢ ص ١٣٧ [ط ٢ ، ص ١٤٣ — ١٤٤] ؛ العبر ، ٤ ص ٦٩ — ٧٠ ؛ ماجد ، نظم المماليك ، ١ ص ١٧٢ — ١٧٣ ؛ Dozy : Suppl, I, p. 449—50

(٣) ابن أرنبغا ، ورقات ٧٢ — ٨٨ ؛ انظر . على إبراهيم ، المماليك البحرية ص ٣١٠ . عن الدبابة ، انظر . Dozy : Suppl, I, p. 421 ؛ وقبله .

(٤) ابن إياس ، ٣ ص ٢٠١ س ٣ :

(٥) نفسه ، ٣ ص ١٠ (فى آخر الصفحة) . عن هذه الكلمة ، انظر . Dozy : Suppl, I, p. 77

(٦) الخطط ، ٢ ص ٢٦٨ س ١٦ . عن هذه الكلمة ، انظر . Dozy ; Suppl, I, p. 200 ; Schwarzlose. p. 324 ؛ ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ٢١١ .

(٧) ابن إياس ، ٣ ص ٢١ .

ومن المؤكد أن فيها الأسلحة ، التى تُستخدم فى حفلات السلطان من ركوب وجلوس ، وتكون عادة مطعّمة بالذهب والفضة والجوهر ، إذ تُوصف السلاح خاناه بأنها عجيبة من العجائب ، بها من جميع آلات السلاح، من كل نوع[1] . كذلك توجد فيها أدوات للصيد أوالحرب تسمى بندقيات وبنادق[2] ، التى سُميت أيضاً قوس البندق أو الجلاهق أو الزبطانة ، وهى تطلق الرصاص .

وتظهر أهمية السلاح خاناه فى أنه يشرف عليها أمير كبير اسمه : «أمير سلاح[3] » ، الذى كان لأهمية منصبه يلقّبه السلطان : « بالأخ »[4] . فكان يعاونه « شاد »[5] ، من الأمراء ، و « ناظر »[6] من رجال الدواوين ، وأيضاً المباشرون[7] ، وغير هؤلاء .

---

(١) زبدة ، ص ١٢٢ ؛ النويرى ، نهاية ، ٨ ص ٢٢٧ .

(٢) ابن إياس ، ٣ ص ١٠ (فى آخر الصفحة) ؛ صبح ، ٢ ص ١٣٨ ، [ط ٦ ص ١٤٠] ؛ انظر . Dozy : Suppl, I, p.117—118.

(٣) زبدة ، ص ١٤٤ س ١٠ ؛ القصد ، ورقة ١٢٣ ب . يذكر المؤرخون هذا اللقب ، ولقب آخر هو : « سلاح دار » ؛ بمعنى ممسك السلاح ؛ فلعلهما شخصين مختلفين . عن هذا الأخير ؛ انظر . صبح ، ٤ ص ١٨ ، ٥ ص ٤٥٦ ، ٤٦٢ ؛ Ency. (art Silâhdâr) t4, p 442. كذلك يذكرون « السلاحدارية » ، بمعنى حملة السلاح فى المواكب ؛ وربما يكونون هؤلاء فرقة هذا الأخير . فلعل هذا الخلط حدث من قبل بين أمير علم ، وعلم دار . ومع ذلك ؛ فيقول المقريزى إن أمير سلاح هو مقدم السلاحدارية ، والمتحدث فى السلاح خاناه . الخطط ، ٣ ص ٣٦١ . كذلك يذكر القلقشندى فى مكان آخر : أمير سلاح وأمراء سلاح ، وهم الذين يتولون أمر سلاح السلطان . صبح ، ٥ ص ٤٥٦ .

(٤) أبو المحاسن ، ط . دار الكتب ، ٧ ص ١٨٤ — ١٨٥ ؛ انظر . على إبراهيم ، المماليك ، ص ٣١١ .

(٥) زبدة ، ص ١١٥ س ٨ .

(٦) صبح ، ٤ ص ٣٢ .

(٧) ابن إياس ، ٣ ص ١٠ س ١٧ . يقول النص : « المباشرين الزردخانية » .

الركاب خاناه أو الركبخاناه[1]، وهى تشبه خزائن السروج عند الفاطميين[2] ، حيث يوجد فيها كل ما يتعلق من معدات ركوب الخيل . فيوجد فيها أكثر من ثلاثة آلاف قطعة مختلفة الأسماء والألوان ، حتى أن ما فيها : يحيّر العقول ، ويدهش البصر ، مما لا يقدر على مثله إلا عظماء الملوك[3] . ولا ريب ، فقد كان المماليك فرساناً بطبعهم يهتمون بكل ما يتناول الخيل ، فيستكثرون من معداتها أجملها وأمتنها وأثمنها . وقد شجع هذا الميل ، انتعاش التجارة فى معدات الخيل ، التى كان لها أسواق خاصة يتزود منها المماليك بما يحتاجون إليه ، مثل سوق اللجميين ، وسوق المهامزيين[4] .

فيوجد فى هذه الخاناه : السروج[5] ـ مفردها السرج ـ ، وهو مقعد الفرس ، ويكون من كل نوع وقيمة ، ساذج أو مطعّم بالذهب أو الفضة البيضاء . وقد حدث من كثرة ما استعمل من الفضة فى السروج، أنه لم يعد يوجد من الفضة ما يكفى لسك العملة[6] . وكانت هذه السروج تعمل منقوشة وغير منقوشة ، وملونة ما بين أصفر وأزرق أو أسود ، وهذه الأخيرة تكون لرجال الدين ، اقتداء بعادة بنى العباس فى استعمال السواد . و « الأكوار[7] ـ

---

(١) صبح ، ٤ ص ١٢ ؛ زبدة ، ص ١٢٤ .

(٢) صبح ، ٣ ص ٤٧٣ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٧٢ ؛ Dozy : Suppl, I, p. 551.

(٣) صبح ، ٤ ص ١٢ .

(٤) الخطط ، ٣ ص ١٠٨ — ١٠٩ .

(٥) نفسه ، ٣ ص ١٠٩ ؛ صبح ، ٢ ص ١٢٨ — ١٢٩ [ط ٢ ، ص ١٣٥] .

(٦) صبح ، ٣ ص ٤٦٣ .

(٧) صبح ، ٢ ص ١٢٩ [ط ٢ ، ص ١٣٦] ؛ ابن إياس ، ٣ ص ٢٢ (فى آخر الصفحة) ؛ النجوم ، ط . دار الكتب ، ٩ ص ٥٨ س ٣ . لا نوافق « Dozy » ، على أن الأكوار تعنى الطبول .

مفردها الكور ـ وهو مقعد الهجن ـ وأحياناً الخيل ـ تكون مغشاة
بقماش ذى وبر « مخمّل » ، مطرّز « زركش » بالذهب أو الفضة .
و « القرابيس »(١) ـ مفردها قربوس ـ وهى الخشبة الصغيرة فى مقدمة
السرج وخلفه ، تعمل من الفضة أو الذهب . و « اللجم » ـ مفردها لجام ـ ،
وهو ما يكون فى فك الفرس ، مطلية بالذهب أو الفضة أو ساذجة .
و « السيور » ـ مفردها السير ـ خاصة بالخيل وغيره ، من الجلد البلغارى
الأسود ، الذى كثر استعماله وقتذاك . و « الخاطم »(٢) ـ مفردها
الخطام ـ وهى الجلاجل التى تكون فى مقدمة الخيل ـ تكون من الفضة
أو غيرها . و « الركاب »(٣) ، وهو ـ كما نعرف ـ ينسب إلى القائد المهلب
ابن أبى صفرة (م ٨٣/٧٠٢) ، أنه أول من جعله من الحديد بدلاً من
الخشب ؛ فكان فى وقت المماليك مطعماً بالذهب والفضة . و « المهماز »(٤) ،
وهو آلة من حديد تكون فى رجل الراكب ، فوق كعبه ، تركّب على
الخف ، يكون من الذهب الخالص أو الفضة الخالصة ، أو من حديد مغطى
بالذهب والفضة . و « الكُنبوش » ـ جمع(٥) كنابيش ـ أو « الزّنارى » ـ
جمع زنّار ـ أو « العبى » ـ جمع عباءة ـ وهى البراذع أو ما يوجد أسفل
السرج ، فهى تكون مطرّزة « زركش » ، بعضها يصنع من قماش أملس .

---

(١) الخطط ، ٣ ص ١٠٩ س ٦ . عن هذه الكلمة ، انظر : Dozy : Suppl, I, 2, p. 324.

(٢) من هذه الكلمة ، انظر : Dozy : Suppl, I, p. 384.

(٣) صبح ، ٢ ص ١٢٩ ـ ١٣٠ [ط ٢ ص ١٣٦] .

(٤) الخطط ، ٣ ص ١٠٨ .

(٥) صبح ، ٢ ص ١٣٥ ، ٤ ص ١٢ ، ٤٢ ؛ انظر : Demomb : Syrie, XCIV

عن : كنبوش وزنارى وعبى ، انظر : Dozy : Suppl, I, p. 606. ; 2, p. 90, 492.

يقال أيضاً كنفوش .

« أطلس » ، أو من الصوف « جوخ » ؛ وهذه الأخيرة تكون لرجال الدين . و « المخالى »[١] ، وهى أكياس توضع فيها رأس الخيل .

وعلى رأس هذا البيت « مهتار »[٢] ، أى كبير الغلمان ، الذين يعملون فيها . ويبدو أن عدد غلمان هذه الخاناه كبير ؛ إذ كان برأسهم : « نقباء غلمان » ، كما لعل بعضهم من النساء السود ، إذ نقرأ فى النص : « قراغلامية »[٣] ؛ التى قد تعنى جوارى سود . وكذلك يوجد فيها « المهمرد »[٤] ، وهو موظف خاص عمله حفظ أقمشة الدواب ، يعاونه أتباعه المسمّون : « المهمردية »[٥] . ولعل « الركابدارية » ، وهم فرقة خاصة فى هذا البيت[٦] ، عملها كما يظهر من اسمها حمل آلات السلطان الموجودة فى هذا البيت فى المواكب الرسمية ، ولا سيما الغواشى[٧] ، التى هى أشبه بالسروج ؛ وتختص بالسلطان نفسه .

الطبلخاناه[٨] أو الطبلخانات — أى بيت الطبل — وفيها أنواع الآلات الموسيقية التى تدق أمام قصر السلطان ، مثل : الطبل أو النقارات ، والكوسات[٩] وهى صنوجات من نحاس يدق بإحداها على الأخرى ،

---

(١) صبح ، ٤ ص ١٢ ، عنها ، انظر . Dozy : Suppl, I, p. 403

(٢) نفسه ، ٤ ص ١٢ ، ٥ ص ٤٧٠ .

(٣) زبدة ، ص ١٢٤ . الغلامية هى جارية . أنظر . Dozy : Suppl, 2, p.225

(٤) صبح ، ٥ ص ٤٧١ . مه اسم سكبير ، ومرد اسم الرجل .

(٥) تخالف ناشر النص « Ravaisse » ، ونقرأها « مهمردية » ، بدلاً من « مهمزدارية » . زبدة ، ص ١٢٤ وهامش (٣) .

(٦) زبدة ، ص ١٢٤ . يضيف إليهم ابن شاهين أيضاً سنجقدارية ، أى حملة الأعلام المسماة : سناجقة ، ويجعلهم فرقة فى هذا البيت . زبدة ، ص ١٢٤ .

(٧) أنظر . بعده بتفصيل .

(٨) صبح ، ٤ ص ١٣ ؛ زبدة ، ص ١٢٥ ؛ انظر . Dozy : Suppl, 2, p.27.

(٩) عنها ، انظر . بعده بتفصيل ؛ كما انظر . قبله : نظم المماليك ، ١ ص ١٨٠ . وهامش .

وزمارات ، ونفيرات ، وأبواق . وربما[1] تحتوى أيضاً على الآلات الموسيقية التى تدق فى المواكب الرسمية ، أو يزود بها الجيش ؛ لتحميسه أثناء السير فى القتال ، أو حتى لتمييز أمراء الجيش ؛ ولاسيما فئة أمراء الطبلخاناه ، الذين سُموا هكذا لتشريفهم بدق الموسيقى لهم ، وخصوصاً الطبل .

وتحتوى أيضاً على الأعلام بأنواعها الكبيرة والصغيرة ، بدليل أن المشرف عليها ، اسمه : أمير علم[2] ؛ وإن كان بعض الأعلام الملكية المسماة : السناجق أو الصناجق توجد فى الراكبخاناه كما ذكرنا[3] . ومن الملاحظ أن رايات المماليك ملونة ، يغلب عليها اللون الأصفر[4] ، بينما كانت رايات العباسيين سوداء ، ورايات الفاطميين بيضاء[5] . فهذه الخاناه لكونها تحتوى على الأعلام أيضاً ، تشبه خزانة البنود ـ وهى رايات كذلك ـ[6] عند الفاطميين ، وقد كان لها أيضاً مهتار تحت يده عدة خدام[7] .

الشكارخاناه[8] ، أى بيت الطيور ، وفيها كل ما يتعلق بالطيور ، وبخاصة تلك التى تستخدم فى الصيد ، حيث يستورد بعضها من الخارج . ففيها الجوارح للصيد من الصقور والباز والسنقر والعقاب والكوهية والشاهين والضيفية والباشق والقطامى ، والطيور التى تصطاد أو تثب

---

(١) لم يذكر النص فى « زبدة » هذه التفاصيل .

(٢) صبح ، ٤ ص ١٣ ، ٢٢ ؛ المقصد ، ورقة ١٢٨ . أنظر ملاحظتنا فى : نظم المماليك ، ١ ص ١٥٨ وهامش (٤) . وهو غير العلم دار . انظر بعده .

(٣) أنظر . قبله .

(٤) أنظر . قبله ، وبعده .

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(٦) الخطط ، ٢ ص ٢٧٨ — ٢٧٩ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٢٥ .

(٧) زبدة ، ص ١٢٥ .

(٨) نفسه ، ص ١٢٦ — ١٢٨ . لايذكرها القلقشندى من بين البيوت ؛ كما لا يوجد ذكر لها بين بيوت الفاطميين ، والشكار هو الصيد .

عليها الجوارح ، مثل : البط ، والأوز ، والكَرَاكى[١] (البجع) — مفردها كركى — وربما طيور البريد وهى الحمام الزاجل ، كما توجد فيها كلاب الصيد من سلالة ممتازة . وكل هذه لتربيتها والمحافظة عليها ، تحتاج إلى وقت وتكاليف باهظة .

يُضاف إلى ذلك أنه كان يتبع الشكار خاناه حوشان كبيران[٢] ، عبارة عن مكانين واسعين لصيد الطيور بأنواعها المختلفة ، فيها شباك وصيادون ، حيث يشرف عليها جملة موظفين ، منهم : « ناظر » ، و « شاد » ، و « مباشرون »[٣] . كما وجدت وظيفتا : « حراسة الطير »[٤] الخاصة بحراسة الكراكى والبجع ، التى تتجمع حولها الطيور حينما تنزل فى المزارع وغيرها ليصيدها السلطان ، و « كاشف الطير »[٥] ، الخاصة بالإشراف على الطير السلطانى فى الإقليم . ويبدو أن أمراء الحاشية الكبار وغيرهم ، كانت لهم أحواش عديدة مبعثرة فى أنحاء مصر ، يصطادون فيها ، ويدفعون عنها خراجاً معيناً ، ربما عما كانوا يصيدونه .

فكان لهذه الطيور جرائد بأعدادها وأنواعها ، حيث تميّز بوضع لوح من الذهب فى أرجلها منقوش عليها اسم السلطان[٦] ، ولها جماعة تسمى[٧] : حواندارية وطعمدارية ربما لإطعامها وخدمتها ، ومعلمين

---

(١) عن هذه الكلمة ، انظر . Dozy : Suppl, 2, p. 458

(٢) زبدة ، ص ١٢٨ .

(٣) نفسه ، ص ١١٠ س ٢ — ٣ ، ١١٥ س ٥ .

(٤) زبدة ، ص ١١٥ س ٤ . عن كاشف ، انظر . Dozy : Suppl, I, p .471

(٥) صبح ، ٤ س ٢٢ .

(٦) زبدة ، ص ٢٨ س ١٤ .

(٧) نفسه ، ص ١٢٢ س ٣ — ٤ . خوان كلمة فارسية تعنى المائدة . أنظر . Dozy : Suppl, I, p. 414 . فى نصوص أخرى ، نقرأ حوانداريه جمع حواندار ، أصله حيوان دار ، والحيوان فى عرفهم من يتصدى لخدمة الكراكى وغيره من الطيور . أما البازداريه ، فهم نسبة إلى الجارح من الطير ، ولا سيما « الباز » .

ربما لتعليمها الصيد ، وبازدارية الذين يحملون الجوارح منها فى موكب الصيد ، يشرف عليهم جميعاً « أمير شكار »[١] ، وهو من الأمراء ، يتبعه « ناظر »[٢] من رجال القلم .

الحوائج خاناه[٣] ، وهى تعنى بيت الحوائج واللوازم الضرورية التى تُصرف لمطبخ السلطان ، ولمستحقات أرباب الدولة وغيرهم العينية ، حيث توجد فيها دفاتر بأسمائهم . وقد أُعتبرت هذه الخاناه الوحيدة ، التى ليس للأمراء مثيلتها[٤] . فقد بلغ راتب اللحوم يومياً عشرين ألف رطل[٥] ؛ ليوزع منها على المماليك ومن لهم مرتبات جارية[٦] ، ويذبح لمطبخ السلطان من الطير سبعمائة طائر ، ويعجن أكثر من سبعمائة أردب[٧] ، كما بلغت نفقة الحوائج خاناه حوالى ثلاثين مليون درهم ، فى عام ٧٤٥/١٣٤٤[٨] .

فكان يشرف عليها مباشرون خاصون ، يضبطون أبواب الصرف ومستحقاتها .

ثم نذكر بعض البيوت المسماة فقط : خزائن ، وإن لم يكن لدينا عنها تفاصيل كثيرة ، منها :

الخزانة الشريفة[٩] ، ولعلها تشبه خزانة التجمل[١٠] ، فى أيام

(١) زبدة ، ص ١٢٦ س ١٠ ، ١١٤ ؛ صبح ، ٤ ص ٢٢ ، ٥ ص ٤٦١ ؛ القصد ، ورقة ١٢٧ ب . الشكار كلة فارسية ، وهو الصيد ؛ فالمعنى ، يكون : أمير الصيد .

(٢) زبدة ، ص ١١٥ س ١٧ .

(٣) صبح ، ٤ س ١٢ — ١٣ . مكونة من حوائج ، وهى عربية ، و « خاناه » وهى فارسية ، والمعنى هو : بيت الحوائج .

(٤) صبح ، ٤ س ٦٠ .

(٥) الخطط ، ١ ص ٣٧٥ س ١ . لدينا تعداد آخر . أنظر . نفسه ، ٣ ص ٣٤٢ .

(٦) زبدة ، ص ٩٧ (فى آخر الصفحة) .

(٧) الخطط ، ٣ ص ٣٧٥ س ٥ .

(٨) إغاثة ، ص ٣٣ . (٩) زبدة ، ص ١٢٣ .

(١٠) صبح ، ٣ ص ٤٧٤ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٢١ .

الفاطميين ، وهى تحتوى على الآلات الثمينة ، التى ربما تستخدم فى المناسبات الرسمية على الخصوص ، فيها : عدة صناديق علوءة بالفصوص والجواهر وأصناف ذلك ، وأوان من ذهب وفضة ، ومروج ذهب ، وكنابيش[١] — وهى براذع — مطرّزة « زركش » ، وملابس « طرز »[٢] مطرّزة « زركش » ، وحوائص[٣] — أحزمة — ذهب ، وأمتعة حسنة من كل نوع ، وأكياس مكيّسة - أى مغطاة - ذهباً وفضة ، وأشياء أخرى ؛ وكان يشرف عليها ناظر[٤] .

خزانة الكتب[٥] ، وكانت بالقلعة ، ولكنها احترقت فى عام ٦٩١/١٢٩٢ ، فتلف ما بها من كتب الفقه والحديث والتاريخ ، وبعد ذلك نهبت . ولا مراء ، فالمماليك كان همهم الحرب والدفاع عن بلاد الإسلام ضد أعدائه الذين تكالبوا عليه ، فلم يستكينوا فترات طويلة فى بلاطهم لكى يهتموا بالكتب ؛ إذ هم رجال سيف قبل كل شىء . وعلى العكس ، كانت خزانة الكتب فى أيام خلفاء الفاطميين مزدهرة ، واستمرت طوال فترة حكمهم ؛ فكانت فى بلاطهم تتكون من أربعين حجرة[٦] .

الخزانة الكبرى[٧] ، وهو اسم فوق مسماه ؛ إذ لم يكن بها غير الأقمشة المختلفة ، التى تصنع فى دور الطراز[٨] ، المنتشرة فى أرجاء المملكة ؛

---

(١) أنظر . قبله .

(٢) عن هذه الكلمة : ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢١٠ — ٢١١ ؛
Ency. (art Tirâz) t4 p. 825 sqq ; Suppl, p. 35. : Dozy

(٣) لها سوق اسمه : سوق الحوائصيين ، وهى المناطق . أنظر . الخطط ، ٣ ص ١٦١ .

(٤) زبدة ، ص ١١٥ .   (٥) الخطط ، ٣ ص ٣٤٥ .

(٦) نفسه ، ٢ ص ٢٥٣ — ٢٥٥ ؛ صبح ، ٣ ص ٤٧١ — ٤٧٢ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١٤ ؛ Quatremère :
Mémoire sur le goût des livres chez les Orientaux. Paris, 1938 p. 366.

(٧) صبح ، ٤ ص ٣١ .

(٨) عن معنى هذه الكلمة ، انظر . Dozy : Suppl, 2, p. 35 ; وبعده .

لنسج القماش ، كما كانت فيها تصنع الملابس الرسمية والتشاريف والخلع التى يمنحها السلطان لمن يريد فى المناسبات ، وهى تشبه الخزانة الظاهرة فى أيام الفاطميين[1] . وكان يُشرف عليها موظف كبير فى القصر اسمه : ناظر الخاص[2]، يساعده أتباع من كتّاب؛ ولذا سُميت أيضاً : خزانة الخاص[3] .

بجانب هذه الخانات والخزائن توجد أماكن أخرى يُطلق عليها أسماء متنوعة ، فنذكر منها :

المطبخ[4] : وفيه يُحضّر الطعام الخاص بالسلطان والأعداد الكبيرة من سكان القلعة ، ووُصف بأنه لاتنطفىء له نار . وقد بنى له فى عهد الناصر محمد مكان خاص واسع من الحجارة ؛ خوفاً من الحريق . فقد كانت مآدب السلطان « أسمطة » ، تُقام فى كل يوم ومناسبة ، كما تخرج جرايات باسم أرباب الوظائف من أمراء المماليك ورجال الدين وغيرهم[5] ؛ فضلاً عما كان السلطان يتصدق به من مأكول ومطبوخ فى كل وقت ، ولا سيما فى رمضان[6] .

فكان يشرف عليه أمير من الأمراء اسمه : إستادار الصحبة[7] ، وهو من طبقة الإستدارية أى المشرفين على حاجات القصر ، حيث اختص

---

(١) صبح ، ٣ ص ٤٧٢ .

(٢) ربما قد يفهم من النص أن ناظر هذه الخزانة يشبه اسمه ناظر ديوان الخاص ، حيث كان هذا الأخير يرأسه . صبح ، ٤ ص ٣٠ .

(٣) نفس المصدر ، ١١ ص ٤٢٦ .

(٤) نفسه ، ٤ ص ١٣ ؛ زبدة ص ١٢٥ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٧٤ — ٣٧٥ .

(٥) زبدة ، ص ٩٧ (فى آخر الصفحة) .

(٦) فمثلا برقوق ، كان يذبح فى كل يوم من أيام شهر رمضان خمسة وعشرين بقرة يتصدق بها ، مع ما يطبخ ، ومعها آلاف من أرغفة الخبز ، على أهل الجوامع والخوانق والربط — أى الصوفية — وأهل السجون . مورد اللطافة — ص ٩٩ .

(٧) صبح ، ٤ ص ١٣ ، ٢١ ؛ للقصد ؛ ورقة ١٢٦ . منه ، انظر . Dozy : Suppl, I, p. 21 . من المعرف ؛ انظر . نفسه ، ٥ ص ٤٥٤ .

بصفة الصحبة ، لأنه يصطحب السلطان فى المآدب والأسفار . فكان يتبعه أمير آخر يشاركه فى مهامه ، يُعبر عنه باسم : المشرف ، ومتخصصون فى فن الطبخ ، منهم : الطباخون أو الطبّاخ ، الذين يتسمى أكبرهم باسم : الخوان سلار[١] ، ومرقداريه[٢] ، الذين يوصفون بأنهم صبيان يعملون فى المطبخ ، وأمراء مشوى ، الذين عملهم الإشراف على تسوية أصناف اللحوم والطيور ، حيث ربما كانا أميرين أو أكثر[٣] .

الاصطبلات (أو الاسطبلات[٤]) ، وتوجد فى القلعة وفى أماكن أخرى ، وهى متعددة ، أهمها : التى توجد برسم الخيل التى تسير فى المواكب ، وتُعرف باسم اصطبل الخاص الشريف ، أو فى السباق والرياضة ، وتُعرف باسم اصطبل الحجورة[٥] ، كما يوجد اصطبل البريد ، واصطبل مماليك الطباق ـ وهى المدارس الحربية ـ ويُعرف باسم : اصطبل الجوق[٦] ، الذى هو أشبه باصطبل الحجرية فى عهد الفاطميين[٧] .

---

(١) صبح ، ٥ ص ٤٧١ ؛ الخطط ، ٤ ص ١١٦ . كلمة مركبة من لفظين ، أحدهما خوان ، وهو الذى يؤكل عليه ، و « سلار » ، وهى فارسية ومعناها المقدم . يقول القلقشندى فى مكان آخر (٤ ص ١٣) : باسباسلار ، التى ليس لها معنى ، وهو ويقصد ولا ريب الخوان سلار .

(٢) زبدة ، ص ١٢٥ س ١٤ — ١٥ ؛ صبح ، ٥ ص ٤٧٠ . كلمة مركبة من « مرق » العربية ، و « دار » الفارسية ، والمرق هو الشوربة ؛ وإن قال القلقشندى . إن سبب التسمية أنه كان يتعاطى بقايا الطعام ، بعد رفع المائدة بما فيه المرق . أنظر أيضاً . Dozy : Suppl, 2, p. 583—4

(٣) زبدة ، ص ١١٦ س ١١ ؛ القصد ، ورقة ١٢٨ ب .

(٤) زبدة ، ص ١٢٥ .

(٥) كلمة تعنى المكان المبنى من الحجارة . أنظر . Dozy : Suppl, I, p. 752—3,

(٦) يقول النص : خيول الخرج للمماليك الكتابية ، وربما كلمة « الخرج » ، تعنى إخراج الخيل أو توزيعها برسم المماليك الكتابية (أنظر . Ibid I, p. 358) ، أما « الجوق » ، فهو الجماعة من الجند . أنظر . Ibid, 4, p. 235.

(٧) الخطط ، ٢ ص ٤٣٩ ؛ أنظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ٩٨ .

وكانت الخيل تستورد من برقة والمغرب ، وتُشترى فى الأحساء والبحرين والحجاز والعراق[١] ، ولها سوق خاصة لشرائها فى القلعة[٢] . فكان إذا وجد نوع ممتاز من الخيل العربية لا يتردد السلطان فى دفع أثمان باهظة لشرائها . فقد بلغ ثمن ما اشترى منها أحد السلاطين ما قيمته مليون درهم[٣] ، كما بلغ ماجمعه آخر ثمانمائة وأربعة آلاف فرس[٤] .

وبلغ من حب المماليك للخيل ، أنهم فى مرة لم يسمحوا بركوبها لغيرهم ، فصدر أمر رسمى بأن لا فقيه ولا متعمم يركب فرساً[٥] . وقد بلغت خبرتهم فى الخيل أنهم كانوا يميّزون بين عتاقها وغيرها ، ويعرفون أنسابها ، وما تنتجه ، ولهم جرائد فى اصطبلاتهم بأسمائها وسلالاتها . فكانوا يجعلونها تتوالد ، وهى تُدمغ لمعرفتها[٦] ، وكان إذا أصيب فرس أو أكثر بُعث به إلى البياطرة ، أو المراعى ، حيث وجد اصطبل توضع فيه الخيول الضعيفة اسمه : اصطبل البيمارستان ، واصطبل لترعى فيه بحريتها اسمه : اصطبل الدشار[٧] .

وكان السلطان من عادته أن يفرّق الخيل على أمراء المماليك مرتين فى كل سنة[٨] ، حتى أن بعضهم كان يصلهم مائة فرس من السلطان ،

---

(١) الخطط ، ٣ ص ٣٦٦ .
(٢) نفسه ، ٣ ص ٣٣٣ س ١١ — ١٢ .
(٣) السلوك ، ٢/٢ ص ٥٢٦ ـ ٥٢٧ .
(٤) الخطط ، ٣ ص ٣٦٦ . برقوق جمع سبعة آلاف فرس . نفسه .
(٥) ابن إياس ، ١ ص ٢٨٣ س ٢١ ـ ٢٢ . فى عهد السلطان أمير حاج ، وذلك فى سنة ٧٩١ / ١٣٨٩ ؛ وكان لظروف الحروب .
(٦) السلوك ، ٢/٢ ص ٥٢٩ .
(٧) زبدة ، ص ١٢٥ س ١٧ ـ ١٨ . هذه الكلمة « دشر » ، محرفة من جشر ، التى أصلها جشأ ؛ بمعنى رعى . أنظر . Dozy : Suppl, I, p. 442—3.
(٨) الخطط ، ٣ ص ٣٥١ ـ ٣٥٢ ؛ صبح ، ٤ ص ٥٤ .

وإن كان الأمراء أنفسهم يشترون بدورهم ، حتى كانت لهم أيضاً اصطبلات خاصة(١) .

وكان تنظيم العمل فى هذه الاصطبلات معقداً ، فوجد لها ديوان خاص يشرف عليه قاض يسمى : ناظر الإصطبلات ؛ يتبعه : مباشرون(٢). ومع هذا ؛ فإن الإشراف الفنى والعام ، كان لأمير كبير ، اسمه : أمير آخور(٣) ، ووظيفته تسمى : أمير آخورية ، وهى كلمة عربية فارسية تعنى المتولى لأمر الدواب . وهذه الوظيفة الرئيسية تضخمت ، حتى زاد عدد القائمين بها ؛ بحيث وجد أمير آخور أول وثان وثالث إلى أربعين أو أكثر(٤) ، الكبير منهم يسمى : أمير آخور كبير(٥) . يضاف إلى ذلك معاونون له فى عمله ، منهم : المتحدثون على علف الخيل ، وهؤلاء يسمون : السِرَاخُورية جمع السِراخُورى أو السِلاخُورية ، يرأسهم السِراخُور(٦) .

وبجانب هؤلاء الموظفين الرئيسين فى الاصطبلات يوجد : السوّاس

---

(١) صبح ، ٤ ص ٦٠ ؛ ابن إياس ، ١ ص ١٦٧ س ٩ .

(٢) زبدة ، ص ١٠٩ س ٩ — ١٠ . أول من أوجده السلطان الناصر محمد . الخطط ، ٣ ص ٣٦٥ ؛ السلوك ، ٢/٢ ص ٥٢٦ — ٥٢٧ .

(٣) صبح ، ٥ ص ٤٦١ ؛ السلوك ، ١ ص ٤٣٨ وهامش ؛ النويرى ، نهاية ، مخطوط برقم ٥٤٩ ، ٣٠ ورقة ٣ ؛ التعريف ، ص ٩٩ ؛ القصد ، ورقة ١٢٤ . آخور معناها « العلف » ؛ إذ كانت أهم أعماله تعليفها .

(٤) زبدة ، ص ١١٥ س ٩ . لأن هذا العدد خاص بفئة معينة من الأمراء .

(٥) نفسه ، ص ١٢٦ س ٩ ؛ صبح ، ١١ ص ١٧٢ س ٣ لأنه يتبعه أمراء أخورية .

(٦) صبح ، ٥ ص ٤٦٠ ؛ أبو المحاسن (P) ، ٧ ص ٣٨٣ ؛ زبدة ، ص ١٢٦ ؛ القصد ، ورقة ١٢٤ ب . هى كلمة من أصل فارسى : من « سرا » ، التى جرت العادة على نطقها باللام « سل » بمعنى « كبير » ، وآخور أى العلف ؛ بمعنى المشرف على الخيل . أنظر Dozy : Suppl, I, 670.

جمع سائس ، برسم خدمة الخيل ، ومنهم سوّاس الخاص(١) ، وبما الخيل التى يستخدمها السلطان ، والغلمان أو الغلمة وهم أيضاً لخدمة الخيل(٢) ، والسقاءون الذين يشرفون على سقيهم(٣) ، والخَـوَلَ(٤) الذين يجمعونها ، والكدارية(٥) ، الذين يربطونها من أعناقها . والدشارية الذين يرعون الخيل المريضة فى المراعى(٦) ، والبياطرة الذين يعالجونها .

هذا ويوجد أيضاً الأوشاقيّة أو الأوجاقية ، جمع أوشاق أو أوجاق(٧) ، برسم تسيير أفراس السلطان الخاصة ، وكانوا جملة مستكثرة حتى بلغ عددهم ثمانمائة نفر ، لهم رؤساء اسمهم : باشات ، كما كان منهم جماعة اسمهم : أوجاقية الخاص ، لعلهم برسم تسيير الأفراس التى يركبها السلطان نفسه ، كما يوجد السواقون الذين يسوقون خيل البريد ، وسواق الخاص ، الذى لعله يمسك بحصان السلطان فى الموكب(٨) .

وبالإضافة إلى اصطبلات الخيل ، وجدت حظائر للبغال ، واصطبل

---

(١) زبدة ، ص ١٢٦ س ٦ . عن عملهم أيضاً : ابن إياس ، ١ ص ١٦٧ س ٩ .

(٢) صبح ، ٥ ص ٤٧١ ؛ الخطط ، ٤ ص ١٢٤ س ٢٦ . أطلق أيضاً على من يعملون فى الطشت خاناه وغيرها .

(٣) عنهم ، وعن غيرهم : زبدة ، ص ١٢٦ س ٨ .

(٤) عن هذه الكلمة ، انظر. Dozy : Suppl, p. 413

(٥) زبدة ، ص ١١٦ س ١١ وهامش . من « كند » الفارسية أى حبل ، ربما بمعنى الذين يجرونهم .

(٦) عن هذه الكلمة ، انظر . قبله . محقق نص « زبدة » يريد حذفها ، وربما لعدم فهمها . يقول المقريزى الجشار . الخطط ، ٣ ص ٣٦٥ (آخر السطر) .

(٧) صبح ، ٥ ص ٤٥٤ ؛ زبدة ، ص ١٢٦ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٢٦ ؛ السلوك ١/٢ ص ٤٣٣ وهامش ، ٢/٢ ص ٥٢٧ ؛ انظر . Dozy : Suppl, I, p. 43 . وهى كلمة تركية ، تنطق « وجاق » أيضاً ، ومعناها غلام.

(٨) زبدة ، ص ١٢٦ س ٤ ، ص ١١٥ س ٤ .

الفيل(١) ، التي تميّز فيها فيلاً كبيراً يسير في المواكب(٢) ، واصطبلات أو مناخات الجمال والنياق والهجين - وهي صغار الجمال - التي جمعوا منها أعداداً كبيرة ، بلغت في عهد برقوق خمسة عشر ألف جمل(٣) ؛ لاستخدامها في الحروب وفي البريد ، وحتى اصطبل السباع ، وربما كانت هذه تُصطاد أو تستأنس .

فكان لهذه الأماكن - هي الأخرى - من يشرف عليها(٤) : فالمكارية للبغال ، والسّوّاس للفيلة ، والشّحن - أي المشرفون - ، والسروانية والجمالة والنفرية - ربما للجمال ، والهجانة للهجن ، وكان من بين هؤلاء من يختصون بدواب السلطان منها .

الأهراء(٥) ، وهي حواصل لخزن أنواع الغلال المتنوعة ، لا تُفتح إلا عند الضرورة . فكان كل من قصد بيع غلة قصد إلى الأهراء ؛ ليبيعها وقبض ثمنها ، كما وُجدت مراكب بقصد حملها إليها . فكان للأهراء ديوان ، اسمه : ديوان الأهراء ، عليه : ناظر(٦) .

الشون(٧) ، ويصفها ابن شاهين بأنها كانت من أغرب الغرائب ؛ لاتساعها وكثرة ما فيها من جميع الأنواع . فهي تحتوي على ما يُستعمل

---

(١) نفسه ، ص ١٢٥ ؛ المقصد ، ورقة ١١٢ أ .

(٢) ابن إياس ، ٢ ص ٣٠ س ٦ .

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٦٦ .

(٤) زبدة ، ص ١٢٦ وهامش . الشحن ، كلمة فارسية ، مفردها شحانى . أنظر : Dozy : Suppl, I, p. 733 . والسروانية من الفارسية سربان ، كما يقول محقق زبدة .

(٥) زبدة ، ص ١٢٢ — ١٢٣ . لدينا اسم أبراج الغلال ، ربما لأنها كانت تخزن في أبراج . الخطط ، ٣ ص ٣٣٢ س ١٨ .

(٦) صبح ، ٤ ص ٣٣ ؛ المقصد ، ورقة ١٢٥ (١) .

(٧) زبدة ، ص ٢٧ — ٢٨ ، ١٢٢ .

من الغلال والأحطاب ، والأتبان وما أشبه ذلك ، خاصة برواتب البيوت والجرايات ؛ حتى أنها بلغت خمسين وستمائة أردب بين قمح وشعير(١) . فكان لها موظف خاص اسمه : شادّ الشون(٢) ، كما وجد كاتب للشعير وحده ، اسمه : كاتب الشعير(٣) بالشون السلطانية

الطواحين السلطانية ، وهي لطحن الغلال الخاصة بأكل السلطان ومن في القلعة ؛ فكان جملة ما يطحن يومياً منها عبارة عن خمسين تليساً(٤) ، ولها ديوان اسمه : ديوان الطواحين ، عليه : ناظر(٥) .

الحواصل السلطانية(٦) (أو الشريفة) ، وهي لخزن أصناف البهار ، وأنواع متنوعة من الأخشاب والحديد ، وما أشبه ذلك ، مما يتاجر السلطان فيها ، أو يستخدمها في الصناعات الحربية وغيرها .

✡

والخدمة في بلاط المماليك تشتمل على موظفين من كل نوع ، وسنحاول أن نرتبهم على حسب أهمية وظائفهم ، وإن لم يكن لدينا تفاصيل وافية عن كل منهم ، أو ترتيب ثابت لوظائفهم . وكانت أغلب وظائف البلاط الهامة ، تُكفل إلى أمراء المماليك بمختلف درجاتهم ؛ وإن وجدت وظائف أقل قيمة لغيرهم ، من المماليك العاديين ، وأرباب الأقلام ؛

---

(١) إغاثة ، ص ٣٣ .

(٢) زبدة ، ص ١١٥ س ٦ — ٧ .

(٣) ابن إياس ، ٣ ص ١٢١ س ٢٢ — ٢٣ .

(٤) الجمع تلاليس أو تلالس ، وهو عبارة عن وعاء ، لحمل الغلال . أنظر : Dozy Suppl, I, p. 150.

(٥) صبح ، ٤ ص ٣٣ .

(٦) زبدة ، ص ١٢٢ ؛ ابن إياس ، ١ ص ٢٢٤ س ٥ .

ورجال الدين . فكانت بعض وظائف البلاط فى عهد المماليك معروفة من قبل فى بلاط مصر فى عهدى الفاطميين والأيوبيين ، وإن كانت بعضها مستوردة أيضاً من بلاطات أخرى ، ولها مثيل عند المغول[١] أو غيرهم .

وكان الأمراء من أرباب الوظائف الكبيرة فى البلاط يتميّزون بشارات خاصة ، تدل على وظائفهم ، تُعرف باسم : الرنوك جمع رنك ، وهى كلمة فارسية الأصل « رنگك[٢] » بمعنى اللون ، حُرفت فى العربية ، ولعل منها الكلمة الأوربية « Rang » ، بمعنى مرتبة أو درجة ، أو حتى باسم : الأشعرة جمع شعار . وربما كان اتخاذ الأشعرة عند المماليك ، تقليداً لما كان يوجد عند التتر أو غيرهم . فن الأشعرة المشهورة : "هناب[٣] » الكأس » ، والأسد ، والنمر ، والمائدة « خونجا[٤] » ، والزهور ، والصقر ، والبوق ، والدواة ، وعلامة مربعة « بقجة[٥] » ، وحتى رموز هيروغليفية ، مثل : رمزا الوجهين القبلى والبحرى فى أيام الفراعنة ، أو غير ذلك . ولا نعلم إن كانت الأشعرة متوارثة ، وإنما هى بالأولى من إختيار صاحب المنصب الرفيع ، التى تبقى له ولو وصل إلى السلطنة ؛ إذ السلاطين كانت لهم أشعرة أيضاً . فمثلاً : شعار أيبك

---

(١) حسن المحاضرة ، ٢ ص ٨٥ ، ٩٨ .

(٢) نفسه ، ٢ ص ٨٥ ؛ صبح ، ٤ ص ٦١ — ٦٢ ، ابن إياس ، ١ ص ١١٠ ص ٤ ؛ المنهل ، ص ٥ ؛ انظر . Artin : Contribution à l'étude du Blason en, Orient. Londres, 1902 ؛ Mayer : New Material for Mamlouk, Heraldry. Jerusalem, 1937 ؛ مرزوق ، الفن المصرى الإسلامى ، سلسلة أقرأ ، عدد ١١٤ ص ٨٨—٨٩ ؛ Dozy : Suppl, 2, p. 561.

(٣) هنها ، انظر . Dozy : Suppl, 2, p. 765.

(٤) خونجه ، من خوان الفارسية . أنظر . Dozy : Suppl, I, p. 414.

(٥) هى أيضاً بقجة ، الجمع بقج أو بقش ؛ من أصل تركى . أنظر . Ibid, I, p. 102

كان مائدة « خونجا(١) » ؛ للدلالة على وظيفته السابقة قبل تولية السلطنة ، وهى وظيفة « الجاشنكير(٢) » ، أى المتذوق للطعام فى بلاط السلطان ، وشعار بيبرس : السبع(٣) ؛ ليدل على قوة بأسه وشجاعته ، التى عرف بها حتى فى الحكايات الشعبية المصرية . كذلك قد يشترك فى الشعار الواحد ، عدة أشخاص لا صلة بينهم إلا صلة الوظيفة التى شغلوها فى بلاط السلطان ، كما قد تتعدد الأشعرة للشخص الواحد ؛ لتدل على تعدد وظائفه(٤) . فكان الشعار يُنقش ويطبع على كل حاجات صاحبه .

(أ) فنذكر من الموظفين فى البلاط : الموظفين بحضرة السلطان:

النائب(٥) : أو نائب السلطنة الشريفة ، أو ما يُسمى أيضاً بالكفيل ، أو نائب كفيل ، أو بالكافل أو كافل المملكة (أو الممالك) الشريفة الإسلامية ، أو حتى نائب الحضرة ، ووظيفته نيابة السلطنة ، أو كفالة السلطنة . وهو أمير كبير على رأس رجال البلاط ، يتركه السلطان فى قصره ؛ ليدبر له شئون الدولة فى وجوده بالنيابة عنه ؛ ولذلك عُرفه بالسلطان الصغير أو الثانى أو المختصر . وهذ النائب غير نائب آخر

---

(١) المنهل ، ص ٥ .

(٢) أنظر . بعده .

(٣) ابن إياس ، ١ ص ١١٠ س ٤ .

(٤) فمثلاً : اتخذ الأمير أزبك عدة أشعرة منها : الكأس والبقجة وقرن البارود ، أنظر . نقش رنك على سيف بمتحف الفن الإسلامى ، برقم ٨٧ ٣٥ .

(٥) الخطط ، ٣ ص ٣٤٨ — ٣٥٠ ؛ حسن المحاضرة ، ٢ ص ٨٤ ؛ صبح ، ٤ ص ١٦ — ١٧ ، ٥ ص ٤٥٣ — ٤ ، ١١ ص ١٣٤ ؛ زبدة ، ص ١١٢ ؛ العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ٦٥ — ٦٦ ، ٩٢ — ٩٣ ؛ ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩١ ؛ القصد ، ورقات ١٢٤ — ١٢٥ أ ؛ انظر .

:Corpus, I, 208, 211, 213, 215, 223, 225, 226.

:Syrie, Introd, p.LV—VI : Demomb ; Ency. (art Nâ'ib) t3,p895

عن وصاياه ، انظر . صبح ، ١١ ص ١٣٥ وما بعدها ؛ ماجد، نظم المماليك ، ص ٤٣ وهامش.

عُرِف بنائب غيبة(١) ، الذى يقوم بعمل السلطان فقط إذا غاب السلطان عن البلاد ، وإذا لم يوجد نائب السلطنة ، فلا نجد من المصادر التاريخية ما يدل على وجود المنصبين معاً .

فكان النائب يقوم بعمل السلطان : فيمنح الإقطاعات الخفيفة ، ويعين الأمراء وغيرهم فى المناصب ، وينظر فى المظالم التى تأتى من مراسم الدولة ، وينفذ الأمور من غير مشورة السلطان ، ويكاتب بما يكاتب به السلطان ، كما يغير على منصب الوزير أيضاً ، الذى يصبح بوجوده فى المرتبة الثالثة بعد السلطان والنائب . ولكن السلاطين كثيراً ما أضعفوا هذا المنصب البالغ الأهمية ، فكان يبقى شاغراً ، وهو المنصب الذى لم يُعرف فى عهد الفاطميين ، وإن عُرف فى عهد الأيوبيين(٢) .

أتابك العسكر أو العساكر(٣) ، وهو لقب تركى من أيام السلاجقة . فأتابك أو أطابك ، لفظة مركبة من كلمة أتا أو أطا بمعنى أب ، وكلمة بك بمعنى السيد أو الأمير الذى يربى أولاد الملوك . وهذا اللقب فى أيام المماليك فخرى ، بمعنى أبى الأمراء ، وإن كان دائماً يتولى الوصاية على السلطان الصغير ، وربما كان يحمل المظلة على رأس السلطان فى المواكب

---

(١) صبح ، ٤ ص ١٧ — ١٨ ؛ زبدة ، ص ١١٢ ؛ ابن إياس ، ٣ ص ٢٦ ؛ انظر Corpus, I, p. 210 sqq . كذلك يوجد نواب للمماليك ، وهم نواب السلطان فى الشام . الخطط ، ٣ ص ٢٥٠ س ٥ ؛ انظر . ماجد ، نظم المماليك ، ١ ص ٤٣ وهامش

(٢) حسن المحاضرة ، ٢ ص ٩٨ .

(٣) صبح ، ٤ ص ١٨ ؛ زبدة ، ص ١١٢ — ١١٣ ؛ القصد ، ورقة ١٢٢ ، ١٢٤ ؛ Corpus, I, p. 209 ; Quat : Sult. Mamel, I, p.2n (5) يسمى أيضاً بكلربكي — كما يقول ابن شاهين — وإن كنا لا نعرف سبب التسمية .

الرسمية . وعلى حسب ملاحظة ابن شاهين لم تكن الديار المصرية تخلو من منصبه .

الأمير الكبير(١) ، وهو لقب أكبر الأمراء وأقربهم إلى السلطان ؛ وإن كان يبدو أن منصبه ليس دائماً . فكان السلطان يستشيره فى الأمور ، فلعله هو أمير مشور أو المشير(٢) ، الذى يقول ابن شاهين عنه : إنه إذا حصل مهم وأراد السلطان شيئاً جعل المشير هذا يلقّن مقصوده للأمراء .

أمير حاجب الحجاب(٣) ، ووظيفته تسمى « الحجوبية » ، وهو منصب اشتهر فى أيام الدولة الأيوبية على الخصوص ، ولم يُعرف فى الدولة الفاطمية ؛ وإن كانت أصوله تمتد إلى وقت الأمويين ، الذين كانوا بدأوا يقيمون لهم بلاطاً باذخاً . وكما يظهر من اسمه هو من يحجب السلطان عن الرعية ، فلا يدخل إليه إلا من يريد السلطان رؤيته ، ولا سيما فى مجلسه أو حتى فى موكبه ؛ ليبلغه رغبة الرعية . وقد أصبحت الحجوبية مراتب ، فنسمع عن الحجوبية الأولى أو الكبرى أو حاجب الحجاب ، والثانية ، أو حاجب الميسرة ، ووصل عددهم إلى أكثر من عشرين حاجباً . كذلك .

---

(١) زبدة ، ص ١١٤ ؛ المقصد ، ورقة ١٢٤ ا .

(٢) نفسه ، ص ١٠٦ ؛ نفسه ، ورقة ١٢٥ ا . وبحسب قول Demomb فى Corpus, p. 275 ; n (5) فى Van Berchem, : Syrie, LVII : n(1) قد يكون هو الأتابك ؛ أو واحد آخر من الأمراء الكبار .

(٣) صبح ، ٤ ص ١٩ — ٢٠ ؛ زبدة ، ص ١١٤ — ١١٥ ؛ ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩١ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٣٩ س ٢١ ، ص ٣٥٦ — ٣٥٧ ، ، ٣٦٠ ؛ ابن إياس ، ٢ ص ٤١ س ١٣ — ١٤ ، ٣ ص ١٣ ؛ المقصد ، ورقة ١٢٦ ا ؛ Corpus, I, p. 567.

اتسع منصب الحاجب ، حتى كانت وظيفته تلى النيابة ؛ فكان ينظر فى المظالم إذا لم ينظر فيها السلطان أو النائب . وقد كان عمله فى المواكب فى أول الأمر ، فيمسك بعصا ويسير أمام الموكب ، وينظر فى المظالم . وبعد ذلك ، كان يعقد مجلسه بحضور الأمراء وغيرهم بمراسيم خاصة ، حتى أغار على أعمال القضاء العادية أيضاً . وبذلك خرجت الحجوبية عن منطوقها الأول ، حتى أننا نسمع عن منصب آخر ، اسمه منصب : البواب والبوابين(١) .

الدوادار (٢) ، وهى لفظة فارسية معربة ، تعنى من يحمل الدواة للسلطان ، ولذلك كان رنكه المقلمة . فكان عمله تبليغ أوامر السلطان إلى من يريد بالحضور ، ويقدم إليه كل ماتؤخذ عليه علامة السلطان ، سواء فى رد المظالم أو منح الإقطاعات ، ويحمل إليه البريد ، حيث كان له نائب فى عمله الأخير اسمه حامل المزرة(٣) ، لأنه كان يحمل البريد فى خريطة أى كيس اسمها : المزرة . ولكثرة مهامه عين معه عدد من الخاصكية بلغ عشرة أو أكثر (٤) ، فهم دوادار ثان وثالث . . . ، وإن كان يقال له : أمير دوادار الكبير ، ولوظيفته الدوادارية الكبرى .

---

(١) ابن إياس ، ٢ ص ٤٠ س ، ٢ ص ٤٠ س ٢٦ ، ٤١ س ١٧ .

(٢) صبح ، ٤ ص ١٩ ، ٥ ص ٤٦٢ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٦١ — ٣٦٧ ، ٣٦٨ ؛ حسن المحاضرة ، ٢ ص ٨٤ ؛ زبدة ، ص ١١٤ ؛ القصد ، ورقات ١١٨ ب — ١١٩ P ؛ Dozy : Suppl, I, p. 469 . من دواه العربية ، ودار الفارسية .

(٣) القصد ، ورقة ١١٦ ب ؛ انظر . Quat : Sult, I, p. 219

(٤) ابن إياس ، ٢ ص ٤٠ ، ٤١ س ١٦ — ١٧ ؛ زبدة ، ص ١١٦ س ٤ . بل قيل إن عددهم ثمانين ؛ جعلهم السلطان شيخ ستة . ابن تغرى بردى (P) ، ٦ ص ٤٢٩ — ٤٣٠ .

مقدم المماليك(١)، ووظيفته تسمى : تقدمة المماليك ، وهو يشرف على تعليم مماليك السلطان والأمراء فى الطباق ، التى هى أشبه بالمدارس الحربية ؛ إذ أن جميعها كانت تحت إشرافه . فكان له نائب ، وتحت يده جملة معلمين ، غالبيتهم من خدّام الطباق أو الطواشى(٢) أو الآغاوات(٣) ـ مفردها الآغى (الآغا) — وهم الذين يقومون بالتعليم والتربية فى هذه الطباق .

المهمندار(٤) ، وهى كلمة فارسية مركّبة ، تعنى متلق ضيوف السلطان القادمين من خارج مصر ، أو من خارج القاهرة ، ووظيفته تسمى : المهمندارية ، وهم جماعة(٥) . فكانت توجد قوائم يحتفظ بها المهمندار عن الضيوف فى كل ما يتعلق بهم ، فيكتب تاريخ وصولهم ومكانهم ، وحتى ما كانوا يقدّمونه من هدايا(٦) . وربما كان يتبعه « ناظر الضيافة »(٧) ، الذى يشرف على الصرف على من يرد من الضيوف .

---

(١) صبح ، ١١ ص ١٧٣ ؛ حوادث ، ص ٨٣ س ٧ ، ٤١٧ س ١ ـ ٢ ؛ زبدة ، ص ١٢٢ ؛ ابن إياس ، ٣ ص ٤ س ١٧ ؛ انظر . ماجد ، نظم المماليك ، ١ ص ١٦ـ١٧ .

(٢) الخطط ، ٣ ص ٣٤٧ س ٥ ، ٤ ص ٢١٨ ـ ٢١٩ ؛ انظر . Ency. (art Tawâshi) t4, p. 740.
Suppl, 2, p. 67 : Dozy . أصلها التركى طابوشى .

(٣) ابن إياس ، ٣ ص ٥ س ٩ ؛ Ency. (art Agha) tI, 184 ;
Suppl, I, p. 28. : Dozy

(٤) صبح ، ٤ ص ٢٢ ، ٥ ص ٤٥٩ ؛ الخطط ، ٢ ص ٢٣٩ ؛ القصد ورقة ٢٨ ا . هى من الفارسية مهمان وميهمان ومهمن أى ضيف ، ودار أى ممسك . أنظر . Suppl, 2,p.621. : Dozy

(٥) زبدة ، ص ٨٨ .

(٦) ابن إياس ، ٣ ص ٨ س ٢٣ وما بعدها .

(٧) القصد ، ورقة ١٣٥ ؛ صبح ، ٤ ص ٣٢ . يقول نظر دار الضيافة والأسواق ؛ لأنه يتحصل رسوماً من سوق الخيل والرقيق ونحوهما ، للصرف على الواردين من الضيوف ؛

(ب) الموظفون المختصون بالقصر وأعياده

الجمدار(١) ووظيفته الجمدارية ، وهى لفظة فارسية مركبة ، بمعنى من يتصدى لإلباس السلطان . فكان تحت يده أتباع من الخاصكية يسمون : رءوس نوب جامة دارية ، لعلهم رؤساء ، وكان شعاره البقجة(٢) ، وهى حافظة الملابس .

أمير مجلس(٣) ، وهو الذى يتولى الإشراف على نظام جلوس السلطان الرسمى فى القصر ، أوجده الظاهر بيبرس ، ويشبه صاحب المجلس فى أيام الفاطميين(٤) .

أمير جندار أو جاندار(٥) ، وأساس عمله أن يقوم على حراسة

---

(١) صبح ، ٥ ص ٤٥٩ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٣٩ ؛ زبدة ، ص ١١٦ س ٥ ، ١٢ . من الفارسية جاما أى ثوب ، ودار بمعنى ممسك .
انظر . Quat : Sult. I, p. 11 n (11) : Dozy : Suppl, I, p. 212
كذلك كان يطلق عليه ماسك البقجة . حسن المحاضرة ، ص ٨٥ . كانوا يحضرون مع السلطان تحرس له فى بعض مجالسه . الخطط ، ٣ ص ٣٣٩ .

(٢) عنها ، انظر . قبله .

(٣) زبدة ، ص ١١٤ س ١٠ ؛ حسن المحاضرة ، ٢ ص ٨٥ ؛ صبح ، ٥ ص ٤٥٥ ؛ فى مكان آخر ، يذكر القلقشندى أنه يتحدث على الأطباء والكحالين ، ويترك بياضاً مما يدل على خطأ فى معرفة أحوال منصبه (صبح ، ٤ ص ١٨) ؛ ولكنا نرى أن منصبه فى الإشراف على المجلس .

(٤) صبح ، ٣ ص ٤٨١ ؛ انظر ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٣١ .

(٥) قصه ، ٤ ص ٢٠ ، ٥ ص ٤٦١ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٦٠ — ٣٦١ ؛
: Quat : Suppl, I, p. 168 : Dozy : Ency. (art Djāndār) tI, p.1043
Sult. : Maml, I, p. 14 n (15).
هو لفظ مكون من كلمة « أمير » العربية ، و « جان » الفارسية أو التركية ، بمعنى الأخ ، و « دار » بمعنى ممسك ؛ فالمقصود هو الأمير الممسك بالروح ، أى يقتل من يأمره السلطان به ، وهو منصب عرف عند السلاجقة . الكامل ، ٩ ص ٩٥ .

السلطان فى المجلس ، ومعه المسمون : البزدارية أو بردارية(١) . كذلك يحرس السلطان فى الخروجات عن طريق من يسمون : الركبدارية أو الركابدارية أو الركابية(٢) ، أى الذين يركبون الخيل ، وهم يحملون أيضاً آلات السلطان وأشعرته ؛ فيكون الأمير جندار على رأسهم . كما يحرسه فى القصر عن طريق من يسمون : الجندارية أو جاندارية(٣) ، الذين بلغ عدد رؤسائهم عشرة أمراء جندارية . وربما يقوم أيضاً بحراسة حريم السلطان عن طريق فرقة اسمها : «الحرامانية»(٤) ، أى رجال الحريم . فكانت له سلطة كبيرة على المماليك عموماً ؛ فيقوم بتأديبهم وسجنهم وقتلهم إذا لزم الأمر — إذ اسمه يعنى ذلك — وله سجن خاص اسمه : الزردخاناه(٥) ، الذى وُصف على أنه لا تطول مدة من يعتقل فيه .

الجاشنكير(٦) ، الذى يتصدى لتذوق الطعام والشراب قبل السلطان ،

---

(١) صبح ، ٤ س ٢٠ ، ٥ س ٤٦٨ — ٤٦٩ ؛ الخطط ، ٣ س ٣٦٠ ؛ انظر.
Suppl, I, p. 68—9. : Dozy
مفردها برددار ، وهى من «برده» ، و «دار» ، إذ الأولى يعنى مدخل أوستارة ، والثانية ممسك ، والمراد من يكون على باب المجلس ؛ وإن ذكرت وظيفته فى الديوان ؛ مما يبين تفهم منصبه . صبح ، ٥ س ٤٦٨ — ٤٦٩ .

(٢) صبح ، ٤ س ٧ ؛ السلوك ، ١/٢ س ٤٤٠ وحاشى ؛ الخطط ٣ س ٣٢٦ س ١٩ — ٢٠ ؛ انظر .
Suppl, I, p.552, 554. : Dozy ; Ency. (art Rikâbdâr) t3, p.1240—4.
مفردها ركبدار أو ركابدار ، وهم تابعون أصلاً الركاب خاناه ، كما ذكرنا ، حيث توجد السروج وغيرها .

(٣) الخطط ، ٣ س ٣٦٠ ؛ زبدة ، س ١١٥ س ٥ . ويقال لهم أيضاً الجنادرة .
Suppl, I, p. 168. : Dozy

(٤) الخطط ، ٣ س ٣٦٠ س ٢٧ .

(٥) نفسه ، ٣ س ٣٦٠ — ٣٦١ ؛ ماجد ، نظم المماليك ، ١ س ١٣٦ — ١٣٧ ؛
Suppl, I, p. 5 4 : Dozy
هى مكان السلاح أو الدروع ؛ وإن قصد بها هنا السجن .

(٦) صبح ، ٤ س ٢١ ، ٥ س ٤٦٠ ؛ Corpus, I, p. 228 . وهى كلمة مكونة من جاشى ومعناها ذوق ، وكير معناها المتناول . أنظر : Quat
Sult. Maml. I, p. 2 n (4)

(م — ٤ نظم دولة سلاطين المماليك)

فى الولائم « الأسمطة » ، خوفاً من أن يدس فيه سم أو نحوه ، وكانوا عدة أشخاص « جاشنكيرية »[١] ، على ما يبدو ؛ فكان رنكه صورة مائدة صغيرة « خونجا »[٢] ؛ لتدل على وظيفته . فكان يتبعه السقاة جمع ساقى ، وهم يمدون الأسمطة ، ويقدمون الشراب ونحو ذلك ، منهم سقاة خاص[٣] ، الذين يؤخذون من الخاصكية ، وبلغ عددهم عشرة ، يرأسهم ساقى الملك أو رأس نوبة السقاة[٤] ، الذى شعاره الكأس .

نقيب الجيش (أو الجيوش)[٥] ، يحلى الجند فى الموكب ، وتحت يده النقباء لاستدعاء الجنود .

السلاحدار[٦] ، يسير على رأس فرقة تسمى : سلاحدارية أو السلاح دارية ، جمع سلاحدار ، يحملون سلاح السلطان فى الموكب ، منهم أربعة سلاحدارية الخاص[٧] ، ربما لأنهم كانوا يحملون أسلحة السلطان الثمينة ، ولم يُعرف منصبه من قبل عند المغول ، أوجده بيبرس . كذلك كانت توجد منهم طوائف لكل نوع من الأسلحة ، مثل : الزردكشية ، وهم لابسو الدروع ، والزح دارية حاملو الرمح ، والحرب دارية حملة الحراب[٨] .

---

(١) زبدة ، ص ١١٦ س ١٠ .

(٢) المنهل ، ص ٥ ؛ انظر قبله .

(٣) صبح ، ٥ ص ٤٥٤ ؛ زبدة ، ص ١١٦ ؛ ابن إياس ، ٢ ص ٤٠ س ٢٦ ، ٤١ س ١٧ .

(٤) ابن بطوطة ، ٢ ص ٢٤ ؛ ابن إياس ، ٣ ص ٤ س ١٦ .

(٥) صبح ، ٤ ص ٢١ ، ٥ ص ٤٥٦ ؛ حسن المحاضرة ، ٢ ص ٨٤ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٦٢ ؛ زبدة ، ص ١١٥ .

(٦) صبح ، ٥ ص ٤٦٢ . أنظر . ملاحظتنا عن أمير سلاح ؛ وقبله .

(٧) زبدة ، ص ١١٦ س ٥ — ٦ .

(٨) النويرى ، نهاية الأرب ، ٨ ص ٢٢٧ .

حامل الجتر أو ما يسمى أيضاً القبة أو الطير أو المظلة[١] ، فهي أشبه بالمظلة عند الفاطميين ، في أعلاها شكل طير ، تُحمل على رأس السلطان في الموكب ، وربما كان يحملها أتابك العسكر كما ذكرنا

الجمق دار[٢] ، يحمل الدبوس أو العصاة ، وهي شعار السلطان في الموكب ، وربما كانوا جماعة ، إذ نسمع عن الج ـدارية ، أي حملة الدبابيس .

الطبر دار أو أمير طبر[٣] ، يحمل الطبر وهو الفأس الذى كان من شعار دولة المماليك ، وتحت يده الطبر دارية[٤] ، الذين يحملون الفؤوس أيضاً . وكان هؤلاء الأخيرون عادة من أولاد الأجناد يحيطون بالسلطان مشاة في الموكب .

العلم دار[٥] ، وهو الذى يمسك العلم في الموكب .

السنجقدار أو السنجق دار[٦] ، يحمل في الموكب علماً اسمه السنجق ، وهي كلمة تركية تعني اللواء ، يُوصف بأنه علم صغير يوضع في راس رمح ، وكان يسير معه في المواكب السناجق ، الذين يحملون رايات صغاراً أيضاً .

المحفدار[٧] ، يتصدى لخدمة المحفة ، وهي عبارة عن هودج ، ربما إذا أراد السلطان الركوب .

---

(١) أبو المحاسن (P) ، ٦ ص ٢١٨ ، ٥٠٨ ؛ انظر . بعده .

(٢) زبدة ، ص ١١٦ ص ١٠ ؛ انظر . بعده .

(٣) نفسه ، ص ١١٥ س ٤ ؛ صبح ، ٤ ص ٢٢ ، ٥ ص ٤٦٢ ؛ القصد ، ورقة ١٢٧ ا ، ١٢٨ ؛ انظر . بعده وقبله .

(٤) زبدة ، ص ١١٦ س ١٠ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٢٦ ، ٣٤٠ س ٨ .

(٥) صبح ، ٥ ص ٤٦٣ . أنظر . ملاحظتنا عنه بخصوص الطبلخاناه .

(٦) صبح ، ٥ ص ٤٥٨ ؛ القصد ، ورقة ١٢٩ ا ؛ أنظر .
؛ Syrie, p. XCVII ; Demomb ; Ency. (art Sandjak) t4, p.154 sqq.
انظر . قبله ؛ وبعده .

(٧) صبح ، ٥ ص ٤٧٠ .

الباشمقدارية[١] ، جمع البشمقدار . وهم أربعة يحملون النعل للسلطان ، وربما لضيوفه .

الجاويشية[٢] . جمع جاويش أو جاووش أو شاويش . وهم الصياح ، الذين ينادون على العسكر فى الموكب أو حمل الرايات .

الدبندار[٣] . جماعة من صغار المماليك « مشتروات » : تعلموا صناعة ضرب الطبل والزمر ، وأتقنوه إلى الغاية .

البازدارية أو البزادرة[٤] ، جمع البازدار ، أى الذين يحملون طيور الصيد من الجوارح(٥) ، وبخاصة « الباز » ، يرأسهم موظف خاص اسمه : البازدار . وربما هؤلاء هم الذين كانوا يسمون أيضاً : سواقى الطير .

البندقدار[٦] ، يحمل جراوة البندق الذى يرمى به فى الصيد ، وهو الرصاص أو الطين أو الحجر ، الذى يُرمى بقوس تُعرف باسم قوس البندق أو بغيرها .

---

(١) صبح ، ٥ س ٤٥٩ ؛ زبدة ، ص ١١٦ . س ٠ بشمق أو بشماق ، كلمة تركية . تعنى النعل . أنظر . Dozy : Suppl, I, p. 91

(٢) الخطط ، ٢ ص ٢٤٠ س ٨ ؛ القصد ، ورقة ١٢٢ (١) . عن هذه الكلمة ، انظر ، Dozy : Suppl, I, p. 169 ؛ Quat : Suit I, p. 136 n (10). هى كلمة تركية .

(٣) النجوم (P) ، ٦ س ٢٥٦ (فى آخر الصفحة) ؛ صبح ، ٤ س ٨ ؛ انظر . ماجور ، العصر المماليكى ، ص ٤١٥ .

(٤) صبح ، ٥ س ٤٦٩ ؛ Ency. (art Byzara) 2ed, I, p. 1186 sqq ؛ Dozy : Suppl, I, p. 81 ؛ مفردها بازدار أو بزدار ، ومعلمهم هو البيزدرة أو البزدرة .

(٥) زبدة ، ص ١١٦ س ٣ . هكذا يفهم من النص .

(٦) صبح ، ٥ س ٤٥٨ — ٤٥٩ . البندق كلمة فارسية . أنظر . Dozy : Suppl, I, p. 117—118 ؛ وبعده .

الـكلابزية[1] ، وهم يهتمون بكلاب الصيد ، وهى أعداد كبيرة ، بنفت خمسين أو ثمانين جوقة .

الجوكاندار أو جكندار[2] ، وهو الذى يحمل عصا السلطان التى يلعب بها الـكرة ، وشعاره صولجان ، وربما كانوا جماعة: «جوكان دارية» .

(ح) حرس القصر ، ونقصد بهم حرس حجرته وباب قصره ، وهم ليس لهم علاقة بالشرطة ، أو بحرس السلطان فى الموكب أو المجلس ، فنميز منهم :

١ — أرباب النوبة[3] ، وهم لحراسة حجرة السلطان ، أو حراسته فى وقت خروجه[4] فى المواكب ، عددهم أكثر من خمسة وعشرين[5] ، لهم رؤساء يسمون: رءوس نوب جمع رأس نوب ، وهم أول وثان وثالث ، لهم رئيس يسمى : رئيس نوبة النوب أو رأس نوبة الأمراء ، أو الأمير الـكبير ، أو رأس رءوس النوب ، أى أعلاهم . ولمكانته فى البلاط سمى : بالأخ أو الجناب الـكبير ، وهو السفير بين المماليك والسلطان . ويبدو أن كلمة نوبة مشتقة من النوبات التى تعنى من يؤدون عملهم فى نوبات معينة ، حيث يكون الليل مقسوماً بينهم بساعات الرمل ، وهى وظيفة أحدثها الظاهر

(١) الخطط ، ٤ ص ١٢٤ ؛ السلوك، ٢ / ٢ ص ٥٣١ ؛ القصد، ورقة ٢٢٧ ب .

(٢) صبح ، ٥ ص ٤٥٨ ؛ القصد ، ورقة ١٢٢ ا . الجوكان من كوى أى المحجن الذى تضرب به الـكرة ، وهو أيضاً الصولجان ؛ ودار معناها ممسك أو صاحب ، والـكلمة بمعنى حامل الجوكان .

; Persian—English. Dict: Steingass
; Suppl, I, p. 235. : Dozy
Sult Maml, I, p. (2) no (4). : Quat

(٣) صبح ، ٥ ص ٤٥٥ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٤٢ س ٨ وما بعدها ؛ القصد ، ورقة ١٧٥ ب ؛ Corpus, I; p. 240—241

(٤) مثلاً عند خروجه المقياس. ابن إياس (K. M.) ٤ ص ٢٩٢ س ١٥ .

(٥) صبح ، ٢ ص ٤١ س ١٦ . أو أقل من عشرة . زبدة ، ص ١١٥ س ٢ .

بيبرس ، وكانت معروفة عند التتار[1] . فكانت حراستهم للسلطان ليل نهار ، بل إن السلطان كان يُخرج لهم الطعام كل ساعة في الليل ، وأطباق الحلوى ، والماء البارد ؛ وذلك ليتشاغلوا به عند النوم ؛ وإن كان البعض الآخر يتشاغل بلعب الشطرنج ، أو القراءة في المصاحف[2] .

٢ — حرس الباب ، وهم جماعة من الأمراء المعروفون بالطبلخانات ، الذين يقومون بالزفة على باب قصر السلطان ، وهي : طبول . وأبواق « شبابة » ، وصنجات من نحاس « كوسات » يدق أحدها على الآخر بإيقاع مخصوص . فقد كان يدق على بابه : أربعون حملاً من الكوسات ، وأربعة طبول دهول ـ أي نصف دائرية ـ وأربعة زمور ، وعشرون نفيراً . فكانت هذه الزفة تدق مرتين في القلعة في كل ليلة ، ويُدار بها في جوانبها وتسمى : الدورة . كذلك تدق في السفر إذا سافر السلطان ؛ فتدور حول خيامه ؛ وحتى عند توليته ، وهذه الأخيرة تُعرف بدق البشائر[3] .

(ى) موظفون آخرون في البلاط :

ناظر بيت المال[4] ، وهو يُشرف على بيت المال الموجود بالقلعة ، وكان لمركزه الجليل مكانة بين موظفي القصر[5] ، وتحت يده الصيرفة والشهود والكتاب . وربما كان يتبعه وكالة بيت المال ، التي عملها التحدث في المبيعات

---

(١) حسن المحاضرة ، ٢ ص ٨٥ .

(٢) الخطط ، ٣ ص ٣٤٢ .

(٣) صبح ، ٤ ص ٨ — ٩ ؛ حوادث ، ص ١١٨ ؛ انظر . بعده . يقول القلقشندي . مرة بعد العشاء الآخرة ، ومرة قبل التسبيح على المآذن ، ربما لبعث الفجر .

(٤) ابن إياس ، ٢ ص ٣٩ س ١٧ .

(٥) الخطط ، ٣ ص ٣٢٣ س ٦ ، ٣٦٤ — ٣٦٥ ؛ انظر ، . فقه نظم المماليك ، ١ ص ٨٠ .

والمشتروات[١] ، لما فى معنى الوكالة من المتاجرة . وربما كان يتبعه أيضاً نظار الحاصلات أو الجهات ، التى تحمل إلى بيت المال أموالاً من جهات معينة[٢] .

ناظر الخاص[٣] ، أو حتى ناظر الأصل[٤] ، وهو الذى يشرف على الديوان الخاص بمال السلطان ، وأيضاً مصانع النسيج الحكومى المسماة : « دار الطراز » ، المنتشرة فى البلاد على الخصوص فى الإسكندرية ، التى تصنع فيها الأقمشة ، وعلى الخزانة الكبرى أو خزانة الخاص ، التى كانت تخزن فيها أو تصنع الخلع والتشاريف ، التى يمنحها السلطان لمن يريد . فكان يعاونه فى عمله عدة موظفين منهم : شاد الخاص ، وشاد القصر[٥] ، ومقدم الخاص[٦] ، ومستوفى الخاص ، وكتاب لديوان الخاص ؛ وحتى ناظر خزانة الخاص .

ناظر المفرد[٧] ، وهو النظر فى بعض شئون السلطان المالية ، ويتبعه عدة موظفين .

ناظر الكسوة[٨] ، يشرف على صناعة الكسوة التى تصنع فى مصر للكعبة ، ولعله هو ما يسميه ابن شاهين : ناظر المحمل ، حيث كانت

---

(١) صبح ، ٤ ص ٣٦ .

(٢) نفسه ، ٤ ص ٣٣ .

(٣) نفسه ، ٤ ص ٣٠ ، ١١ ص ٤٢٦ ؛ زبدة ، ص ١٠٧ — ١٠٨ ؛ قبله : نظم المماليك ، ١ ص ٧٨ . أحدثها محمد بن قلاوون . عن كلمة طراز ، انظر . بعده .

(٤) صبح ، ١١ ص ٤١٩ .

(٥) زبدة ، ص ١١٥ س ٥ — ٦ .

(٦) صبح ، ٥ ص ٤٦٨ .

(٧) زبدة ، ص ١٠٧ ، ١١٥ ؛ صبح ، ٣ ص ٤٥٧ س ٤ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٦٣ ؛ انظر . قبله : نظم المماليك ، ١ ص ٧٨ وهامش (٧) .

(٨) صبح ، ٤ ص ٥٧ س ١٢ — ١٣ ، ٨ ص ٢ ؛ زبدة ، ص ١١٥ س ١١ . [حيث هذا الأخير لا يذكر ناظر الكسوة] ؛ Van Berchem : Corpus, I, pp. 340-47.

الكسوة تحمل على جمل ، ويُطاف بها فى القاهرة أمام أنظار الجمهور ، قبل تحرك موكب الحجاج .

نقيب الأشراف[١] ، وهو يهتم بذوى الأنساب ، ويتبعه ناظر[٢] .

المؤذنون[٣] ، يعملون فى جامع السلطان بالقلعة ، وعددهم عشرون مؤذناً .

رئيس الأطباء[٤] ، وهؤلاء جملة يصحبون السلطان حتى فى أسفاره؛ إذ كان يحمل معه مارستاناً أى مستشفى[٥] .

*

(ذ) **حريم السلطان**[٦] : لا نعلم شيئاً هاماً عنهن ، وإنما يُشار إليهن أيضاً باسم : الستارة أو الستور ، أو الأدر الشريفة . ولا ريب فى أن أعدادهن كبيرة ، وأنهن من كل الأجناس . فنعرف بأنه كان للناصر محمد بن قلاوون ألف ومائتا وصيفة مولّدة[٧] - أى حظايا من أصل أجنبي - غير زوجاته ، ونساء أخريات تعمل فى القصر . وقد كان السلطان

---

(١) ابن إياس ، ٣ ص٤س ٩ ؛ المقصد ، ورقة ١٣٣ ؛ صبح ، ٤ س٣٧ — ٣٨ . يقول النص إنها نقابة لولد على بن أبي طالب ، وأنها كانت فى زمن الخلفاء المتقدمين تعرف بنقابة الطالبيين . ولا نعرف سبب التخصيص ؛ ربما لأن الخليفة العباسى — الذى نقلت خلافته من العراق إلى مصر بعد غزو المغول — هو المسئول عن ذوى الأنساب من ولد العباس عم النبي ، الذين هم من أقرباء النبي ، وذوى الرحم أيضاً .

(٢) زبدة ، ص١١٥ س ١٤ . (٣) الخطط ، ٣ ص ٣٤٥ .

(٤) ابن إياس ، ١ ص ٣٠٣ س ٢١ ؛ صبح ، ٥ ص ٤٦٧ .

(٥) الخطط ، ٣ ص ٣٢٥ .

(٦) زبدة ، ص ١٢١ — ١٢٢ ؛ السلوك ، ٢ ص ٧٦٤ ؛ صبح ، ٣ ص ٣٧١ — ٣٧٢ ؛ الأدر لعلها من الدور التى تبنى للزوجات الأربع ، والستارة بمعنى الحريم بما فيهن من الخطايا والجوارى . عن ستارة ، انظر Dozy : Suppl, I, p. 632.

(٧) الخطط ، ٣ ص ٣٤٤ .

وكبار المماليك يشترون أعداداً كبيرة من الجوارى . ومع هذا ؛ فيجب أن نذكر أن بعض السلاطين كان يكتفى بالزوجة الواحدة ، ولم يتزوج عليها[1] .

وكان على رأسهن زوجات السلطان الأربع ، اللاتى يسمين : خوندات[2] وهى كلمة تركية ، أو حتى خاتون - جمعها خاتونات أو خواتين[3] - وهى كلمة عربية محرّفة من الكلمة المغولية « قادين » ، وكان يشاركنهم فى هذا اللقب الأم أو الأخت للسلطان ، وذلك دون لقب الملكة ، الذى عُرف فى عهد الفاطميين[4] . فكانت أقربهن للسلطان تسمى : خوند الكبرى ، وتليها الثانية ، إلى الرابعة ؛ مما يدل على أنهن درجات . فكان السلطان يخصص داراً فخمة لكل منهن - ربما منها كلمة الأدر[5] أو الدور - يحيط بها البساتين والأشجار والطيور والحيوانات الجميلة ؛ حيث يقول ابن شاهين إن وصف بيوتهن يحتاج إلى مجلدات . وكان لبعضهن تخوت - أسرّة - مرصعة مذهبة ومفضضة ، وأدوات لفرشها « بشاخين »[6] ، ومواعين من ذهب وفضة ، وربما جهاز للإضاءة « منارة » من ذهب عليها جوهرة تضىء بالليل . وكان لهن رواتب تسمى : رواتب الدور[7] ، وقد بلغ من غنى إحداهن أنها تركت بعد وفاتها أكثر من ستمائة ألف دينار .

---

(١) حوادث ، ص ٣٢٩ .

(٢) عن هذه الكلمة ، انظر : Quat
Sult. Mamel. trad, lère, p. 64 n(96).

(٣) عنها ، انظر . المقصد ، ورقة ٨٦ ؛ الباشا ، الألقاب ، ص ٢٦٤ — ٢٦٥ ؛
Ency. (art Khâtûn) t 2, p. 987.

(٤) السجلات المستنصرية ، تحقيق ماجد : ٣٥ و ٤٣ و ٥١ و ٥٢ .

(٥) تسمى أيضاً القياع ؛ ولكل منها اسم خاص ، منها : البيسرية ، والعوامية ، ورمضان ، والظاهرية ، والملقة ؛ وإن كانت الأولى المقدمة . زبدة ، ص ٢٦ — ٢٧ .

(٦) هى كلمة فارسية ، مفردها « بشخانة » . عنها ، انظر .
Suppl. p. 88. : Dozy

(٧) الخطط ، ٤ ص ١٢٤ س ٢٥ .

وبجانب هؤلاء توجد الخطايا أو من كن يُعرفن بالسرارى[١] - مفردها سرية - بلغ عددهن أربعين ، وإن زدن إلى أكثر من ألف كما ذكرنا . فكانت تقام لهن قاعات - أى أماكن خاصة - لا تقل فى فخامتها عن دور الزوجات ، أشهرها ما بنى فى عهد الناصر محمد ، وسميت : السبع قاعات[٢] . كذلك وجدت الجوارى[٣] ، اللاتى يقمن بأعمال الخدمة العادية لزوجات السلطان وسراريه ، وأحياناً بأعمال خاصة ؛ فقد كان منهن من هى صاحبة وظيفة ؛ حيث كانوا جملة مستكثرة من جميع الأجناس . هذا بالإضافة إلى وجود مراضع ودادات للأطفال ؛ وبلانات[٤] ، وهن من يقمن بحمام الزوجات والسرارى وتمشيطهن . فكان لهؤلاء النساء الجوارى مرتبات ، تسمى : « جوامك الجوارى »[٥] .

وكان يشرف على خدمة الزوجات والسرارى عديد من الرجال ، على رأسهم الطواشية[٦] - أى الخصيان - الذين كان يُطلق عليهم أيضاً « الكتابية » ، أى الذين يعملون فى الأماكن المحرّمة . وقد بلغوا جملة مستكثرة حتى وصل عددهم ستمائة ، لهم رؤساء يسمون : أعيان الطواشى ؛

---

(١) عنهن ، انظر . Dozy : Suppl, I, p 644 . كان يطلق عليهن أيضاً : الستات ؛ فيقول ابن إياس : الخوندات والستات . بدائع الزهور (K. M.) ، ٤ ، ص ٤٠٥ .

(٢) الخطط ، ٣ ص ٣٤٤ . بنيت فى عهد الناصر محمد بن قلاوون ؛ كما عرف قاعة أخرى اسمها : البيسرية . زبدة ، ص ٢٧ .

(٣) زبدة ، ص ١٢١ — ١٢٢ .

(٤) عن هذه الكلمة ، انظر : Dozy : Suppl I, p. 151

(٥) الخطط ، ٤ ص ١٢٤ س ٢٥ . عن كلمة جامكية ، انظر . Dozy : Suppl, I, p. 168 : ماجد ، نظم المماليك ، ١ ص ١٤٣ هامش (٢) .

(٦) زبدة ، ص ١٢٢ . كلمة « طواشى » تركية ، ولعل أصلها من الطاووس التعبير عن الرجل الجميل والذى يهتم بالتجميل ... انظر . الخطط ٤ ص ٢١٨ — ٢١٩ ؛ قبله : ماجد ، نظم المماليك ، ١ ص ١٦١ وهامش . ولعل « الكتابية » — وهى صفة أتت من كتب أى مكان خفى ... انظر : Dozy : Suppl, I, p. 491.

وإن كان منهم من كانوا يخدمون أيضاً فى الطباق وغيره . وقد حدد أربعة منهم لكل زوجة من زوجات السلطان ؛ وإن كنا لا نعرف عددهم للسرارى . كذلك كانت الزوجات يملكن المماليك ، الذين يسيرون فى مواكبهن ، يحملون المشاعل والشموع والفوانيس[1] . كما يوجد الخدم أو من يُعرفون بخدم الستارة[2] ــ أى الحريم ــ وهم يقومون بتصريف الأشغال ، وعمل البوابين للحراسة ، وأيضاً السقائين لجلب الماء ، والحوائج ــ كاشية[3] ، الذين يقومون بأمور الطبخ وجلبها للنساء . وقد سمعنا عن : ساقى خوند[4] ؛ وهو الذى يشرف على تقديم الطعام لزوجة السلطان ، وسق المشروب ونحو ذلك . فكان على رأس هؤلاء جميعاً موظف كبير من الطواشية ، هو زمام الآدر[5] ، ووظيفته تسمى : الزمامية . ومع ذلك ، فيبدو أن الجاندار كان يحمى نساء السلطان جميعاً عن طريق فرقة خاصة تُعرف باسم : الجرامانية[6] ، أى حماة الحريم .

هذه خلاصة لنظام بلاط المماليك ، الذى لم تعرف له مصر مثيلاً من قبل .

---

(١) حوادث ، ص ٢٢٩

(٢) زبدة ، ص ١٢٢ .

(٣) منها ، انظر : Dozy : Suppl. 2, p. 435.
هى لفظة مركبة من « حوائج » العربية ، و « كاش » الفارسية ؛ وهذه الأخيرة بمعنى القائم بها .

(٤) ابن إياس ، ٣ ص ٤ س ١٧ . عن منصب الساقى : صبح ، ٥ ص ٤٥٤ .

(٥) صبح ، ٥ ص ٤٥٩ — ٤٦٠ ؛ زبدة ، ص ١٢٢ ؛ القصد ، ورقة ١٢٧ (١) ؛ Corpus, I; 159; 187; 336.
الزمام تحريف من الزنان — وهى فارسية — تعنى النساء .

(٦) الخطط ، ٣ ص ٣٦٠ .

الفصل الثاني

الرسوم أو الأعياد

كان أهم ما يميز بلاط المماليك حفلاته الباذخة ، وهى التى اشتهرت فى قصص ألف ليلة وليلة . فكانت هذه الحفلات تتألف من الرسوم الملوكية أو رسوم المملكة (أو السلطنة)(١) ، تتبع بدقة فى المناسبات الرسمية ، التى يشترك فيها السلطان والأمراء ، ورجال الدولة ، فى أيام مشهودة أثناء العام .

وقد عرفت مصر من قبل رسوماً واضحة فى بلاط الفاطميين فى مصر(٢) ، حيث وصلنا عنها وصف ، لا نجده لبلاط إسلامى سابق أو لاحق فى مصر أو فى غير مصر . وربما يكون الأيوبيون الذين ورثوا الفاطميين فى مصر ، لم يهتموا برسوم بلاطهم اهتمام الفاطميين ؛ بسبب أنهم شغلوا طوال حكمهم بالحروب . ثم إنهم كانوا من السنة أعداء الشيعة ، فعملوا على القضاء على كل ما يتعلق بالفاطميين ، بما فيها رسوم الخلافة الفاطمية(٣) ، حتى يعوّدوا شعب مصر نسيانهم . ولهذا ؛ فإن معلوماتنا عن رسوم بلاط الأيوبيين ضئيلة جداً .

---

(١) الخطط ، ٢ ص ٢٣٦ س ١٣ ، ١٧ ، ٣٤١ س ٢٧ .

(٢) مثلاً : نفسه ؛ وصبح الأعشى ، والنجوم الزاهرة ؛ انظر. ماجد ، نظم الفاطميين ٢ ص ٣٩ وما بعدها .

(٣) الخطط ، ٢ ص ١٧٥ س ١٠ ، ١١ . يقول أبطل ركوب العاضد ..

ولكن المماليك هم الذين أحيوا رسوم مصر الإسلامية بنفس البذخ الذى كان فى أيام الفاطميين ، على الرغم من أنهم شُغلوا أيضاً بحروب عديدة ؛ وإن كان ما وصلنا عن رسومهم لا يقارن بما وصلنا عن رسوم الفاطميين ؛ ومع هذا فهو يكفى لرسم لوحة مميّزة لهم . ولا يبدو أن رسوم المماليك ظهرت فى أول عهد دولتهم ، التى لم تكن قد توطدت بعد ؛ وإنما فى عهد السلطان بيبرس ، الذى يُعتبر المؤسس الحقيقى لدولتهم ؛ فيقول ابن إياس إن بيبرس عمل المواكب(١) ـ وهى خروجات السلطان الرسمية ـ وإن استقرت هذه الرسوم فى عهد الناصر محمد بن قلاوون ، الذى تولى حكم مصر لمدة طويلة ، حيث يذكر ابن إياس أيضاً أنه أول من رتب المواكب فى القصر على هذا الترتيب الحسن(٢) ؛ مما يبيّن أنها اتخذت شكلاً ثابتاً . ومع هذا ، فإن رسوماً جديدة ، قد أُضيفت فى بلاط مماليك مصر طوال حكمهم فيها .

ولا ريب ، فثراء مصر فى عهد المماليك ، الذى أتى نتيجة لاستغلاله مركزها التجارى فى وسط القارات إلى أقصى حد ، بحيث كانت دولتهم ذاتها تقوم بعمل التاجر ، ثم اتساع دولتهم إتساعاً كبيراً بطرد الصليبيين من الشام ، الذين لم يستطع الأيوبيون اقتلاعهم منها ؛ كان كل هذا سبباً فى ظهور رسوم بلاط المماليك ، وطبعها بطابع خاص من الأناقة والبذخ . ومع ذلك ؛ فيبدو أن المماليك ختموا هذه الرسوم الباهرة فى مصر فى العصور الوسطى ؛ فيذكر المؤرخون ، أنه بعد زوال دولتهم على

---

(١) ابن إياس ، ١ ص ٩٩ س ١٢ .

(٢) نفسه ، ١ ص ١٢٣ س ١٧ — ١٨ .

يد العثمانيين ، لم تعد لحفلات الدولة العثمانية بهجة(١) ؛ كما أن أحد الشعراء يتعذب عند ذكر حفلات المماليك الباهرة(٢) .

وليس من عملنا ـ هنا ـ المقابلة بين رسوم بلاط المماليك وغيرها ؛ فهذا يستدعي دراسة مفصّلة . ولكنّنا نشير أن رسوماً كثيرة للمماليك تشبه رسوم الفاطميين على الخصوص ؛ وإن امتدت أصولها إلى رسوم ظهرت في بلاط مصر قبلهم ، منذ الفراعنة . فقد كان المماليك يحتفلون بأعياد مصرية خالصة ، مأخوذة من التقاليد المصرية القديمة ، في موسم فيض النيل ؛ كما كانوا يحتفلون بالأعياد الإسلامية ، التي ظهرت بتحول المصريين إلى الإسلام .. وفوق ذلك ؛ فإن انتقال الخلافة العباسية السنية إلى مصر في عهد المماليك بعد سقوطها في بغداد ، صبغ رسوم المماليك بصبغة سنية أكيدة ؛ فلم نعد نسمع عن الأعياد الشيعية الفاطمية ، التي حذفت في الواقع منذ الأيوبيين . وأخيراً ؛ فإن المماليك ، الذين أتوا من أماكن متعددة ، ولا سيما من بلاد الترك في آسيا ، جاءوا بمؤثرات أسيوية لرسومهم ، لم تعرف من قبل في بلاط مصر .

فكانت رسوم المماليك تشتمل على أعياد إسلامية ، وأعياد مصرية شعبية ، وأعياد قبطية ، وحتى أعياد خاصة بالمماليك ؛ نعرضها على هذا النحو :

(ا) أعياد عامة ، يشترك فيها السلطان والأمراء ورجال الدولة ،

---

(١) نفسه ، ٣ ص ١٢٧ [في آخر الصفحة] .

(٢) نفسه ، ٣ ص ١٢٩ .

وتشتمل على : ١ — المواكب فى الشوارع ٢ — والجلوسات فى القصر ٣ — والأسمطة أو المآدب .

(ب) أعياد خاصة ، ذات صبغة شخصية تتصل بالمماليك أنفسهم ، وبأعياد قطبة ، تشارك فيها الدولة ، ويبتهج بها الشعب من قبط ومسلمين .

*

(أ) الأعياد العامة

١ — المواكب

وهى ما يُعرف بالمواكب السلطانية(١) ، ويُقصد بها خروج السلطان فى موكب رسمى فى الشارع ، وقد لبس ومن معه زيّهم ، وحملوا شعارات تدل عليهم ، وذلك فى مناسبات معلومة ، خلال العام .

وهذه المواكب أهم غايتها إبراز ما للطبقة الحاكمة من نفوذ أمام الشعب . فكان السلطان والأمراء يخرجون فى هذه المواكب ، وقد أحاطوا أنفسهم بأكبر عدد من مماليكهم ، إذ يقال إن مقام الأمراء بعدد مماليكهم(٢) . وعلى النقيض مما كان موجوداً فى مواكب الفاطميين ، فإنه لم يكن يشترك رجال مدنيون فى مواكب المماليك إلا القليل .

ومن ناحية أخرى ، كان لكل موكب صبغة حربية قومية للتأثير فى الناس ، والرفع من هيبة الدولة . فكانت طائفة هامة فى جيش

---

(١) زبدة ، ص ٢٦ س ٩ ، ٨٦ وما بعدها ؛ ابن إياس ، ٢ ص ٢٦٥ س ٢٠ .

(٢) المقريزى ، كتاب السلوك (مخطوط بدار الكتب ، برقم ٤٠٥) ، ٢ / ٤ ، ورقة ٤٣٤ . أوردها على إبراهيم ، المماليك البحرية ، ص ٣٠٠ ؛ انظر قبله : ماجد ، نظم المماليك ، ١ ص ٢٧ .

المماليك ، وهى جند الحلقة(١) ، الذين معظمهم من غير المماليك من أولاد الناس الأحرار ، يحضرون هذه المواكب مع مقدميهم(٢) . كما أن جماعات أخرى ضرورية لإبراز أبهة الموكب والتأثير فى الناس ، مثل جماعات دق الطبول والصنوج والأبواق .

وكما يبدو ، فإن المواكب السلطانية هى من رسوم الدولة ، تبرز نفوذ طبقة المماليك وهيبتهم .

*

الزى :

وقد كان السلطان ومن معه فى الموكب ، يسيرون فى الشوارع أمام أعين المصريين المندهشة ، وهم فى أبهة من الملابس والأزياء ، فى منظر جميل أخاذ .

ولا مراء ، فإن الزى الفاخر الذى يلبسه المماليك ورجال الدولة ، كانت الدولة تقوم بتفرقته على رجالها ، إذ من تقليد الدولة فى العصور الوسطى أن تكسو موظفيها من العمامة إلى السراويل ، فى الصيف والشتاء(٣) . فكانت الدولة فى عهد المماليك تقدم لرجالها الكسوة ، أو عوضاً عنها دراهم تسمى : دراهم الكسوة ، لشرائها(٤) .

---

(١) الخطط ، ٣ ص ٣٥٥ (آخر سطر) ؛ Ency. (art Awalâd al-Nâs) ; 2 ed, t I, p. 788; وليه : نظم المماليك ، ١ ص ١٤٩ — ١٥١ .

(٢) القصد ، ورقة ١٢٣ ب ؛ وبعده .

(٣) صبح ، ٤ ص ٥٥ ؛ الخطط ، ٢ ص ٢٥٥ (عن الفاطميين) .

(٤) حوادث ، ص ١١٣ س ٧ ، ٢٢ . بلغت ألف أو ألفين درهم .

بالإضافة إلى ذلك ، كانت الدولة تقدّم ما يسمى : التشاريف ـ جمع تشريف ـ أو الخلع أو الخلع السلطانية(١) ، وهي كلمة لا تعني بالضرورة الملابس فقط ، ولكن أشياء أخرى ، قد تكون فرساً كامل القماش ؛ وإن كان أميزها الملابس . وهذه تختلف على حسب درجة لابسها ، منها ما يسمى : « طرز وحش(٢) » ، أي أقل قيمة . ولعل أهم ما يميّزها هو وجود اسم السلطان منقوشاً عليها بلون يختلف عن لون خيوطها(٣) ؛ ولدينا أمثلة منها في متحف القاهرة . كذلك قد تزدان بصور الوحوش ، أو الطيور الصغار ، أو حتى بالتعريج « المعرّج(٤) » ، أو عليه أرقام « المنمّر » ، أو غير ذلك .

فكانت الخلع تقدّم غالباً عند تولية السلطان ، حيث تكون لسائر أرباب المملكة ، بحيث قد تصل إلى ألف ومائتي خلعة(٥) . كما توزع في الأعياد مثل عيد الفطر ، وفي مناسبات مختلفة وقت لعب السلطان الكرة ، أو الخروج للصيد ، أو دوران المحمل ، أو غير ذلك(٦) . ولا يقف تقديمها إلى المماليك وأرباب المناصب في الدولة فحسب ، بل تقدّم أيضاً إلى ضيوف الدولة أو اللاجئين إليها أو حتى إلى التجار .

---

(١) صبح ، ٤ س ٥٢ ، ٥٤ ، ١١ س ٢٦ ؛ الخطط ، ٣ س ٣٥٢ س ٢٣ ؛ زبدة ، س ١٠٨ — ١٠٩ ؛ انظر . Syrie, LXXXIX—CX : Demomb
Ency (art Khil'a) t2, p. 1011 - 12 ؛

(٢) الخطط ، ٣ س ٣٦٩ (آخر سطر) . يكتبها القلقشندي « طرد وحش » [صبح ، ٤ س ٥٣ س ٣] ، وهو خطأ .

(٣) صبح ، ٤ س ٧ .

(٤) نقرأها المعرج ، بدل الموج ، والمنمر بدل المثمر .

(٥) الخطط ، ٣ س ٣٧٠ س ٢٣ — ٢٤ .

(٦) نفسه ، ٣ س ٣٧٠ — ٣٧١ ؛ صبح ، س ٥٣ ـ ٥٤ ؛ زبدة ، س ١٠٨ ـ ١٠٩ .

كذلك لدينا خلعة السفر ، التى تمنح للموظفين المسافرين لأعمالهم خارج القطر ، وخلعة الرضا ، دليل على رضاء السلطان(١) .

وكان قماش الملابس الرسمية يصنع فى المناسج المسماة : « دار الطراز(٢) » ، المنتشرة فى جميع أرجاء دولة المماليك : فى الإسكندرية ومصر ودمشق وغيرها(٣) ؛ فكثرت الأنوال والمكاكيك ؛ حيث يشرف السلاطين على سير العمل فيها ؛ فيشاهدون العمال وهم ينسجون(٤) . ومع هذا ؛ فيبدو أن الطراز فى وقت المماليك بقى نوعين ـ كما كان فى مصر الإسلامية دائماً ـ فهو طراز العامة وطراز الخاصة(٥) ؛ أى أهلى وحكومى ، حيث لدينا سجل صادر من السلطان لمن يشرف على نظر طراز الإسكندرية(٦) . أما الزّى ذاته ؛ فيبدو أنه كان يصنع فى الخزانة الكبرى ـ أو خزانة الخاص ـ التى ذكرناها ؛ حيث يخزّن فيها القماش الوارد من دور الطراز ، وتوجد فيها أيضاً

---

(١) أبو المحاسن (P) ، ٦ ص ٩٠ ، ٩٤ .

(٢) صبح ، ١١ ص ٤٢٦ . عن كلمة طراز ، انظر .
Ency. (art Tirâz) t4, p. 825 sqq. : Suppl, 2. p. 55. : Dozy
أصلها من كلمة دوزى من دوختن ، بمعنى الخياطة .

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٦٩ (فى آخر الصفحة) . كانت أهم المدن الصناعية للنسيج فى عهد الفاطميين والأيوبيين ، هما تنيس ودمياط . الفتح القسى ، ص ٦٩ .

(٤) الإلمام ، مخطوطة دار الكتب ١٤٤٩ ، ورقة ١٤٢ ؛ سالم ، تاريخ للاسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، ملاحق . وذلك بخصوص زيارة السلطان شعبان للأسكندرية ، فى سنة ٧٧٠ / ١٣٦٨ — ١٣٦٩ .

(٥) من ذلك مثلاً ، انظر .
Répertoire d'Ep. chronol. arabe t6, p. 40, 48, 95, 112.

(٦) صبح ، ١١ ص ٤٢٥ ؛ انظر .
History of Textile industry in Alex, 1955, p. 67. : Marzouk

الملابس الرسمية(١) . فكانت هذه الملابس ، تميز الطبقة الحاكمة عن بقية أفراد الشعب .

ونستطيع أن نعدد بعض أنواع القماش الفاخر فى مصر فى وقت المماليك ، الذى كان يصنع منه الملابس الرسمية أو يستورد من الخارج من بلاد أوربا « الفرنجة » ، وحتى من بلاد الصين(٢) ؛ فكانت له أسواق خاصة وتجار فى مصر(٣) . فنذكر من الأقمشة عدة أنواع(٤) ، منها : القماش من الحرير أو رقيق الكتان أو القطن المصقول « النصافى(٥) » ، والأقمشة الكتانية الرقيقة ، التى تدخلها خيوط حريرية أو مذهبة « شرب(٦) » ، حيث يوجد منه الشفاف جداً ، والأقمشة الحريرية المصنوعة فى الإسكندرية « الإسكندرانى(٧) أو المثمر »(٨) ،

---

(١) الذى يدعونا إلى قول ذلك ، إن القلقشندى وغيره يشبه هذه الخزانة بالخزانة الظاهرة — إحدى خزانة الكسوة — فى أيام الفاطميين ؛ وهى التى كان يصنع فيها الملابس ، ويوجد فيها صاحب المقص . صبح ، ٣ ص ٤٧٧ ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١٤ — ١٥ .

(٢) هكذا يفهم من شرح خطاى Dozy : Suppl, I, 2, p. 381. ، التى وردت فى الخطط (٣ ص ٣٥٢ س٢٦) ؛ فيقول إنها حرير يصنع فى خطاى شمال الصين . عن كلمة خطاى ، انظر . معجم البلدان . وعن بلاد الفرنجة ، انظر . الخطط ، ٣ ص ١٠٩ س ١٨ .

(٣) مثلاً : سوق الجوخيين . الخطط ، ٣ ص ١٥٩ — ١٦٠ .

(٤) إقرأ معظم أسماء الأقشة فى : الخطط ، ٣ ص ٣٥٢ (فى آخر الصفحة) ، ص ٣٦٩ .

(٥) عن هذه الكلمة ، انظر . Dozy : Suppl, 2,p. 680

(٦) عن هذه الكلمة ، انظر . Ibid, I, p. 740

(٧) أنظر . Marzouk : History of Textile industry in Alex. 1955, p. 60.

(٨) عنه ، انظر . الخطط ، ٣ ص ٣٦٩ س ٢٤ — ٢٥ . هكذا يسمى نوع من الحرير ، ينسج بالخيوط الذهبية .

أو فى الصين «الخطاى أو الخطاءى(١) » ، أو فى الموصل «هو الموصلى أو الموصلين «لانس(٢) » ، والقطيفة «السكنجا(٣) » ، وقماش له وبر «مخمّل(٤) » ، أو له شعر «سنجاب(٥) » ، أو أملس «أطلس(٦) » : والصوف «جوخ أو جاخات(٧) » بأنواعه الملونة : منه ما يلبس فقط فى وقت المطــر(٨) ، ولا سيما الفرو بأنواعه ، الذى كان السلطان ونساؤه يلبسونه ، ثم صار يلبسه الجميع من الجنود والكتّاب والعوام(٩) ، أو يوضع على غيره من الأقمشة ؛ فمن أنواعه : «الفنك»(١٠) ، و«القاقم»(١١) ، و «الوشق»(١٢) ، و«السمور أو الصمور»(١٣) ، و «القُنْدُس»

---

(١) عنه ، انظر . Dozy . Suppl, I, p. 381 . ويقال أيضا : خطاءى ، انظر . قبله .

(٢) من هذه الكلمة ، انظر . Ibid, 2. p. 551

(٣) من هذه الكلمة ، انظر . Ibid, 2, p. 587-8 . وربما كان يصنع فى البندقية .

(٤) من هذه الكلمة ، انظر . Ibid, I, p. 406 . وربما كان يصنع فى الهند .

(٥) عن هذه الكلمة ، انظر . Ibid, I, p. 691

(٦) عن هذه الكلمة ، انظر . Ibid, 2, p. 53

(٧) الخطط ، ٣ ص ٣٥٢ ، ٣٦٩ ، ٣ ص ١٥٩ .

(٨) نفسه ، ٣ ص ١٥٩ س ٢٠ .

(٩) نفسه ، ٣ ص ١٦٩ س ١٥ ؛ ابن إياس ، ١ ص ١٩٧ س ٢١ .

(١٠) صبح ، ٤ ص ٤٠ [آخر سطر] . عن هذه الكلمة ، انظر . Dozy : Suppl, 2, p. 285 . لعله فرو الثعلب التركى ، كما يطلق على أى نوع من الفرو .

(١١) نفسه ، انظر . Ibid. 2, p. 296 . يقول المقريزى : فرو قاقم [الخطط ، ٣ ص ١٦٨ س ١٣] ، كما يقول قاقم (نفســه ، ٣ ص ١٦٨ س ٩) ، والقاقم حيوان يشبه السنجاب فى بلاد الخزر ، له فرو ثمين أبيض . النويرى ، نهاية ، ١٠ ص ٣١٩ .

(١٢) نفسه ، انظر . Ibid, 2, p. 808 . وهو فرو الذئب .

(١٣) الخطط ، ٣ ص ١٦٨ س ٩ . هو فرو أو قماش من الوبر اشتهرت صناعتــه فى الأندلس بمدينة سرقسطة ، ولذا سمى أيضاً بالسرقسطية . معجم البلدان ، ٥ ص ٢١ — ٢٢ .

أو « قندز »[١] ، و « الكبجى »[٢] .

والواقع إن الزىّ فى عهد المماليك تطور تطوراً ملحوظاً ؛ إذ الزىّ كالفن سريع الحساسية والتطور . وكان الزىّ المملوكى فى أول الأمر متأثراً بالذوق الأسيوى الخشن ، الذى لم يُعرف فى مصر من قبل . ولا ريب ، فإن مصر جعلتهم يغيرون من زيّهم ، ويميلون فيه نحو الرقة والرفاهية ؛ حتى وُجد بين سلاطين المماليك وأمرائهم من بلغ أعلى مراتب الذوق ، فضلاً عن الحساسية المرهفة للألوان ؛ حيث اقترحوا أشياء كثيرة فى الملبوس[٣] .

وكانت أزياء المماليك فى مصر تمتاز بألوانها المتعددة ، على عكس اللون الأبيض الموحد[٤] ، الذى كان شعار دولة الفاطميين الشيعة . ومع ذلك ، فتميّز لونين فى عهد المماليك غلبا فى زيّهم ، أحدهما اللون الأسود ، الذى هو شعار السنة ، وسيطر على الزىّ منذ الأيوبيين الذين قضوا على الفاطميين ، وبقى فى عهد المماليك حماة الخلافة العباسية ، التى انتقلت من العراق إلى مصر ، كما تميّز اللون الأصفر[٥] ، الذى أصبح لوناً مميزاً لسلطان المماليك . فكان ظهور المماليك بألوانهم المتعددة ، من شأنه أن يبهر أعين المصريين .

---

(١) الخطط ، ٣ ص ٣٦٩ س ١٦ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ١٠ ص ٣١٩ ؛ Suppl. 2, p. 410 : Dozy

نوع من الجرو الأوربى ، يستخدم جلده .

(٢) الخطط ، ٣ ص ٣٠٢ س ٢٧ . يكتبها « السكبخى » ونقرأها « الكبجى » من « كبج » ، وهو دابة مثل الحرباء . أنظر Suppl, I, p. 437. : Dozy .

(٣) أنظر بعده .

(٤) ابن خلدون ، المقدمة ، انظر Dict Vêt, p. 7. : Dozy .

(٥) أنظر بعده .

وفى الصفحات التالية نعرض بالتفصيل الملابس المملوكية ، التى سيتبين منها التأنق والابتكار .

زى السلطان :

وكانت المواكب وغيرها تتطلب من السلطان لبس أفخر وأنفس ملابسه فى كل مناسبة[١] ، وكان لسلاطين مصر ذوق كبير فى لبسهم ، يقترحون فى الزى ، ويعملون على تطوره . فيكفى أن نذكر من السلاطين المتأنقين الناصر محمد بن قلاوون ، الذى لبس قميصاً « قجون أو بدن »[٢] — من صوف « جوخ » ، وهو ثوب قصير من غير بطانة من تحته ، ولا غشاء من فوقه ، فتداول الناس لبسه ، وذاع فى أوربا بحيث أن الفرنجة اجتلبوا منه شيئاً كثيراً .

وكان السلطان يلبس لكل مناسبة رسمية زياً ؛ وإن كنا لا نعرف بدقة لبسه فى كل مناسبة ، كذلك يتغير قماشه على حسب الفصول[٣] ؛ ففى الصيف يكون لبسه الأقمشة الخفيفة البيضاء ، وفى الشتاء الجوخ « الصوف » والفرو ؛ حتى أنه كان يحتفل بلبس الصوف[٤] ؛ وذلك بالخروج به فى موكب رسمى . كما أنه قد يلبس زى الحرب[٥] ، مثل بقية الأمراء . وكان السلطان إذا خلع رداءه مرة ، لا يلبسه مرة ثانية مطلقاً ، حيث توزع ملابسه المستعملة فى مكان خاص ، وقد ينعم بها على أمرائه وخاصته .

---

(١) صبح ، ٤ ص ٥٣ .

(٢) الخطط ، ٣ ص ١٦٠ . قجون جمعها قاجين . أنظر Dozy : Suppl, 2,p.403. من البدن ، انظر . Dozy : Suppl, I, 58

(٣) صبح ، ٤ ص ٤٠ ؛ حوادث ، ص ١٢٤ ؛ زبدة ، ص ٨٨ .

(٤) زبدة ، ص ٨٦ ص ١٥ — ١٦ . كان يلبسه إن جاء الخريف . السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٠ .

(٥) فإن السلطان الظاهر كان يلبس زردية مسبلة .
للمقريزى ، السلوك ، ١ / ٢ ص ٦٠٨ س ١٢ .

ولعل زي السلطان الأهم ، الذي لدينا عنه معلومات وافية ، هو زيه حين توليته السلطنة[١] ، وهو مايسمى: بالسواد الخليفتي، أو الخلعة الخليفتي ، او خلعة السلطنة[٢] ، أو حتى قماش الخدمة[٣] ، وذلك لأن الخليفة العباسي ، الذي أقامه المماليك في مصر ، كان هو الذي يُلبسه إياها في إحتفال كبير ، كما أنها تميزت باللون الأسود ؛ لأن هذا اللون يدل على مذهب الخلافة العباسية السني ، الذي هو مذهب مصر الرسمي منذ أن سقطت خلافة الفاطميين الشيعية في مصر على يد الأيوبيين . ومع ذلك ؛ في مناسبات أخرى يُسمى زي السلطان: قماش الموكب[٤] ، مما يبين أنه يلبس في مناسبة المواكب الرسمية .

فكان السلطان يلبس عمامة صغيرة سوداء مدورة على الرأس — مع أنها كانت للخليفة الفاطمي مستطيلة[٥] ـ تسمى : التخفيفة[٦] ، وتكون بعذبة ، تُرسل بين كتفيه قدر ذراع . وقد عرفنا له عمامة أخرى ، تسمى[٧] :

---

(١) أنظر . Dopp :

Le Caire vu par les voyageurs Occidentaux du Moyen Age. B. S. R. G. d'Eg, 1950-1953, p. 138

عاشور ، مصر في دولة المماليك البحرية ، ص ١٢٢ — ١٢٨ .

(٢) ابن تغري بردي ، مورد اللطافة ، ص ٤٥ ، ٧٨ ، ١٠٢ ؛ ابن إياس ، ١ ، ١ ص ١٠١ س ٢٢ ؛ انظر . Mayer :Op. Cit,p. 78

(٣) المقصد ، ورقة ١٢١ .

(٤) النجوم (P) ، ٦ ص ١٧٣ .

(٥) صبح ، ٣ ص ٤٧٣ .

(٦) ابن إياس (K. M.) ، ٤ ص ٢١٢ س ٢ ؛ ٤٢٣ س ١٨ — ١٩ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٤٠ س ٧ ؛ المقصد ، ورقة ٥٥ ، ١٢١ . التخفيفة عمامة صغيرة ، انظر . Dozy : Suppl, I, p. 386

(٧) ابن إياس (K. M.) ، ٤ ص ٢١٢ س ١٣ ، ٣٣٢ س ١ — ٦ ، ٢١ ، ٣٥٤ س ٩ ؛ انظر . Mayer : Mamluk Costume, 1952, p. 16-17.

ربما هذا الإسم آت من أن الناعورة — وهي الساقية — تديرها الأبقار .

الناعورة ، أو التخفيفة الكبرى ، أو التخفيفة الناعورة ، لها قرون طوال ، وتكون فى مكان التاج لملوك مصر ، ولدينا عنها صورة فى متحف اللوفر . ثم الكلفة أو الكلفتة أو كلفتاه[1] ، وهى الطاقية « كلوتة » ، تكون صفراء عريضة ، ولها زوائد « كلاليب » ، بينها تتدلى « الكراتة » ، عبارة عن خرقة من شاش ملفوفة بقدر ثلث ذراع ، تكون مزخرفة « مزركشة » ، فكانت « الكراتة » هذه من أشعرة السلطنة . وكان السلطان فى الحرب لا يلبس عمامة ، وإنما يلبس خوذة ، حيث توجد خوذة السلطان محمد الناصر فى متحف بروكسل[2] .

أما على الجسد ، فيلبس ما يسمى ، حلة الملك[3] ، أو « الكاملية »[4] ، ربما لكمالها : فكانت عبارة عن رداء عربى « جبة » من حرير أسود ، لها طرف مذهب ومزخرف ، وأكمام واسعة ، ومن تحتها رداء آخر يسمى بعدة أسماء : « فرجية أو إزار أو دراعة » ـ ربما أقصر من السابق ـ يكون أسود أو بنفسجياً أو أخضر ، من الصوف « الجوخ » أو الحرير ، بتركيبة مزخرفة « زركش » ، من خيوط مذهبة[5] . ومع ذلك ، فى بعض

(١) ابن إياس (K.M) ، ٤ ، ص٢٢٣ س ١٨ ؛ النهل ، ص٩٢ وهامش ؛ القصد ، ورقة ١٢٢ب . عن الكراتة ، انظر . Dozy : Suppl, 2, p. 453, Quat : Sult Maml, I, p. 138 : ويقال الكلفتة أيضاً — الجمع كلفتات — كلفة أو كلفتاه . أنظر . Ibid, 2, p. 484 ; 482. وهى كلمة أصلها مجهول لعله سريانى أو لاتينى من Calva

(٢) Macoir, Georges : Casque au nom du Sultan Mohammed en Nâssir (in Bull. des Musées royaux. Bruxelles. Sept, 1909, no. 9, pp. 70—72

(٣) القصد ، ورقة ١٢١ ا ؛ سلوك ، ٢ ص ٤٨ ؛ انظر . Mayer : M. Cost, p. 15.

(٤) ابن إياس (K.M) ، ٤ ص ٤١٨ س ١١ ، ٤٢٣ س ١٩ .

(٥) القصد ، ورقة ٥٥ .

المناسبات يلبس رداءً فوق ملابسه «قباء» ، يكون أخضر ، بفرو أبيض[١]. وأحياناً يلبس زردية ، تحت قماشه ، إذا كان في موكب ، احترازاً من عدو غادر[٢] .

كذلك يلبس السلطان في مناسبة توليته طوق ذهب يكون حول عنقه ، كان يلبسه ملوك الفراعين ، ولعله موروث عنهم ، وسيف مذهب في وسطه اسمه : العربي أو البدوي[٣] ، وقيد ذهب يكون في رجله ، للدلالة على أنه من المماليك ، إذ أن السلطان لا يأنف من أصله المتواضع ، كما أنه إذا ركب وضع في رجليه «مهمازاً» من الذهب .

زى المماليك

وهم الطبقة الحاكمة ، كان زيّهم يختلف من طائفة إلى أخرى ، حتى زاد على المائة[٤] ، وذلك على عكس المغول المعاصرين لهم ومن جنسهم ، الذين كان لبس سلطانهم أو أميرهم أو خدمهم واحداً . ومع ذلك ، فيبدو أن زيّهم قد بدأ يأخذ شكلاً متجانساً منذ المنصور قلاوون[٥] ، الذى غيّر في الزيّ ، واقترح لكل واحد من أسرته « المنصورية » فيه .

فلدينا وصف عام لزيّ المماليك[٦] ، وهو الزيّ الذى ميّزهم عن غيرهم ،

---

(١) الإلمام ، ورقة ١٤١ . القباء هو ثوب . Dozy : Suppl, 2, 307.

(٢) القصد ، ورقة ١٢٢ب ؛ سلوك ؛ ١/٢ ص ٦٠٨ ؛ انظر . Mayer M. Cost, p. 20, عن زيه في الحرب «زردية سبلة» ، تغطي كل جسمه .

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٤٠ س ٧ ؛ السلوك ، ٢ ص ٤٨ ؛ القصد ، ورقة ١٢١ ب ؛ انظر . Mayer : M. Cost, p. 15.

(٤) زبدة ، ص ٨٨ .

(٥) الخطط ، ٣ ص ١٦٠ س ١٠–١٦ ، ٣٠٢ س ١٢ – ١٣ ؛ صبح ، ٤ ص ٤٠ .

(٦) نفسه ، ٣ ص ١٦٠ ، ص ٣٠٢ ؛ صبح ، ٤ ص ٣٩–٤١ ؛ انظر . Guemard : De l'armement et de l'équipement des Mamluks. Le Caire, 1926, p. 5. Mayer : M. Cost, p.21sqq.

منذ أن وُجدوا فى مصر بعد الأيوبيين ، إلى وقت انهيار حكمهم فى العصر الحديث . فهو أساساً يتكون على الجسد من أثواب « أقبية »[١] ، تبلغ أربعة ، مفصل بعضها بزى مغولى «الأقبية التترية» ، أو هندى «تكلاوات»[٢] ، وواحد منها بزى إسلامى «قباء إسلامى»[٣] ؛ مما قد يعنى أن هذا الأخير مفتوح ، وله أكمام طويلة . فكان هذا الزى فى الصيف من الأقمشة الخفيفة البيضاء ، وفى الشتاء من الصوف المحلى بالشعر أو الفرو[٤] .

وقد شدوا الوسط بحزام «منطقة»(٥) — جمعها مناطق — ، وهو ما يعبر عنه أيضاً « بالحياصة »(٦) — جمعها حوائص — حيث وجد لها سوق خاص فى مصر ، اسمه : سوق الحوائصيين (٧). فكان يعلق فى جهة اليمين منها : خنجر «كزلك»(٨) ، وحقيبة من الجلد «صولق»(٩) — مفرد صوالق — ربما لوضع المال وغيره — كما يثبت فيها منديل ، وفى جهة اليسار يشد عليها السيف . أما على الرأس فتوضع طاقية « كلوتة(١٠)» — جمعها كلوتات — حيث وُجد لها سوق فى مصر أيضاً(١١) ؛ فكان يلف حول

(١) عن هذه الكلمة ، انظر : Dozy : Suppl, 2, p. 307.

(٢) صبح ، ٤ ص ٤٠ . عنها ، انظر : Dozy : Suppl, I, p. 149.

(٣) فى أحد النصوص يورد ابن إياس أن الناصر هو أول من اتخذ الأقبية المفتوحة ؛ وربما يعنى القباء الإسلامى . ابن إياس ، ٢ ، ص ١٧٣ س ١٦ .

(٤) صبح ، ٤ ص ٤٠ .

(٥) عن هذه الكلمة ؛ انظر : Dozy : Suppl, 2, p. 618.

(٦) صبح ، ٢ ص ١٣٤ .

(٧) الخطط ، ٣ ص ١٦١ .

(٨) صبح ، ٤ ص ٤ ؛ انظر : Dozy : Suppl, 2, p. 463.

(٩) نفسه ، ٣ ص ٣٥٢ س ٢١ . عن هذه الكلمة ، انظر : Dozy : Suppl, I, p. 843 ; Quat : Sult, 2, I, p. 152 n (40).

(١٠) هى كلمة فارسية ، انظر : Dozy : Vêt, pp. 387-388 ; Suppl, 2, p. 484. يقال أيضاً : « الكلاوات » — مفردها كولاه أو كلاه أو كلا [الخطط ، ٣ ، ص ٣٥٢ س ١٤] ؛ فهذه توصف بأنها طاقية عالية . انظر : Dozy : Suppl, 2, p. 481

(١١) الخطط ، ٣ ص ١٦٨ .

الطاقية عامة . أما ما يجعل فى أرجلهم ، فهى الخفاف من الجلد « الأديم » الأبيض فى الصيف ، والأصفر فى الشتاء(١) ، شدت عليها المهاميز — جمع مهماز — التى هى آلة من حديد، تكون فى رجل الفارس فوق كعبه ، وذلك فوق خف(٢) .

وكان زى الأمراء ومقدمو الحلقة وأعيان الجند يتميز عن زى بقية العساكر ؛ فيذكر المقريزى : إنه أختلف زى الأمراء والعساكر فى دولة المماليك(٣) . فقد كان زى الأمراء أكثر فخامة وغنى ، كما أختلف زيهم على حسب درجاتهم . ولقد وجدنا من الأمراء — مثل السلاطين — من يدخل تعديلاً على الزى ، وأن أحدهم وُصف بأنه لطيف الذات فى ملبسه(٤) .

فكانوا يلبسون فوق ثيابهم ثوبين متميزين(٥) : «الفوقانى» أقصر من «التحتانى» ، ويكون طوله وأكمامه أقصر بلا تفاوت كبير ؛ فلعله هو ما عُرف «بالسلارى»(٦) ، نسبة إلى الأمير سلار فى أيام الناصر الذى أوجده ، أو قبل ذلك «بغلو طاق» ؛ فكان يزدان باللؤلؤ والجوهر . كذلك يكون الحزام «المنطقة أو الحياصة» ، من الذهب أو الفضة ، مرصعة بالفصوص الجوهر(٧) . أما «المهماز» ، فتارة يكون من ذهب أو من فضة محضة ، أو من حديد مطلى بالذهب أو الفضة(٨) .

---

(١) صبح ، ٤ ص ٤١ . (٢) نفسه ، ٢ ص ١٣٦ .

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٥٢ س ١١ — ١٢ .

(٤) ابن إياس ، ١ ص ١٥٥ س ٢١ ؛ أنظر . بعده .

(٥) الخطط ، ٣ ص ٣٥٢ س ١٤ وما بعدها ؛ صبح ، ٤ ص ٤٠ س ١٠—١٣ .

(٦) ابن إياس ، ١ ص ١٥٥ س ٢٢ ؛ الخطط ، ٣ ص ١٦٠ س ٢٤ . يوصف القباء السلارى ، بأنه قصير الطول والكم . أنظر . Dozy : Suppl, I, p. 673 عن بغلوطاق أو بغلطاق ، جمعها بغالطيق أو بغالطاق ، Quat : Maml, I, 2, 75 . وهى لفظة فارسية ، تعنى قباء له كم قصير ، من قماش بطانة . أنظر . Dozy : Suppl, 2, p. 101 ; Vêt, p. 81-4

(٧) صبح ، ٢ ص ١٣٤ . (٨) نفسه ، ٢ ص ١٣٦ ، ٤ ص ٤١ .

أما على الرأس ، فتوجد الطواقى « كلوتات » ، التى تُلف حولها العمائم. فيوجد منها(١) : الصغار ، التى سُميت : « ناصرية » ، نسبة إلى السلطان الناصر ، الذى أوجدها واستحدث فى الملبوس أشياء كما ذكرنا . كما أن الأمير سلار فى عهده ، استحدث هو الآخر عمائم « مناديل » ، عُرفت باسمه : « المناديل السلارية »(٢) ، ذاع استعمالها . كما وجد منها : الكبار ، التى سُميت : « طرخانية » ، نسبة إلى الأمير يلبغا فى أيام السلطان شعبان ، الذى كان طرخاناً – أى متقاعداً – فغلب استعمال هذه الطواقى الأخيرة ، حتى سُميت أيضاً « الكلوتات اليلبغاوية » ، كما استحدث الأمير نفسه عمائم مطرّزة ، عُرفت باسمه : « العراض اليلبغاوية »(٣) . كذلك عُملت «كلوتات» أكبر ، فيها عوج فى أيام برقوق ، مؤسس دولة الجراكسة ، فأصبحت تُعرف : « بالجركسية » .

ولدينا وصف تفصيلى لزىّ أمراء المئين(٤) على الخصوص ، وهم الذين كانوا يتولون السلطنة ، تميّز بالأناقة الباهرة ، حتى قال المقريزى عنهم : إنهم تأنقوا وتفاخروا فيه(٥) . فقد كان القباء « الفوقانى » ، من قماش أملس « أطلس »(٦) ، لونه أحمر ، مطرّز بزخرفة « طرز زركش(٧) » الحرير الذهب ، والقباء « التحتانى » من قماش أملس أيضاً « أطلس » ، لونه أصفر ، محلّى بشعر

---

(١) عن أنواعها ، انظر . الخطط ، ٣ ص ١٦٠ ، ٣٥٢ .

(٢) ابن إياس ، ١ ص ١٥٥ س ٢٢ .

(٣) نفسه ، ١ ص ٢١٩ س ١٢ . عن كلمة عراض ، مفردها عرضية ، انظر : Dozy : Suppl, 2, p. 113.

(٤) الخطط ، ٣ ص ٣٦٩ ؛ حسن المحاضرة ، ٢ ص ١٤ وما بعدها ؛ صبح ، ٤ ص ٥٢ .

(٥) المقريزى ، إغاثة ، ص ٧١ .

(٦) عن هذه الكلمة ، انظر . Dozy : Suppl, 2, p: 53.

(٧) عن الكلمتين ، انظر . Ibid 1, p. 589 ; 2, p. 35

« سنجاب أو سنجبة » ، ومبطن داخله وأطرافه « سجف[١] » بفرو « قندس » . كذلك الحزام « المنطقة » تكون من ذهب ، وضعت فيها قطع معدنية هندسية « بواكير »[٢] ـ جمع بيكارية ـ مرصعة بالزمرد واللؤلؤ . أما الطاقية « الكلوتة » ، فهى مطرزة « زركش » بذهب ، لها زوائد « كلاليب » ـ جمع كلاب[٣] ـ من ذهب ، لفت حولها عمامة « شاش » ، من قماش الحرير الرفيع الموصلى أو الموسلين « لانس »[٤] ، موصول طرفاها بحرير أبيض من مزخرف « مرقوم » ، بألقاب السلطان ، مع نقوش باهرة من الحرير الملون .

ولدينا أيضاً بعض وصف زى حاشية السلطان « الخاصكية » ، الذين أصبحت لهم أحسن الملابس[٥] ، منذ السلطان الأشرف خليل . فكان يغلب على زيهم اللبس المزخرف . وقد تميز الأمراء منهم ، بلبس الأثواب « الأقبية » ، من القماش الأملس « الأطلس » ، اللامعة « المعدنى » ، وقد زخرفت بالنقوش « الطرازات الزركش » ، وعلى رأسهم الطواقى المزخرفة « الكلوتات الزركش » أيضاً .

كذلك كان الذين يسيرون مع السلطان فى المواكب « الأوشاقية أو الأوجاقية »[٦] ، وهم يركبون خيولا ، فإنهم يتزيون[٧] ، بلبس طواقى

---

(١) عنها ، انظر . Ibid, I, p. 634.

(٢) عنها ، انظر . Ibid, I, p. 136

(٣) عنها ، انظر . Ibid, 2, p. 481

(٤) عن هذه الكلمة ، انظر . Ibid, 2, p. 551 ؛ وقبله .

(٥) الخطط ، ٣ ص ١٦٠ س ١٧ وما بعدها .

(٦) عنهم : صبح ، ٥ ص ٤٥٤ ، انظر . Dozy : Suppl, I, p. 43. ؛ وقبله .

(٧) الخطط ، ٣ ص ٣٢٦ س ٢ وما بعدها ؛ السلوك ، ٢ ص ١٨٣ هامش ؛ المقصد ، ورقة ١٢٥ ب .

« كوافى(١)» ، تغطى قة الرأس على صفة الطاسات ، مزخرفة «الزركش» ، منهم اثنان يلبسان ثوبين « قباءين(٢) » ، متشابهين من حرير أملس « أطلس » صفر ، بزخرفة « زركش » ، وعلى رأس كل منهم لباس للرأس على شكل قمع «قبعة أو كوفية» ، مزخرفة « زركش » بالذهب ، وتحت كل واحد فرس أبيض ، بحلية ذهب .

ويظهر أن لبس المماليك عموماً قبل ذلك ، منذ أن وُجدوا فى أيام الأيوبيين ، كان شنيعاً بملاحظة ابن إياس وغيره من المؤرخين المعاصرين(٣) . فكانوا يلبسون ثوباً فوق ثيابهم « قباء » أحمر أو أزرق أو أبيض أو مشجر ، من الصوف « الجوخ » ، ضيق الأكمام ، يشدون عليه فى أوساطهم شريطاً من القطن « بنداً »(٤) ، عوض الأحزمة « الحوائص أو المناطق » ، يكون بحلق نحاس ، وإبزيم جلد ، يعلقون فيه أشياء كثيرة ، منها : ماعقة من الخشب كبيرة ، وسكين كبيرة ، ومناديل لمسح أيديهم قدر الفوطة ، وحتى الحقيبة « صولق » ، تكون كبيرة الحجم جداً .

أما على الرأس ، فقد اختلفوا فى لبسهم عليها ، فبعضهم يضع الطواق « كلوتات » عريضة ، من الصوف الأزرق الغامق أو أصفر ، لها زوائد « كلاليب أو كلبندات » بغير عمامة « شاش » ، وهى حمراء ،

---

(١) مفردها كفية أو كوفية . انظر : Dozy : Suppl, 2, p.500. عنها .

(٢) الخطط ، ٢ ص ٢٢٦ ؛ صبح ، ٤ ص ٨ . عن القبعة ، انظر : Dozy : Suppl, 2, p 303.

(٣) ابن إياس ، ١ ص ١٢٠ . وانظر أيضاً : الخطط ، ٣ ص ١٦٠ — ١٦٩ ؛ حسن المحاضرة ، ٢ ص ٧٤ ؛ صبح ، ٤ ص ٣٩ — ٤٠ .

(٤) عن هذه الكلمة ، انظر : Dozy : Suppl,I, p. 117.
وبينما يذكر ابن إياس هذا الشريط « بنداً » فقط دون أن يسميه ، يذكر المقريزى « البنود » ، وأيضاً « كران » ، وهذه الأخيرة كلمة فارسية ، بمعنى حزام من الشعر أو الجلد . انظر : Ibid, 2, p. 488 منها . ونرى نص ابن إياس أكثر وضوحاً .

وقد كان ارتفاعها قليلاً ، وأعلاها مسطح أو مدور ، وإن بسطت بعد ذلك ، وجعلوا فى أسفلها زيقاً من فرو أسود . كذلك كان الأمراء منهم يضعون بدل الطاقية « الكلوتة » ، قلنسوة طويلة ، تشبه التاج ، مثلثة الشكل « الشربوس(١) » ، بغير عمامة كذلك ؛ وإن ألغيت هذه الأخيرة من وقت الجراكسة . وكانت لهم ذوائب من الشعر خلفهم ، يضفرونها ويشدونها فى أكياس من حرير أحمر أو أصفر ؛ ويطلقون على كل منها « دبوقة(٢) » أى مضفر بإحكام ؛ ولكن الناصر حلق رأسه ، فحلقت كل الأمراء رءوسهم ؛ وإن تركوا شواربهم .

أما الأرجل ، فكانوا يلبسون خفاً فوق خف آخر « سقمان(٤) » ، من الجلد البلغارى « برغالى(٣) » الأسود ، ثبت فيه مهماز من الحديد .

زى أرباب المناصب من غير المماليك :

فمن زى الوزير (٥)، أو ما يسمى خلع الوزير ، فهو عبارة عن ثوبين : « فوقانى » من القطيفة الحرير « الكمخا » البيضاء ، مطرزة بخطوط « رقم » حريرية ، ومحلاة بشعر « سنجاب » ، وبفرو « مقندس » ، و « تحتانى » من القطيفة الحرير « الكمخا » أيضاً ، وإن كان لونه أخضر .

---

(١) أنظر Mayer : M. Cost, p. 28.

(٢) من هذه الكلمة ، انظر Dozy : Suppl. I, p. 424

(٣) الخطط ، ٣ ص ١٦٠ . يقول هو خف ثان .

(٤) عن هذه الكلمة ، انظر Dozy : Suppl. I, p. 73.

(٥) الخطط ، ٣ ص ٣٧٠ ص ١٢ وما بعدها ، ٤ ص ١٢٦ س ١٢ ؛ صبح ، ٤ ص ٤٣ ؛ القصد ، ورقة ١٢٥ب ؛ انظر . ماجد ، نظم المماليك ، ١ ص ٤٥ — ٤٦ .

وقد غلب على زىّ الوزير بعد ذلك ما عُرف باسم : « جبة(١) » أو « فرجية » ، تكون مفتوحة « مفرجة » من ورائها . ومثل هذا الزىّ بنوعيه كان أيضاً لكبار رجال الدواوين وحتى صغارهم ؛ مما يدل على رئاسة الوزير للدواوين . ولم يعد الوزير يقلد بالسيف ، كما كان الحال قبلاً أيام الفاطميين(٢) ؛ لأنه لم يعد له نفوذ على رجال السيف .

كذلك يضع الوزير على المنكب حول الرقبة منديلاً « طرحة(٣) » ، يشبه « الطيلسان المقوّر(٤) » ، فى عهد الفاطميين ، أى الرداء المحيط بالرقبة ؛ فكانت الطرحة يلبسها أيضاً الكتّاب ورجال القضاء . وكذلك يلبس حول العنق قلادة على عدة طاقات ، تتدلى على صدره من العنبر يقال لها : « العنبرية(٥) » ، وهى عوض الطوق أو العقد الجوهر ، الذى كان للوزير الفاطمى ، وربما لرخص القلادة العنبر ، ولضعف مركز الوزير فى عهد المماليك عنه فى عهد الفاطميين .

أما على الرأس ، فيلبس الوزير نوعاً خاصاً من العمامة المسماة « بقيار(٦) » ، وهى مخططة « مرقوم » ، مثل عمامة الكتّاب أيضاً ؛ وإن

---

(١) الخطط ، ٣ ص ٢٧١ س ١٢ .

(٢) نفسه ، ٢ ص ٣٠٥ س ٢٤ — ٢٥ ؛ انظر أيضاً : ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ٩٠ ، ٢ ص ٦٠ .

(٣) الخطط ، ٢ ص ٢٧٠ س ١٤ ، ٢ ص ٣٠٥ س ١٦ — ١٧ ، ٢١ . عنها ، انظر : Dozy : Suppl, 2, p. 31.

(٤) كلمة « الطيلسان » هى تحريف للكلمة الفارسية « تالش » أو « طليشان » . عنها ، انظر : Dozy : Suppl, 2, p. 81 ; Vêt, p.279 ، Reuben Levy : Notes on Costume from Arabic Sources. J. R. A. S. Avril 1935, p. 334, n (5) . من كلمة مقور ، انظر : Dozy : Suppl, 2, p. 418

(٥) الخطط ، ٢ ص ٣٠٥ س ١٨ — ١٩ ؛ القصد ، ورقة ١٢٥ ب .

(٦) الخطط ، ٣ ص ٢٧٠ س ١٤ . عن هذه الكلمة ، انظر : Dozy : Suppl, I, p. 105

بدأوا فى هجر الذؤابة المرخاة على الظهر وهى العذبة(١) ، التى أصبحت تميز رجال القضاء وحدهم . أما فى رجليه ، فيلبس خفاً أخضر من الحرير(٢) .

وعن زى رجال الدواوين ؛ فكانت لهم ملابس خاصة ، تتميز بها عن غيرها من الطبقات ؛ وإن كانت تتشابه إلى حد كبير مع زى الوزير ، رئيس الإدارة .

فيلبسون على رءوسهم نوعاً من العمائم « بقيار »(٣) — وأجلها الكبيرة — مخططة « مرقوم » ، فكان لابسوها يسمون بسبب ضخامتها : « أرباب الوظائف من المتعممين » ، أو « أهل العمامة(٤) » ، كما كان الحال فى العصر الفاطمى ، حيث كان يطلق أيضاً عليهم : « أرباب العمائم(٥) » . وكان رجال الدواوين من أهل الذمة ، يلبسون العمائم الضخمة مثل المسلمين ، تزيد فى طولها على عشرة أذرع(٦) ؛ إلا أنه فى وقت الاضطهاد كان السلطان يجبرهم على لبس عمائم أقل ضخامة ، وملونة ، مثل العمائم الزرق للقبط ، والعمائم الصفر لليهود(٧) ؛ فقد كان اختيار الألوان المميزة لأهل الذمة ، تقليداً فى بلاد المسلمين .

---

(١) نفسه ، ٢ ص ٢٠٥ س ٢١ — ٢٢ ؛

(٢) المقصد ، ورقة ١٢٥ ب .

(٣) الخطط ، ٣ ص ٢٧٠ س ١٤ .

(٤) ابن إياس ، ١ ص ١٤٣ س ٦ ، ١٧٣ س ١٩ — ٢٠ ، ٣ ص ٣ س ٢٦ — ٢٧ ؛ النجوم (P) ، ٧ ص ١٢٥ ، ٢٠٥ . عن هذه الكلمة ، انظر . قبله .

(٥) الخطط ، ٢ ص ٣٥٢ س ٣ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ١٠٢ ، ٢ ص ٦١ وهامش ٣ .

(٦) ابن إياس ، ١ ص ٢٠١ س ٢ — ٣ .

(٧) نفسه ، ١ ص ١٤٣ س ١٣ — ١٤ ؛ صبح : ١٣ ص ٣٧٨ (آخر سطر) .

وكان كبار رجال الدواوين يلبسون على أجسامهم[1] ثوباً « فوقانى » ، من القطيفة الحرير « الكنخا » الأبيض ـ مثل الوزير ـ مطرّزة بخطوط « رقم » من الحرير ، وعلاة بفرو « مقندس » ، وشعر « سنجاب » ؛ وآخر « تحتانى » أخضر اللون ، من القطيفة الحرير « الكنخا » أيضاً ؛ وإن كان الصغار منهم تكون لهم كمية الفرو « قندس » أقل ، وتوجد فقط بدائر الكمين ، وبطول الفتحة « الفرج » ، ولا يوجد شعر « السنجاب » ، واللون التحتانى يختلف ، وبرسوم « بجاوم[2] » . ولكن صار أعيان رجال الدواوين بعد ذلك[3] ، يلبسون « جبة » أو « فرجية » ـ مثل الوزير أيضاً ـ لها أكمام واسعة ، عليها رسوم « بادهنجات[4] » ؛ كما وضعوا على المنكب حول الرقبة « طرحة » ، وهى زىّ الوزير وغيره من كبار رجال الدواوين .

وعن زى رجال الدين ؛ فإنهم يلبسون ملابس خاصة بهم ، تتسم ببساطة الدين ، فتكون من الصوف[5] ، وليس من الحرير ، بدون طراز ، دلالة التقوى ، كما أنها تتميّز بلونها الأسود فى الغالب ، الذى هو شعار المذهب السنى[6] .

---

(١) الخطط ، ٣ ص ٢٧٠ .

(٢) من هذه الكلمة ، انظر . Inostrantsev :
Torjestvenii viezd fatimidiskikh Khalifov, 1904, p. 105
وهو بالروسية ؛ يعنى ركوبات خلفاء الفاطميين . عاوم لفظة فارسية ، أصلها من « جام » .

(٣) صبح ، ٤ ص ٤٣ .

(٤) أنظر ملاحظة : Demomb : Syrie, XCIV. ، الذى يقول إنها تعنى قصبة التهوية ، ولعلها برسم الباذنجان ، الذى هو ثمرة . أنظر . Dozy , :
Suppl, I, p. 47.

(٥) حسن المحاضرة ، ٢ ص ١٠١ س ١٥ ـ ١٦ ؛ صبح ، ٤ ص ٤٢ .

(٦) صبح ، ٣ ص ٢٧٠ .

وعن زيّ الخليفة وهو الذى قام فى مصر ، بعد سقوط الخلافة فى بغداد على يد المغول ، فهو يتزيّا بما يُسمى : خلعة الخلفاء أو التشريفة[١] أو السواد . فيلبس على جسده بدلة « قباء » أو « فرجية » ، ضيقة الكم ، عليها غطاء « كاملية »[٢] ، ضيقة الكم أيضاً ، قد تكون محلاة بفرو « صمور » ، واسعة الذيل ؛ كما يتقلد فى وسطه سيفاً محلىّ[٣] . وعلى رأسه ، يلبس عمّة لها عذبتان أو ذؤبتان ، تسمى : العمّة البغدادية[٤] . ويضع على منكبيه رداءً « طرحة »[٥] ، سوداء ، مرقومة بالبياض ، تستر العمامة وتتدلى على الظهر حتى الكعبين ، وأيضاً البردة[٦] ، التى كانت للنبى ، وهى شملة مخططة ، أو كساء أسود .

وعن زيّ القضاة ، فهم بالضرورة يلبسون السواد إلا فى الصيف ،

---

(١) ابن الفرات ، تاريخ ، تحقيق زريق ، ٩ ص ٦٩ ؛ ابن تغرى بردى (P) ، ٥ ص ١٣٤ ، ١٣٩ س ١ ؛ النجوم ، ص ١٣ س ١ ، ٢٠ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٩٤ س ٣ ، ٣٩٥ س ١٢ .

(٢) ابن إياس (K.M) ، ٤ ص ٢٩٣ . عنها ، انظر ، Dozy : Suppl, 2, p. 489-90 . هذه بالأولى خلعة ، كان يشترك فى لبسها أيضاً الأمراء . أنظر . نفسه .

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٩٤ س ٣ ، س ١٣ — ١٤ .

(٤) ابن إياس ، ٣ ص ٢٧ س ١٥ . أنظر . Mayer : Maml. Cost, p. 13 وأيضاً من الكاتب نفسه :

Some Rèmarks on the dres of the Abbasid Caliphs in Egypt. Isl. Cult. XVII, 1943, p. 36 - 38.

(٥) حسن المحاضرة ، ٢ ص ٧٧ .

(٦) صبح ، ٣ ص ٢٦٩ — ٢٧٠ ؛ المقدمة ، ص ٢١٠ ؛ انظر . Ency. (art Burda) tl, p. 815 ؛ Dozy : Dict. des noms de vêt, p. 59—64. اختلف فى أصلها ، فقيل كانت للنبى وكانت للشاعر كعب بن زهير ، فاشتراها منه معاوية بعد ذلك ، ولبسها الخلفاء ، وتوجد فى [illegible] : ماجد ، الحضارة الإسلامية ، ص ١٢٩ .

فيلبسون لباساً أبيض[١] . وكانوا يلبسون لباساً متميزاً يُعرف: «بفرجية العلماء» أو «دلق»[٢] ، متسع الأكمام ، مفتوحاً فوق الكتفين ، وسابلاً على القدم ، وأحياناً مزوداً بالأزرار . وعلى الرأس ، يلبسون عمامة كبيرة الغاية «شاشية أو شاش» ، يُترك فيها طرف طويل «ذؤابة أو عذبة» ، أصبحت من زيّ القضاة[٣] وحدهم ؛ وإن شاركهم فيها الخليفة كما ذكرنا ، ويلبسون «الطرحة» ، التي تستر العمامة ، وتنسدل على الظهر ، وهي زيّ مشترك مع زيّ الخليفة وأرباب الوظائف الديوانية أرباب العمائم — بما فيهم الوزير — وكان يُطلق عليها الطيلسان المقور في زمن الفاطميين ، واُعتبرت من زيّ القضاة ؛ ولقد كانت الطرحة في أول الأمر لقضاة الشافعية وحدهم ؛ إلا أنها عُممت . أما في الرجلين ، فيلبسون الخفاف من الأديم .

وعن زي الأشراف ، الذين يتصلون بصلة النسب بأسرة النبي ؛ فإنهم يلبسون «الفرجية» على أبدانهم ، وعلى رأسهم عمائم «شطفات[٤]» ، لونها أخضر ، حتى يمتازوا عن غيرهم ؛ تعظيماً لقدرهم .

وعن زي الصوفية ، وهم من رجال الدين ، الذين كانت الدولة

---

(١) عن ذلك بتفصيل ، انظر . صبح ، ٤ ص ٤١ — ٤٢ ؛ حسن المحاضرة ، ٢ ص ١٠١ ؛ انظر . Mayer : M. Cost., p. 49,51—2.

(٢) من دلق ، انظر . Dozy : Suppl, I, p. 258

(٣) الخطط ، ٢ص ٣٠٥ س ٢٠ — ٢١ . عن كبر العمامة ، يقول ابن بطوطة : إنها كانت كبيرة ، حتى تكاد تملأ المحراب . أنظر . تحفة النظار ، القاهرة ١٩٣٨ ، ١ ص ١٠ .

(٤) ابن إياس ، ١ ص ٢٢٧ س ٥ — ٦ . عنها ، انظر . Dozy : Suppl, I, p. 759.

المملوكية تقيم لهم التكايا والخوانق[1] — وهى أماكن العكوف على العبادة — حيث كان لهم نظام متدرج يرأسه المشايخ ؛ وكانوا غالباً ما يحضرون حفلات السلطان الدينية ؛ فإنهم يلبسون مثل القضاة والعلماء : «الدلق[2]» ، وهو لباس متسع الأكمام ، وإن كانت غير طويلة ، ومفتوح فوق الكتفين ؛ وإن كان غير سابل على القدمين ، كما يرخون ذؤابة صغيرة « لطيفة » ، لا تكاد تلحق الكتف ، وذلك على الأذن اليسرى .

وعن لبس النساء من أهل السلطان والأمراء ، وحتى من عامتهن ؛ فإن معلوماتنا عنه قليلة جداً ، وإن كان ولا ريب لبساً متقدماً جداً ؛ بحيث يذكر ابن شاهين بأن وصف ملبوس زوجات السلطان « خوندات[3] » ، يحتاج إلى عدة مجلدات . فكان هؤلاء النساء يلبسن ما يسمى «البهطلة[4]» ، وهو قميص له أكمام واسعة ، تبلغ ثلاثة أذرع ، و «البغالطيق»[5] ، وهى الأخرى قمصان قصيرة الكم أو من غير كم ، وإن كان قد يُلبس فوق هذه الأخيرة ثوب آخر ، و «الإزار[6]» ، وهو ثوب من الحرير ، يغطى كل الجسم . وقد كانت النساء يلبسن عموماً السراويل — جمع

---

(١) ويقال أيضاً الخوانك . أنظر . الخطط ، ٤ ص ٢٧١ وما بعدها .

(٢) صبح ، ٤ ص ٤٣ .

(٣) زبدة ، ١ ص ١٢١ .

(٤) الخطط ، ٤ ص ١٢٧ س ٢٤ .

(٥) نفسه . من هذه الكلمة ، انظر . Dozy : Suppl, I, p. 101. وقبله . للفرد بقلطاق أو بغلوطاق .

(٦) نفسه . منها ، انظر . Ibid, I, p. 19.

سروال — بسبب حث الإسلام على لبسها[1] ، إذ وردت أحاديث نبوية تدعو النساء إلى لبس السروال ، منها : « يرحم الله المتسرولات من النساء » ، وهو لباس فارسي الأصل . ولاريب فإن السروال أصل البنطلون « Pantalon » الأوربي ؛ وحتى النساء الفاسدات « البغايا » كن يلبسن سراويل من أديم أحمر[2] ، مع ملاءات . أما على رءوس النساء المملوكيات ، فيلبسن الطواقي ، التي بالغوا فيها ، وعملوها من الذهب الحرير[3] ، والعصائب[4] أو المناديل المزخرفة « المزركشة » . كما يلبسن في أرجلهن الأخفاف المزخرفة « الزركش » ، ذات الهيئة المثمنة ، وفوقها ما يغطيها حتى سياقة الرجل « السرموزة[5] » .

ويبدو أن زيّ النساء في عصر المماليك ، كان دائم التغيير على حسب تغيّر الزيّ — الموضة — وقتذاك ، كما كان بعض السلاطين يتدخلون بإرشاداتهم في هذا الزيّ ، حتى لا يخرج عن الحدود . فعورض زيّ الأكمام الواسعة[6] ، الذي كانت النساء قد استحدثنه ، وكان قد زاد عن الحد ، كما عورض تشبه النساء بالرجال ، فمنعن من لبس الثياب المفتوحة والأقبية[7] .

---

(١) منها ، انظر . البخاري ، كتاب اللباس ، باب السراويل ١٤ ؛ انظر . Ency. (art Sirwâl) t4, p. 471—3.

(٢) الخطط ، ٣ ص ١٥٦ س ٦ — ٧ .

(٣) نفسه ، ٣ ص ١٦٩ .

(٤) الجزري ، جواهر السلوك ، مخطوط برقم ٦٧٣٩ ، ورقة ٥٩ (٣١ ب) .

(٥) الخطط ، ٤ ص ١٢٧ ؛ (في آخر الصفحة) . كلمة سرموزة فارسية . عنها انظر [illegible] Suppl, I, p. 650

(٦) الخطط ، [illegible] ص ١٢٣ ؛ ابن إياس ، ١ ص ١٩٣ .

(٧) ابن [illegible] « الذيل على تاريخ الإسلام » ، مخطوط برقم ١٠٩٨ (B.N) ، ورقة ١٢١ ب .

القصار ، التى تظهرهن مثل الرجال ، كما منعن من لبس العمائم الكبيرة[١] ، أو كتابة الكتابات الدينية على العصائب[٢] ، أو المبالغة فى أثمان الأخفاف والسرموزة ، التى بلغت خمسمائة درهم[٣] .

هذه الأزياء بأناقتها وبذخها ، كانت تُعرض أمام أعين الجمهور فى المواكب .

*

آلات الملك[٤]

وهى كل ما يُستعمل من أسلحة وأشياء يقتضيها البذخ والأبهة فى الموكب ، ويُطلق عليها أيضاً : شعائر المملكة[٥] . فكانت هذه الآلات ترمز إلى طبقة المماليك على الخصوص ؛ وذلك على عكس ما كان فى الدولة الفاطمية[٦] ؛ حيث كانت الآلات الملوكية ترمز للخليفة والوزير ، ولكبار رجال الدولة على مختلف أنواعهم ، ولجيشه بمختلف عناصره .

وليس من عملنا المقابلة بين آلات المماليك وغيرهم ؛ فهذا يستدعى دراسة خاصة ؛ وإن كان ـ ولا ريب ـ بعضها لم يكن معروفاً فى مصر من قبل ؛ بسبب أنها مستوردة من بيئتهم ، كما أن بعضها يختص بعامة

---

(١) السلوك ، ١/٢ ص ٥٠٣ س ١٠ — ١١ .
(٢) الجزرى ، جواهر السلوك ، ورقة ٥٩ (٣١ ب) .
(٣) الخطط ، ٤ ص ١٢٧ .
(٤) صبح ، ٤ ص ٩ س ١٣ ـ ١٤ .
(٥) ابن إياس ، ٣ ص ١١٣ س ٥ .
(٦) صبح ، ٣ ص ٤٦٨ وما بعدها ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٦٤ وما بعدها .

ملوك دول إسلامية(١) ، سابقة أو لاحقة على دولة المماليك . ولحسن حظنا أن بعضها لا يزال يوجد فى المتاحف إلى الآن .

وكانت الآلات السلطانية يحتفظ بها أصلاً فى الخانات بالقلعة وفى الحواصل ، ولا سيما فى الخزانة الشريفة(٢) ، التى تشبه خزانة التجمل فى أيام الفاطميين(٣) ، التى تحتوى على النفيس منها ، حيث تستخدم فى المناسبات الرسمية للدولة ، ثم تُرجع إلى أماكنها بعد ذلك(٤) ، وغالباً ما كان يحملها أمراء كبار . فلنذكر ما هو معروف من آلات المماليك فى الموكب .

الكراتة(٥)

وهى تُلبس فى المواكب ، عبارة عن خرقة من الحرير الموسيلين « الموصلى »(٦) ، ملفوفة بقدر ثلث ذراع ، وتكون مزخرفة ، تُثبت من جهة اليسار فى عمامة « الشاش » سوداء ، من غير جوهر ، وتكون بين العمامة والطاقية « الكلفتة أو الكلوتة » ، فهى أشبه بعذبة .

---

(١) يذكر ابن خلدون — فى الفصل الخاص بشارات الملك والسلطان — الآلات التى تعتبر شارات ملوك المسلمين جميعاً ، وهى : الأعلام ، والطبول ، والسرير . الخ ؛ وإن كان ابن خلدون يذكر شارات كل دولة إسلامية على حدة .

(٢) أنظر . قبله .

(٣) صبح ، ٣ ص ٤٧٢ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٢١ .

(٤) النويرى ، نهاية الأرب ، ٨ ص ٢٢٧ .

(٥) القصد ، ورقة ١٢٢ ب ؛ انظر . Quat : Sult. Maml, I, p.137n(5). ; Dozy : Suppl, 2, p. 453.

(٦) عنه : قبله .

الجمق[1]

وهو نوع من العصى أو الدبابيس ، ذات رأس ضخمة ومذهّبة ، تكون بيد السلطان ، أو يحملها أمير اسمه : الجمق دار . وهذه العصا غير العصا التى كان يحملها الحاجب ، الذى يسير أمام الموكب السلطانى ، وينظر فى المظالم[2] ، أو العصا المحدبة فى طرفها المسماة جوكان أو محجن أو صولجان ، التى يحملها الجوكندار ، فى مناسبات ركوب السلطان[3] للعب الكرة .

السيف البدوى أو العربى[4]

يقال إنه سيف عمر بن الخطاب ، وهو سيف مستقيم ، كما يُوصف بأنه مذهب . فكان السلطان يتقلد به أحياناً حول وسطه ، أو يعلق بصدر المكان الذى يجلس فيه[5] . ولدينا سيف للسلطان قايتباى فى متحف طوب قبوسراى باستنبول ، وقد نُقش على أحد وجهيه أسماء معاوية وعمر بن عبد العزيز وهرون الرشيد ، وعلى الوجه الآخر اسم السلطان قايتباى وشعاره « رنكه » ، كما أُضيف اسم صانع السيف ، وتاريخ صنعه[6] .

---

(١) زبدة ، ص ١١٦ . عنها ، انظر . Quat : Maml I, I, p. 138. ؛ Dozy : Suppl, 2, p. 217.

(٢) صبح ، ٥ ص ٥٠٤ ؛ انظر . ماجد ، نظم المماليك ، ١ ص ١١١ .

(٣) عنه : صبح ، ٥ ص ٤٥٨ ؛ القصد ، ورقة ١٢٢ (ا) . عنها ، انظر . Dozy : Suppl, I, p. 135 ؛ ورقة

(٤) ابن إياس ، ١ ص ١٠١ س ٢٣ ، ٢ ص ٩٠ س ٢٥ ؛ الخطط ، ٣ ص ٢٤٠ س ٧ ؛ القصد ، ورقة ١٢١ ب ؛ انظر . Mayer : C. Mamel,p. 44.

(٥) الإلمام ، ورقة ٨٩ .

(٦) أنظر . Stocklein : Die Waffenchatze im, Topkapu Sarayi Müzes zu Istambul. Ars Islamica. vol, 1934 p. 200—218 ؛ عبد الرحمن زكى ، النقوش الزخرفية والكتابات على السيوف ، صحيفة المعهد المصرى بمدريد ، العدد ١ — ٢ ، ١٩٥٧ ، ص ٢٢٢ وما بعدها .

نمجة الملك[1]

وهى النمشة أيضاً ، وتعنى خنجراً ، يحمله الجوكندار أو الجوكاندار الذى يحمل أيضاً ترساً صغيراً من الفولاذ ، وهو نفسه الذى يحمل عصا السلطان المحدبة فى طرفها «جوكان» ، وذلك وقت لعب الكرة ، كما ذكرنا .

الدواة[2]

ليس لدينا للأسف معلومات عنها ، وإنما يرجح أنها ثمينة ، وربما توضع فى مجالس السلطان الرسمية ، ومن قبل كانت من شارات الخلافة الفاطمية وموظفيها وبخاصة الوزير[3] .

الطبر

هو الفأس أو البلطة ، الذى لعله محلى ، يحمله السلطان أحياناً[4] ـ مثلما يحمل الخليفة الفاطمى قضيب الملك بيده[5] ـ أو غالباً يحمله الطبردار أو أمير طبر[6] ، الذى تحت يده جماعة يحملون أطباراً ، ربما أقل حجماً ، أو غير محلاة ، أو محلاة قليلاً ، يسمون : الطبردارية .

---

(١) ابن إياس ، ٢ص ٩١ س ٩ ؛ القصد ، ورقة ١٢٢ ا و ب ؛ Quat : Sult. Maml, 1, p. 137 n (13). : Dozy : Suppl, 2, p. 724 . نمجة ، ونمشة ونمجاة ونمجا ، ونيمجة ، وهى كلمة فارسية .

(٢) ابن إياس ، ٢ص ٩١ س ٩ .

(٣) عن ذلك بتفصيل : صبح ، ٣ ص ٤٦٨ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٦٨ وهامش .

(٤) ابن إياس ، ٣ ص ٧٤ (آخر سطر) . عن الطبر ، انظر . Dozy : Suppl, 2, p. 20.

(٥) صبح ، ٣ ص ٤٦٨ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٦٧ . هو عود طوله شبر ونصف ، ملبس بالذهب والدر والجوهر .

(٦) صبح ، ٤ ص ٢٢ ، ٥ ص ٤٦٢ ؛ زبدة ، ص ١١٥ س ٤ ؛ القصد ، ورقة ١٢٢(ا) ١٢٨ ؛ وقبله .

الغاشية[١]

وهى غاشية سرج لفرس ، من قطن وأديم مبطن ، على هيئة وسادة ، مخروزة بالذهب ، ومزخرفة « مزركشة » بطيور أو أهلة كلها مذهبة[٢] ، يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، وسميت هكذا ، لأنها محاطة بغشاء ، يستر السرج . وقد ورد ذكر الغاشية فى عصر الأيوبيين[٣] ، ولم نسمع عنها كشعار فى عهد الفاطميين . ولا مراء ، فإن المماليك كفرسان ، كانوا يعرضون غاشية سرجهم ، لترمز لفروسيتهم . فكان يحملها فى الموكب الركابدارية[٤] ، وهم غلمان الركاب ، وأحياناً المهتارية[٥] ، حيث أن هؤلاء عُرفوا على أنهم رؤساء الغلمان فى الخانات . ويبدو أن الغاشية أكثر من واحدة فى بعض المواكب ، حيث نقرأ : « الغواشى الذهب[٦] » .

الجتر[٧] :

وهو الشتر أو القبة ، عبارة عن مظلة من حرير أصفر ، مزخرف

(١) صبح ، ٢ ص ١٣٣ ، ٤ ص ٧ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٢٦ ؛ السلوك ، ١ / ٢ ص ٤٤٣ وهامش ؛ انظر . Dozy : Suppl, 2, p. 214. : Quat : Sult. Maml, I, p. 35 sqq, n (7)

(٢) ابن إياس ، ٣ ص ٧٤ س ٧ . يقول هذا فى صدد الكلام عن غواشى سروج .

(٣) ابن واصل ، مفرج ، تحقيق الشيال ، ٣ ص ٢٥ ؛ انظر .

Quelques aspect de l'administration : Cahen égyptienne médiévale vus par un de ses fonctionnaires. Bull. de la F. des Lettres de Strassbourg. Fév., 1948, p. 102

(٤) صبح ، ٤ ص ٧ ؛ انظر . قبله .

(٥) للقصد ، ورقة ١٢٢ .

(٦) ابن إياس ، ١ ص ٩٠ س ١٤ .

(٧) صبح ٢ ص ١٣٣ ، ٤ ص ٧ — ٨ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٢٦ س ٢٥ — ٢٦ ؛ حسن المحاضرة ، ٢ ص ٨٣ ؛ السلوك ، ١/٢ ص ٤٤٣ هامش (١) ؛ للقصد ، ورقة ١٢١ ب ؛ انظر . Dozy : Suppl, I, p. 172 . جتر أو شتر كلمة فارسية .

« مزركش » بالذهب ، على أعلاها طائر شبه الحمامة ، من فضة مذهبة ، تكون على رأس السلطان فى الموكب ، يحملها أمير كبير أو الأتابك[1] ، الذى يركب بجوار السلطان . وقد حاول السلطان قنصوة الغورى إدخال تعديل فيها ، بأن جعل عوض الطير أعلى القبة ما سمى بالجلالة ، وهى هلال ذهب ؛ إلا أن هذه الأخيرة ارتطمت ببعض السقائف فكسرت نصفين وسقطت على الأرض[2] . ومن المؤكد أن استعمال الجتر معار من الفاطميين فى مصر ، الذين استعملوا المظلة ، وإن كان العباسيون بدورهم استعملوا شمسية الخلافة[3] من قبل .

الرقبة[4]

شريط من قماش حرير لامع « أطلس » ، أصفر اللون ، مزخرف « مزركش » بالذهب ، الذى من تراكمه لا يرى الأطلس ، كما أنها مرصعة بالجواهر . فكانت تستعمل لعنق جواد السلطان حين ركوبه ، حيث توضع تحت أذنيه إلى نهاية عرفه ؛ لتكون مضاهية لما يركب به من البراذع « الكنبوش[5] » المزخرف « المزركش » المغطى لظهر الفرس حتى ذيله « كفله » ؛ وإن كان يبدو أن استعمالها مأخوذ من رسوم الفرس . وكان يشارك السلطان فى هذا الشعار أوشاقيان — أى من يسيّرون خيل السلطان فى الموكب — لفرسيهما رقبة مشابهة ، نظير ما هو راكب به ، كأنهما معدان لأن يركبهما .

---

(١) المقصد ، ورقة ١٢٢ .

(٢) ابن إياس (K.M) ، ٤ ص ٤٢٣ — ٤٢٤ .

(٣) صبح ، ٣ ص ٤٦٩ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٧٠ — ٧١ وهامش (١) و (٢) .

(٤) صبح ٢ ص ١٣٣ ، ٤ ص ٨ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٢٦ ؛ الإلمام ، ورقة ١٤١ ؛ انظر . Dozy : Suppl, I. p. 546.

(٥) منها ، انظر . Dozy : Suppl, 2, p. 491—2

ارتهاشات[١]

وهى شرائط مذهبة ، مما يدل على استعمالها للخيل أيضاً ، وربما يحملها أمير آخور ، كبير المشرفين على الاصطبلات السلطانية .

الزردية[٢]

وهى درع يلبسه السلطان تحت قماشه ، إذا كان فى موكب ، احترازاً من عدو غادر .

الأعلام[٣]

وهى عدة رايات ، من أهمها نذكر : الجاليش[٤] أو الشاليش ، وهو راية السلطان الكبرى ، عبارة عن علم أصفر من الحرير ، فى أعلاه خصلة أو ذوائب من الشعر ، على أساس التقليد التركى فى التركستان ، كان يرفع فى القلعة ، لمدة أربعين يوماً إذا كان السلطان خارجاً مسافراً على رأس الجيش ، كما يكون موضعه فى مقدمة الجيش ، إذ كلمة جاليش — وهى فارسية أو تركية - تعنى المقدمة ، وتتوافق مع الكلمة الفارسية « يزك[٥] » . ويبدو أن حامله هو العلم دار[٦] ، الذى اسمه المركب يعنى الممسك بالعلم ؛ فلعل المقصود هذا العلم . والعصائب — جمع

---

(١) المقصد ، ورقات ١٢١ — ١٢٢ .

(٢) نفسه ، ورقة ١٢٢ .

(٣) بعامة : صبح ٢ ص ١٣٤ ، ٤ ص ٨ ؛ انظر . Ency. (art 'Alm) tI, p, 252.

(٤) المقدمة لابن خلدون ، مصر ، ص ٢٠٥ ؛ انظر ، Sult I, p. 226, n. : Quatt
Suppl, I, p. 168 : Dozy ؛

(٥) منها ، انظر . Suppl, 2. p. 851 : Dozy

(٦) صبح ، ٥ ص ٤٦٣ ، انظر . قبله .

عصابه ـ وهى ألوية حرير ، صفر اللون ، مطرّزة بذهب ، عليها شعر ، منقوش عليها اسم السلطان وألقابه ؛ مما يبيّن أنها ليست صغيرة ، ويؤيد ذلك أيضاً وجود راية منها ُتوصف بأنها عظيمة[1] ؛ فكان يحملها الجاويشية[2] ، الذين يسيرون فى الموكب . والسناجق أو الصناجق[3] ، وهى رايات صغيرة من الحرير ، صفراء اللون ، توضع على رأس رمح ؛ فكلمة سنجق ـ وهى تركية ـ تعنى الرمح أو الطعن ؛ وإن ُعنى بها مجازاً اللواء ؛ حيث ُعرف ظهورها أيام السلاجقة كرمز سلطانى ؛ فكان يحملها رجال خصوصيون اسمهم : السناجق ، على رأسهم : السنجقدار[4] ، الذى يحمل أفخمها : السنجق السلطانى[5] ، الذى رمحها مرصّع بأنواع الجواهر ، حيث ُشبهت براية ملوك الفرس دِرفش كاويان[6] ، وهى راية كسرى الكبرى ، التى ُصنعت من جلد البقر . ولا ريب أنه كان لكل أمير راية « شطفة » أو أكثر ، بألوان مختلفة ، منقوش عليها شعارهم « رنك » ، الذى يقول القلقشندى إنه كان ُيجعل على كل شىء منسوب للأمير[7] ، كما أن الخليفة دون بقية موظفى الدولة ، كان إذا سار

---

(١) نفسه ، ٢ ص ١٣٢ ، ٤ ص ٨ ؛ حسن المحاضرة ، ٢ ص ٨٣ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٢٦ س ٢٢ ؛ القصد ، ورقة ١٢٢ ا ؛ انظر . Sult, I, p. 135, n (8) : Quat ; Dozy : Suppl, 2, p. 133.

(٢) الخطط ، ٣ ص ٣٤٠ س ٨ ؛ القصد ، ورقة ١٢٢ ا ؛ انظر . قبله .

(٣) صبح ، ٢ ص ١٢٣ ؛ ٤ ص ٨ انظر . Dozy : Suppl, I, p. 691. Ency. (art Sandok) t4, p. 154 sqq;

(٤) صبح ، ٥ ص ٤٥٨ ؛ انظر . قبله .

(٥) ابن إياس ، ١ ص ٤٦ س ٢٧ ؛ القصد ، ورقة ١٢٢ ا .

(٦) هذه الكلمة مكونة من درفش بمعنى علم ، وكاويان بمعنى رأس البقرة ، ويقصد بها العلم الكبير . أنظر . فتوح البلدان ، تحقيق de Goeje ، ص ٣٠٢ .

(٧) صبح ، ٤ ص ٦١ — ٦٦ . من شطفة بمعنى راية . انظر . Dozy : Suppl, I, p. 759.

فى موكب له راية خاصة اسمها : السنجق الخليفتى ، لونه أسود ، شعار الخلفاء العباسيين(١) .

السلاح

كانت مواكب سلطان المماليك الرسمية وسيلة لإظهار قوة المماليك الحربية ؛ ولذا يحصل اهتمام كبير بإخراج السلاح النفيس ، الذى أغلبه مذهب « ذهبة » ، من السلاح خاناه . فكان فى هذه المناسبة يُكشف عن السلاح من مسح ودهان وصقل وجلاء وشحذ وتثقيف(٢) . فيحمله رجال خصوصيون يسمون : السلاحدارية ، على رأسهم السلاح دار(٣) ، تميّز منهم : الزردكشية أى لابس الزرد وهى الدروع ؛ والحرب دارية أى حاملى الحراب ، والرمح دارية أى حاملى الرمح . فكان بعد انتهاء المناسبة الرسمية ، يُعاد السلاح النفيس إلى أماكنه . كذلك كان للأمراء مع مماليكهم أسلحتهم ، التى عليها رنوكهم(٤) ، ولا سيما سيوف فضة أو مسقّطة بالذهب ، تخرج لهم خاصة فى المواكب ، بعضها يلمع كالبرق(٥) . وبعض هذه الأسلحة النفيسة توجد حتى الآن تحت نظرنا ، ولا سيما تلك التى أخذها السلطان سليم ، وحُفظت فى خزانة طوب قبوسراى باسطنبول(٦) .

---

(١) ابن أياس ، ٣ ص ٢٧ س ١٦ .

(٢) النويرى ، نهاية ، ٨ ص ٢٢٨ .

(٣) صبح ، ٥ ص ٤٦٢ ، انظر ملاحظتنا عن أمير سلاح . أنظر ، قبله .

(٤) نفسه ، ٤ ص ٦٢ ؛ ابن إياس ، ١ ص ١٧٣ س ١٧

(٥) ابن إياس ، ٣ ص ١٢٩ .

(٦) أنظر : Mayer . C, Maml. p. 62.

المحفة[1]

وهى محمل على أعلاه قبة ، وله أربعة سواعد : ساعدان أمامها وساعدان خلفها ، تكون مغطاة بالصوف « الجوخ » تارة ، وبالحرير أخرى ، تحمل على بغلين أو بعيرين ، يكون أحدهما فى مقدمتها والآخر فى مؤخرتها ؛ إذا ركب فيها الراكب صار كأنه قاعد على سرير ؛ وهذه كانت تصحب السلطان فى السفر . فكان يتصدى للإشراف عليها موظف خاص ، اسمه : المحِفّدار[2] . وربما « الكجاوات[3] » . جمع « كجاوة » ، وهى من أصل فارسى ، تعنى الهوادج ؛ فكانت تخرج أيضاً فى الأسفار . كذلك توجد محفات مزخرفة « مزركشة » ، تستخدم لحمل حريم السلطان ، وحتى العيال[4] .

السروج

وهى أطقم للخيل وغيرها من الدواب ؛ حيث بلغ الاهتمام بها درجة كبيرة ، بسبب فروسية المماليك ؛ كما وجدنا بعض أمراء المماليك مثل الأمير سلار يجدد فيها ، حتى إنه غيّر فى قماش الخيل[5] . فنسمع عن وجود سروج - وهى مقعد الفرس - تكون للسلطان ولكبار الأمراء ، مطعّمة

---

(١) صبح ، ٢ ص ١٣٧ :

(٢) نفسه ، ٥ ص ٤٧٠ .

(٣) ابن إياس ، ٢ ص ٢٠ س ٦ . أوردها ابن تغرى بردى فى نص يتعلق بمواكب الفاطميين بهذا المعنى . أنظر . النجوم ، تحقيق Junb ، ٢ ص ٤٥٢ — ٤٥٣ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٧٨ وهامش (٥) :

(٤) ابن إياس ، ١ ص ٢٣١ ..

(٥) نفسه ، ١ ص ١٥٥ س ٢٢ — ٢٣ .

بالذهب أو الفضة أو البلـور أو العقيق أو بفصوص مثمنة(١) ، كما أن بعضها يكون مغطى بغشاء «غواشى» ، عليها هلالات ذهب أو طيور(٢) ، وهى ملونة ما بين أصفر أو أزرق ، وقد تركب فيها حلقات «دبل» ، أو سيور من الجلد البلغارى(٣) ، وكان يختص بأروعها السلطان وأوشاقيته ، ولا سيما اثنان منهم ، لهم الزينة عينها لفرسيهما ، كأنهما معدان لركوب السلطان(٤) . وقماش تحت السرج . الـكنابيش أو العباءة(٥) ، تشد حول الخيل ، مطرّزة «مزركشة» ، بالذهب أو الفضة الملبسة بالذهب «المخابش» ، وقد تغطى الخيل كذلك ببدل من الفولاذ «البركستوانات» ، والحرير الملون . فكان فرس السلطان فى موكب التولية يتميز بغطاءين : «مشد وكنبوش»(٦) سوداوين . كما أن قماش خيول الأمراء(٧) ، ينقش عليه أشعر تهم ، بصوف «جوخ» ملون مقصوص(٨) ، وبدل للخيل من الفولاذ «بركستوانات»(٩) ، مطعمة «مكفتة» بالذهب ، ومن قطيفة مطرّزة بالوشى ، فيها تطعيم «حشوات» ، بعضها يلمع كالبرق . ولجم وهى تكون فى فك الفرس ؛

---

(١) نفسه ، ١ ص ٩٥ س ٤ ، ٣ ص ١٥ س ٢٧ ، (K.M) ، ١/٤ ص ٤١٧ ؛ صبح ، ٤ ص ٤١ .

(٢) ابن إياس ، ٣ ص ٢٤ س ٧ ؛ صبح ، ٢ ص ١٣٥ .

(٣) الخطط ، ٣ ص ١٠٩ .

(٤) نفسه ، ٣ ص ٣٢٦ .

(٥) صبح ، ٢ ص ١٣٥ ، ٤ ص ٤١ .

(٦) حسن المحاضرة ، ٢ ص ٥٨ .

(٧) ابن إياس ، ٢ ص ٢٠ س ٥ — ٦ .

(٨) نفسه ، ٤ ص ٦٢ س ٣ .

(٩) ابن إياس ، ٢ ص ٢٢ س ٥ — ٦ ، ٣ ص ١٥ .

فإنها مطلية بالفضة أو الذهب وعلاة(١) . ومهاميز ، وهي آلة من حديد تكون في رجل الفارس فوق كعبه ، من ذهب محض أو من فضة ، أو مطلية بكليهما(٢) . وحتى للجمال في الموكب زينة خاصة من القماش المطرّز « الزركش » ، والحرير الملوّن بالسواد أو الأبيض ، على حسب المناسبة ؛ حيث ينقش الأمراء على قماش الجمال « البَلاسات » أشعرتهم ، بخيوط صوف ملوّنة(٣) . وكذا للفيلة زينة خاصة ، فلها بدل فولاذ « بركستوانات » ، وحرير أحمر ، كما تزيّن برايات « صناجق(٤) » ؛ وحتى فيل الوزير كان له قماش من ذهب ، وسرج من حرير أصفر ، بوسطه جلد(٥) .

الدواب

وهي عديدة من الخيل والجمال والفيَلة . فلقد خُصص للخيل المشتركة في المواكب اصطبلات خاصة ، أشهرها : اصطبل الخاص ، واصطبل الجحورة ، وهذا الأخير به الخيل التي تركب وقت لعب السلطان الكرة(٦) . وكان السلطان يركب خيولاً متعددة الألوان ، منها فرس أشهب يركبه السلطان في موكب التولية ، كما أن أوشاقيته تجر خيولاً بيضاء

---

(١) صبح ، ٤ ص ٤١ ، ٢ ص ١٣٥ .

(٢) نفسه ، ٢ ص ١٣٦ .

(٣) نفسه ، ٤ ص ٦٧ ؛ ابن إياس ، ١ ص ٢٣٠ — ٢٣١ . عن البلاسات ، انظر . Dozy : Suppl, I, p. 110

(٤) ابن إياس (K.M) ، ٤ ص ٤١٨ .

(٥) المقصد ، ورقة ١٢٥ ب .

(٦) زبدة ، ص ١٢٥ .

يصل عددها إلى خمسين(١) ، وهي ما يُطلق عليها الجنائب ، كما أن منهم اثنين يركبان فرسين أشهبين(٢) في بعض المواكب ، يُطلق عليهما الجفتاه ، جمعها الجفتاوات . ولا ريب ؛ فإن أعداد الخيول في الموكب كانت كثيرة ، حيث كانت الدولة تصرفها للأمراء والمماليك ، ويبلغ ما يصل أحد الأمراء منها مائة فرس في السنة(٣) ، فضلاً عن شرائها من الأسواق. وكان للأمير في الموكب جنيب أو أكثر - وهي الخيل التي تجر باليد - وذلك على حسب مقامه(٤) . وتُسيَّر في موكب الحج على الخصوص هجن السلطان(٥) ، والهجن الخاصة بالأمراء(٦) . يُضاف إلى ذلك وجود الفيلة ، ولا سيما ثلاثة كانت تسير في المواكب ، منها فيل كبير له سائس خاص(٧) ، كما سمعنا عن فيل خاص بالوزير(٨) .

الطبل

وهو أنواع متعددة ، وتوجد بكثرة ، منها ما يسمى : الطبول الدبادب(٩) ، التي ربما سُميت هكذا لما تصدره من صوت هائل . وطبل دهول أو دُهل(١٠) ،

---

(١) الإلمام ، ورقة ١٤١ . عن هذه الكلمة ، انظر . Suppl, I, p. 221 : Dozy

(٢) الخطط ، ٣ ص ٣٢٦ س ١٧ ؛ صبح ، ٢ ص ١٣٣ - ١٣٤ . أخطأ Dozy بقوله إن الجفتاه مملوكان ، بينما كما يظهر من نص القلقشندي ، هما فرسان أشهبان . أنظر . Suppl, I, p. 200 : Dozy

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٢٦ س ١٤ .

(٤) صبح ، ٤ ص ٦١ .

(٥) ابن إياس ، ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٦) صبح ، ٤ ص ٦١ .

(٧) ابن إياس ، ٢ ص ٣٠ س ٦ ، ٣ ص ٢٦ .

(٨) المقصد ، ورقة ١٢٥ ب .

(٩) صبح ، ٢ ص ١٣٤ .

(١٠) زبدة ، ص ١٢٥ س ٣ ؛ انظر . Suppl, I, p. 467. : Dozy

التي توصف على أنها طبول نصف دائرية . والنقارات أو النقاقير أو الدف[١] ، وهى ذات شكل اسطوانى مجوف من الداخل ، مشدودة بالجلد من الناحيتين . فكان عدد الطبول التى تسير برسم السلطان فى المواكب أربعة طبول ، وعشر نقارات[٢] . كذلك وجد للأمراء طبول ، ولا سيما طائفة منهم — وهم أمراء الطبلخانات — تميّزت بدق الطبول فى مواكبها ؛ حيث كان لكل منهم أربع نقارات[٣] . فكان لكل أمير طبلخانات حمل جمل منها ، بينما أمير الألف له حمل جملين[٤] ، وربما زاد بعضهم ما شاء[٥] .

الكوسات[٦]

وهى صنجات من نحاس تشبه الترس الصغير ، يدق بأحدها على الآخر ، بإيقاع مخصوص ؛ وإن كان بعض المؤرخين يُطلق عليها طبول[٧] ، ويصفونها بأنها على شكل نصف دائرى . فكان يدق بها على باب السلطان ، وربما يسير برسمه فى الموكب أربعون منها[٨] .

(١) منها ، انظر . Ibid, 2, p. 711

(٢) النجوم (P) ، ٦ ص ٢٥٦ .

(٣) صبح ، ٤ ص ٦١ .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه ؛ ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٠٥ .

(٦) صبح ، ٤ ص ٩ ، ١٣ .

(٧) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٠٥ . القلقشندى نفسه فى مكان آخر ، يعنى أنها هى الطبول ؛ فيقول نقارات الكوسات بغير كوسات . صبح ، ٣ ص ٤٧١ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٨٧ وهامش . وكوسات هى كلمة فارسية ، انظر . Inostrantsev, p. 45

أما ابن إياس ، فيقول طبول وكوسات ؛ مما يجعل نصه غير واضح . بدائع ، ص ٢٤ س ١٤ .

(٨) زبدة ، ص ١٢٥ س ٢ — ٣ .

البوقات[1]

وهى كثيرة ، بعضها من الذهب أو الفضة . نذكر منها النفير السلطانى ، المسمى : « البرغش »[2] ، الذى لعله بوق من فضة ؛ وإن كنا لا نعرف عنه كثيراً . والشَّبابة السلطانية[3] ، التى طولها شبر ، وهى ينفخ فيها ؛ فهى تشبه الغربية فى أيام الفاطميين[4] ، وتُوصف على أن لها صوتاً حسن الإيقاع ، لا يقصد به الطرب ، وإنما إيقاع المهابة ؛ فكانت الشبابة تستعمل فى المواكب الكبرى ؛ وإلا عوض عنها بوق فضة أو نحاس . والزمامير أو الزمر[5] ، المعروفة بالصهان ، التى كان للأمراء فيها نصيب ، حيث كان لكل أمير الحق فى زمارتين ، على عكس السلطان الذى له أربعة[6] . والنفيرات وهى أيضاً يُنفخ فيها ، فعرف منها عدد عشرين ، تكون على باب السلطان[7] ، وربما فى موكبه . والأوزان[8] ، وهى آلة موسيقية ، من أصل أجنبى ، لا نعرف عنها شيئاً ، كانت توجد فى الموكب .

---

(١) صبح ، ٢ س ١٣٤ .

(٢) ابن إياس ، ٣ ص ٢٦ س ٢٥ .

(٣) صبح ، ٤ ص ٩ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٢٦ س ٢١ ؛ الإلمام ، ورقة ١٤١ .

(٤) صبح ، ٣ ص ٥٠٢ س ١٥ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٨٣ . يوصف بأنه بوق لطيف معوج الرأس ، متخذ من الذهب ، مخالف لصوت الأبواق الأخرى .

(٥) صبح ، ٢ س ١٣٤ ؛ النجوم (P) ، ٦ ص ٢٠٦ [فى آخر الصفحة] .

(٦) زبدة ، ص ١٢٥ س ٣ .

(٧) نفسه .

(٨) ابن إياس ، ١ ص ٣٢٢ س ١٣ . منها ، انظر . Dozy : Suppl I, p. 44.

الفوانيس

وتحمل أمام السلطان فى مواكبه الليلية ، ولعل جماعة تسمى المشاعيلية[١] ، هى التى تحملها .

الخيام أو الفساطيط[٢]

وهو من أشعرة المملكة ، وللسلطان منها العدد الكبير ، بحيث كانت لها حواصل[٣] . وقد وصفت الخيام بأنها ناصعة البياض شاهقة فى الهواء ، مزخرفة بأنواع التقاصيص الملونة . فكانت تختلف على حسب أنواعها ، منها العظيمة الشأن والصنعة ، حيث تكون مقام القصور ؛ مما يدهش العقول . ولعل أشهرها خيمة المولد النبوى[٤] ، التى صُنعت فى عهد السلطان قايتباى ، واُعتبرت من عجائب الدنيا لم يعمل مثلها قط ؛ كانت بهيئة قاعة ، لها أربعة أروقة ، وفوقها قبة بقمريات ، وقد زينت بداخلها بفصوص عربية ، وكان يقوم بنصبها خمسمائة إنسان . كذلك خيام الصيد والنزه والأسفار[٥] ، تكون مزودة بكل شىء : بشلاتت النوم والأبسطة ، وغير ذلك . أما خيام الحرب ، ولا سيما خيمة السلطان ، فتسمى الوطاق[٦] ؛ فقد كانت إحداها تحمل على مائة وعشرين جملاً ، كما أن

---

(١) لعلهم سموا هكذا لأنهم كانوا يسيرون فى المواكب وهم يحملونها ؛ وإن كان لهم منصب آخر هو ضرب الأعناق . ابن إياس ، ٢ ص ٣١٢ .

(٢) صبح ، ٤ ص ٩ ؛ الإلمام ورقة ١٤٦ .

(٣) ابن إياس ، ٣ ص ١١٢ س ٢٨ .

(٤) نفسه ، ٣ ص ١١٢ — ١١٣ .

(٥) النويرى ، نهاية ، ٦ ص ٢٢٦ وهامش (١) .

(٦) زبدة ١ ص ١٣٢ . جمعها الوطاقات .

خياماً أخرى تسمى الخركاهات(١) — جمع خركاه — بمعنى القبة.

الحراقة (٢)

وهو الاسم الذى أطلق على السفينة النيلية، التى كان السلطان يركبها فى النيل، على الخصوص يوم الاحتفال بوفاء النيل وفتح الخليج؛ ولها رجال يتولون أمرها، يرأسهم: رئيس الحراقة.

*

نظام الموكب:

كان الموكب يسير فى داخل القلعة أو فى خارجها؛ وإن كنا لا نعرف طريق سيره فى داخلها لجهلنا بطبوغرافية القلعة وقتذاك. ولكن ولا ريب فى أن يكون التجمع فى أحد ميادين القلعة الكبرى، ولا سيما المسمى: الميدان(٣)، الذى هو بجوار أحد قصور السلطان، ويوصف بأنه فسيح المدى، أو يكون فى إحدى الرحبات الفسيحة الداخلية(٤)؛ التى هى بجوار قصور السلطان.

كما لا نعرف من أى باب من الأبواب يكون الخروج من القلعة؛ فقد كان لها عدة أبواب، منها: الباب الأعظم المواجه للقاهرة، ويقال له الباب المدرج، حيث كانت أمامه ساحة مستطيلة، وباب القرافة الذى كان

---

(١) النويرى، نهاية، ٨ ص ٢٢٦ وهامش ٢٠١ هى كلمة فارسية، مفردها خركاه:

(٢) صبح، ٥ ص ٤٦٧؛ ابن إياس(K.M)، ٤ ص ٢١٢ س ٢٠، ٢٣٢. منها، انظر. Suppl, I, 2, p. 366. : Dozy

(٣) الخطط، ٣ ص ٣٣٣ س ١١ — ١٢؛ صبح، ٣، ص ٣٧٣.

(٤) الخطط، ٣ ص ٣٣٢ س ٢٤، ٢٦.

أقل سلوكاً من الباب الأعظم ، فكان بين البابين ساحة فسيحة(١) ، وباب السلسلة أو ما يسمى أيضاً باب الاصطبل أو باب العرب(٢) ، فلعله مجاور للباب الأعظم ، وباب السر الذى يدخل منه الأكابر والأمراء ، وهو يفتح ويُغلق لمن يستحق منهم(٣) . ويبدو أنه بعد الخروج من القلعة ، كان دخول القاهرة من باب النصر ، وبعد شقها يكون الخروج من باب زويلة ، ثم العودة إلى القلعة(٤) .

كذلك ترتيب الموكب يختلف من واحد لآخر ؛ وإن كان يبدو عموماً أنه يأتى فى طليعته الركابدارية(٥) — أى الذين يركبون الخيل — وهم يسيرون على جانبى الطريق لفتحه ، يرأسهم أمير جندار ، الذى من عمله حراسة السلطان فى الموكب(٦) . ويبدو أن بعضهم من المشاة ، يحملون الغاشية أو الغواشى - وهى غطاء سرج السلطان ، رمز فروسيته - فكانوا يحركونها ، بدليل أنهم كانوا يلعبون بها(٧) ، وهم رافعوها على أيديهم ، يلفونها يميناً وشمالاً ، وهى كالتبر تلمع فى ضوء الشمع أو الشمس .

ثم يأتى فارس ينفخ فى الشبابة(٨) « يشبب » ، وهى البوق السلطانى ،

---

(١) نفسه ؛ صبح ، ٣ ص ٣٧٠ .

(٢) المنهل ، ص ٩٠ ؛ ابن إياس ، ٣ ص ٢٦ .

(٣) صبح ، ٣ ص ٣٧٠ .

(٤) الجزرى ، جواهر السلوك (B.N) ، ورقة ٣٠١ .

(٥) الخطط ٣ ص ٣٧٦ . هكذا يفهم من النص ، أنهم قدام السلطان . أيضاً : صبح ، ٤ ص ٧ .

(٦) هو يكون فى الموكب فى الأسفار . أنظر . صبح ، ٤ ص ٢٠ ؛ وقبله .

(٧) المام ، ورقة ١٤١ ؛ ابن إياس ، ١ ص ٩٠ س ١٤ ؛ انظر . قبله . يقول : لعبوا بالغواشى لدامه :

(٨) الخطط ، ٣ ص ٣٢٦ س ٢٠ — ٢١ : يقول : إمامه .

الذى له صوت حسن يوقع المهابة ؛ وإن كانت هذه تستعمل فى المواكب الكبرى فقط ، وفى المواكب الأخرى يستعمل النفير السلطانى المسمى : البُرغش(١) .

وكان يسير فى بعض المواكب الفيلة ، وهى مزينة بأنواع الزينة ، ولاسيما ثلاث(٢) ، منها فيل كبير له سائس(٣) ، والهجن الخاصة بالسلطان ومعها الهجانة(٤) ، كما أنه فى مواكب الصيد يسير البزادرة حملة الباز وهى القصور ، يعقبها كلاب الصيد بصحبة الكلبزية ، يتبعها الفهود(٥) .

ثم يأتى أوشاقيان أو أوجاقيان(٦) ـ وهما مملوكان ـ راكبان فرسين أشقرين يسمى الواحد الجفتة ، حول عنق كل منهما رقبة ملساء « أطلس » ، صفراء مطرّزة بالذهب ، تشبه رقبة فرس السلطان ؛ فكانا يسيران وهما فى أحلى زينة ، متساويان فى سيرهما ؛ لا يتعدى الواحد الآخر ببعض خطوة .

أما السلطان فيأتى راكباً فرسه الأشهب ، الذى عليه رقبة ملساء « أطلس » صفراء مطرّزة بالذهب ، حيث يسير على شقق الحرير المفروشة على الأرض(٧) . وفى بعض الأحيان ترفع على رأسه المظلة الحرير الصفراء ، التى يعلو قمتها طير من فضة ، يحملها أحد كبار الأمراء(٨) ،

---

(١) ابن إياس ، ٣ ص ٢٦ س ٧٥ .
(٢) نفسه يقول : فى أول الموكب .
(٣) نفسه ، ٢ ص ٣٠ س ٦ .
(٤) نفسه ، ١ ص ٢٣٠ — ٢٣١ ؛ زبدة ، ص ١٢٦ .
(٥) الإلمام ، ورقة ١٢٩ ظ .
(٦) نفسه ، ورقة ١٤١ ظ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٢٦ .
(٧) الإلمام ، ورقة ١٤١ و .
(٨) الخطط ، ٣ ص ٣٢٦ .

وهو راكباً فرسه إلى جانب السلطان . ويكون حواليه وأمامه الطبردارية ، على رأسهم الطبردار ، أى حملة الفؤوس ، ويكونون مشاة ، حيث يعدون لضرب أى عدو يقترب من السلطان من غير إذن(١) .

وقد يكون بجوار السلطان : الجمقدار(٢) ، الذى يحمل بطول يده عصا السلطان أو الدبوس على عادة خلفاء الفاطميين أو ملوك مصر الفراعين ، أو الجوكندار الذى يحمل نمجة الملك ، وهو الخنجر السلطانى ، وترساً صغيراً فولاذياً ، أو حتى عصا الكرة المسماة « الجوكان(٣) » ، أو كبير الحجاب ، الذى يكون أمام السلطان ، بيده عصا ، ويتلقى المظالم(٤) ، أو حتى الخازندار ، الذى يحمل كيس المال المقرر للصدقة(٥) .

ثم يأتى خلف السلطان الأوشاقية أو الأوجاقية ، وهم الذين يسيّرون خيل السلطان باليد ، المسماة الجنائب ، وهى مزينة بغواشى مشابهة لغواشى السلطان ، وعلى ظهورها البراذع « الكنابيش » المزركشة ، المكللة بالجواهر(٦) .

ثم يأتى فى المواكب الكبرى : حملة الأعلام(٧) ، وعلى رأسهم العلم دار ، الذى يحمل الجاليش أو علم السلطان الأكبر المزيّن بخصلة من الشعر ، والصنجق دار الذى يحمل الصنجق السلطانى ،

---

(١) نفسه ؛ صبح ، ٢ ص ١٤١ .
(٢) ابن إياس ، ٣ ص ١٢ ؛ وقبله . لعل نص ابن إياس يوضح ترتيبه .
(٣) أنظر . قبله .
(٤) صبح ، ٥ ص ٤٥٠ ؛ وقبله ، وبعده .
(٥) أنظر . قبله .
(٦) الإلمام ، ورقة ١٤١ ظ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٢٦ س ٢١ — ٢٢ .
(٧) الخطط ، ٣ ص ٣٢٦ س ٢٢ — ٢٣ ؛ صبح ، ٢ ص ١٣٤ .

ويكون معه جماعة تحمل أعلاماً مشابهة تسمى الصناجق ، أما العصائب وهى رايات مطرّزة بألقاب السلطان ، منها واحد عظيم ، فيحملها الجاويشية(١) ، الذين كانوا يصيحون فى المواكب أيضاً .

ثم يأتى السلاح دارية(٢) ، وعلى رأسهم السلاح دار ، وهم يحملون السلاح النفيس الذى يخرج لهذه المناسبة ، فهم : الزردكشية أى لابسو الزرد وهى الدروع ، والحزب دارية أى حاملو الحراب ، والرمح دارية أى حاملو الرمح(٣) ، وربما هؤلاء من يُطلق عليهم طُلب السلطان(٤) ، أى فرسانه من مماليكه ، الذين عددهم يتراوح بين عدة مئات .

ثم يأتى الأمراء(٥) المماليك ، على الخصوص من أرباب الوظائف(٦) ، وهم يسيرون راكبين أو مشاة وراء الموكب(٧) ، ومعهم أرباب الوظائف فى دواوينهم الخاصة ، مثل : أمير دوادار ، ورأس نوبة ، وأمير مجلس ، والجمدارية(٨) ، كل من كان منهم أكبر ، كان للأمير أقرب . وربما يحاط الأمراء بمماليكهم فالأمراء المقدمون يحاطون بمائة أو أكثر ، وأمراء الطبلخانات وغيرهم بأعداد أقل محددة على حسب درجتهم ، فقد كان مقام الأمراء بأعداد مماليكهم(٩) .

---

(١) الخطط ، ٣ ص ٢٤٠ س ٨ .
(٢) نفسه ، ٣ ص ٢٢٦ .
(٣) النويرى ، نهاية ، ٨ ص ٢٢٨ .
(٤) أنظر . قبله .
(٥) الخطط ، ٣ ص ٢٤٠ س ٧ ــ ٨ ؛
(٦) نفسه ، ٣ ص ٢٢٦ (فى آخر الصفحة) .
(٧) ابن إياس ، ٢ ص ٣٩ .
(٨) صبح ، ٤ ص ٦١ .
(٩) السلوك ، مخطوط برقم ٤٥٥ ، ٢/٤ ، ورقة ٤٣٤ .

كما تصحب الأمراء خيولها مزينة ، منها الجنائب بيد الأوشاقية على قاعدة السلطان فى ذلك ، وحتى الجمال يكون عليها قماشها مزيناً ، ويتسلح الأمراء ومن يتبعهم بأنواع الأسلحة ، ويكون لكل أمير فرقته من الطبول وغيرها ، حيث يكون شعاره موسوماً على كل ما يخصه(١) .

وكان قواد جند الحلقة أو العساكر ، أو ما يسمون أيضاً أولاد الناس(٢) ـ وهم محترفو الجندية ـ لهم حق حضور المواكب(٣) . فكان هؤلاء القواد يتميّزون بأعداد الجند تحت قيادتهم ـ مثل الأمراء ـ فمنهم: باش العسكر أو نقيب ، الذى يقود مائة ، ومقدم الذى يقود أربعينات(٤). فكان من هؤلاء الأجناد أو العسكر يتكون عادة طلب الأمير(٥) ؛ فأمير مائة أو الأمير المقدم له أن يقود ألف جندى ، بينما أمراء الطبلخانات وغيرهم ، فإن تحت قيادتهم أعداداً أقل .

وأخيراً يأتى خلف الموكب(٦) ، من يضربون الآلات الموسيقية الخاصة بالسلطان ، منهم : الدبندار الذى يضرب الطبول ، والكوسى الذى يضرب الكوسات ، والمنفر الذى ينفخ البوق(٧) ، والزمار الذين ينفخون فى الزمر ، وأحياناً الشعراء(٨) أيضاً .

---

(١) صبح ، ٤ ص ٦١ ـ ٦٢ .
(٢) منهم : قبله .
(٣) المقصد ، ورقة ١٢٣ ب .
(٤) الخطط ، ٣ ص ٣٥٠ .
(٥) مثلاً : ابن إياس ، ٣ ص ٢٤ .
(٦) صبح ، ٢ ص ١٣٤ .
(٧) نفسه ، ٤ ص ١٣ .
(٨) ابن إياس ، ١ ص ٣٢٢ .

فكان هذا هو ترتيب موكب السلطان ، الذى يختلف فى تكوينه من موكب لآخر ، كما أن بعض الآلات الملوكية قد تحذف أو تزاد على حسب كل منها ، كما سنذكر .

* *

٢ ــ الجلوس[١]

وهى الكلمة التى تعنى الحفلات الرسمية ، التى تعقد فى تواريخ ومناسبات محددة ؛ حيث يجلس فيها السلطان للاستقبال الرسمى ؛ وهى من رسوم السلطنة أيضاً[٢] .

فكان مجلس السلطنة يُعقد عادة فى قاعة خاصة سُميت : الإيوان ، أى القاعة الفسيحة ذات الأعمدة ؛ كما كان الحال فى عهد الفاطميين[٣] ، أو غيرهم فى دول الإسلام . فلقد كان بقصور المماليك فى القلعة عدة إيوانات ، حتى أنه كان يوجد فى القصر الواحد منها أكثر من إيوان[٤] ، معدّة للاستقبال ، وبها لوازم الجلوس . كذلك وجدت إيوانات لجلوس السلطان فى المدن الكبيرة فى دولته ، مثل الإسكندرية ودمشق وغيرهما ؛ فمثلاً فى الإسكندرية كان يوجد مكان اسمه دار السلطان ، يطل على البحر ، وتحيط به بساتين حسنة ، وقيل إن إنشاءه من أيام المقوقس[٥] ــ حاكم الروم على مصر ــ وبقى فى عهد الفاطميين والأيوبيين والمماليك ، الذين حسّنوا فيه :

---

(١) صبح ، ٤ ص ٤٤ وما بعدها .
(٢) الخطط ، ٣ ص ٤٤١ س ٢٦ ، ٢٧ .
(٣) نفسه ، ٢ ص ٢٢٢ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١١١ وما بعدها .
(٤) الخطط ، ٣ ص ٣٤١ س ١٠ .
(٥) زبدة ، ص ٤٠ .

ولعل أشهر الإيوانات، التي غالباً ما يقام فيها مجلس السلطنة ، هو ما يوجد بالقلعة في القصر المعروف بالكبير(١) ، الذي يبدو أنه بجوار القصر المشهور بالأبلق(٢)، حيث يتصل هذا الأخير كذلك بقصور خاصة «جوانية». فعرف هذا الإيوان المتميز(٣) : بالكبير والمعظم وحتى بدار العدل ، على أساس أنه كانت تعقد فيه جلسات المظالم أيضاً . فكان من يرى هذا الإيوان ـ على حسب قول المؤرخين ـ يقرّ لسلاطين مصر بعلو الهمة ، وسعة الإنفاق والكرم . وقد بناه قلاوون ، وجدده أبنه الأشرف خليل ، وهدمه وأعاد بناءه الناصر محمد ، فجعل فوقه قبة خضراء عالية جداً ، وحُملت إليه أعمدة عظيمة وكثيرة نقلها من بلاد الصعيد ، وعمل أمامه ساحة فسيحة مستطيلة ، تسمى: ساحة الإيوان ، وكان يؤدي إليه بدهاليز ، منها دهليز طويل بأعمدة «دركاه»(٤) ، توجد حولها فسحات « رحبات » .

ولهذا الإيوان عدة أبواب ، منها: باب السر ربما كان لدخول السلطان ، وباب آخر اسمه باب الإيوان ، مسبوكاً من حديد بصناعة بديعة ، يمنع الداخل إليه(٥) ، وله منه باب يُغلق ؛ فإذا فتح الإيوان ، دخل الحاضرون من هذا الباب . وكانت قاعة الإيوان ـ مثل بقية أجزاء القصر(٦) ـ حوائطها مغطاة بالرخام والفصوص المذهبة والمشجّرة

---

(١) ابن إياس ، ٢ ص ٢ .

(٢) عنه بتفصيل : الخطط ، ٣ ص ٣٤٠ ـ ٣٤١ . بنى في ٧١٤/١٣١٤ ـ ١٣١٥ .

(٣) زبدة ، ص ٢٦ س ١١ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٣٢ س ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٣٣ س ١٤ ، ٣٣٥ـ٣٣٦ ، ٣٤٠ (آخر سطر) ، ٣٤١ س ١٣ ، يوجد إيوان آخر يسمى : الأشرفى ، لأن الأشرف خليل كان قد جدد فيه ، وربما يكون اسماً لهذا الإيوان؟ أو لأنه يوجد في القصر الذي بناه الأشرف ، وسمى بالأشرفية . أنظر . ابن إياس ، ١ ص ١٤٩ (آخر سطر) . من القصر ، انظر . الخطط ، ٣ ص ٣٤٣ ؛

(٤) من هذه الكلمة الفارسية ، انظر . Dozy : Suppl, I, p. 437.

(٥) الخطط ، ٣ ص ٣٣٥ .

(٦) نفسه ، ٣ ص ٣٤١ .

بالصدف وأنواع الملونات ، وأرضها مفروشة بالرخام المنقول من أقطار الأرض مما لا يوجد مثله ، وسقفها مذهّب ، وقد موه باللازورد ، وكان النور يخرق من جدرانها بطاقات من الزجاج القبرسي الملوّن ، كقطع الجواهر المؤلفة في العقود .

وبالإضافة إلى الإيوانات التي يُعقد فيها مجلس السلطنة ، توجد في القلعة : القاعات التي يعقد فيها السلطان مجالسه الخاصة أو الأقل أهمية ، مثل : البحرية ، والبيسرية ، والدهيشة(١) ، والأعمدة(٢) ، والنحاس(٣) . وعلى العكس ، تُعتبر هذه القاعات في بنائها تحفاً فنية زُخرفية ؛ فهي مبنية من الأحجار البيض والحمر والرخام ، وبها من الفرش والبسط والآلات ما يجلّ وصفه . فمثلاً في قاعة البيسرية ، أقيم برج من العاج والأبنوس المطعم لجلوس السلطان ، فيه شبابيك من ذهب خالص تُذهل الناظر ، وهي تطل على جنينة بديعة الشكل ، وأما قاعة الأعمدة فلها باب من نحاس ، وشبابيك مطلة على الإيوان .

ويذكر المؤرخون عدة أماكن أخرى ، يعقد فيها السلاطين مجالسهم الخاصة والرسمية ، ليس لها اسم إيوان أو قاعة ، مثل : مكان أسمه «خرجاه»(٤) ، ووُصف بأنه برسم المواكب السلطانية ، مفروش بالرخام الملون ، والسقوف المدهونة بالذهب واللازورد ، والنقوش العجيبة ،

---

(١) ابن إياس ، ١ ص١١٧ س ٧ ؛ زبدة ، ص٢٦ . معلوماتنا عنها مقتضبة ، فالدهيشة عمرها السلطان الصالح إسماعيل في ٧٤٥/١٣٤٤ ، والبيسرية بناها السلطان الناصر حسن في ٧٦١/١٣٦٠ (الخطط ، ٢ ص ٢٤٤) ، أما البحرية فلا نعلم عنها شيئاً يذكر .

(٢) ابن إياس ، ١ ص ١٠١ س ٥ . من عهد بيبرس .

(٣) نفسه ، ١ ص ٢٢٧ س ٧ . من عهد برقوق .

(٤) زبدة ، ص ٢٦ . بناها الناصر . لا نعرف معنى هذه الكلمة ، التي قد تكون خركاه ، بمعنى خيمة .

أو حتى مكان اسمه : الرفرف(١) ، الذى كانت عليه قبة على عمد مزخرفة بصور أمراء المماليك تتميز بالأبهة .

كذلك قد يجلس السلطان فى الهواء الطلق أحياناً ـ ولاسيما أن جو القاهرة يكون حاراً فى الصيف ـ فيقام له فى أحد الأماكن المطلقة فى القلعة «حوش(٢)» ، بناء مرتفع «مصطبة» ، نُصبت فوقها مظلة من حرير بعواميد من ذهب وفضة «سحابة» ، لتقيه من الشمس ؛ ومثل هذا الجلوس يكون حتى فى الاستقبالات الهامة جداً كاستقبال رسل الملوك .

وكان يوجد فى صدر مجلس السلطنة سرير أو تخت الملك أو السلطنة(٣) ، الذى يجلس فيه السلطان ؛ وهو على هيئة منبر مرتفع من رخام وعاج وأبنوس ، يشبه منابر الجوامع ؛ إلا أنه مستند إلى الحائط ؛ فكانت توضع عليه المرتبة ، التى توشح بفرش الحرير(٤) . ولا يعنى هذا أن السلطان فى كل جلوس يجلس على هذا السرير ؛ فهو لا يجلس عليه إلا فى المناسبات المهمة(٥) . ولكن فى مناسبات جلوس أقل أهمية يجلس على كرسى من خشب ، مغشى بالحرير ، إذا أرخى رجليه كادت أن تلحقا الأرض(٦) ، أو على طراحة ، وهى مرتبة مربعة صغيرة ـ إذا جلس على الأرض ـ خلفها مسند(٧) . كما يُعمل فى داخل قصور السلطان كرسى

---

(١) الخطط ، ٣ ، ص ٣٤٥ . بناه الأشرف خليل ، وهدمه الناصر .

(٢) ابن إياس ، ٣ ص ٧ س ٢٢ وما بعدها . عن كلمة سحابة ، انظر . Dozy : Suppl, I, p. 635.

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٣٥ س ٢٢ ؛ صبح ، ٤ ص ٦ — ٧ . أول من اتخذ السرير معاوية .

(٤) ابن إياس ، ١ ص ١٠١ س ٨ ؛ الإلمام ، ورقة ٨٩ . كان معاوية أيضاً ، أول من اتخذ المرتبة . المقدمة ، ص ٢٠٥ — ٢٠٦ .

(٥) مثل استقبال الرسل الكبار .

(٦) صبح ، ٤ ص ٧ .

(٧) السلوك ، ٢/١ ص ٤٤٩ س ١٠ . منها ، انظر ، Dozy : Suppl, 2, p. 32.

صغير من حديد ذو ذراعين ، يُنقل مع خادم ، يحمله له إلى حيث يجلس السلطان(١) . ولم تذكر النصوص التاريخية وجود ستارة حول التخت ؛ لتخفى السلطان عن أعين الناس ، مثلما كان الحال عند جلوس خلفاء الفاطميين(٢) ، وفى رأينا أن السلطان المملوكى يجلس بجرأة أمام أعين الحاضرين . ولكن كان يعلّق سيف السلطان فوق التخت ، أو حتى الكرسى المعدّ لجلوسه ، عليه رنكه أى شعاره(٣) . وأخيراً لا يبدو أنه كان يوجد فى مجلس السلطنة كراسٍ أو أماكن لجلوس أحد ، إذ المفروض أن يقف الجميع ؛ وإن كان فى بعض الأحيان توضع بعض مقاعد من الحرير لجلوس الأمراء(٤) .

وكان الوصول إلى مجلس السلطنة يتفق مع التنظيم الداخلى للقلعة بما تشتمل عليه من قصور وأبواب وساحات ورحبات ودهاليز ؛ وهى غير معروفة لنا بدقة . فنحن نجهل رسوم وصول السلطان إليه ، الذى ربما يصل إليه من باب السر(٥) ، من قصوره الجوانية(٦) ، راكباً فرسه ؛ حيث يعبر باباً اسمه : « باب النحاس(٧) » ، الذى يؤدى إلى دور حريمه . فيقف فرسه عادة عند درج معروف(٨) ، أو أن السلطان يسير فى دهاليز

---

(١) صبح ، ٤ ص ٧ ؛ المقصد ورقة ١٢١ ب .

(٢) صبح ، ٣ ص ٤٩٥ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١١٣ . يذكر المؤرخون وجود موظفين للمجلس المملوكى اسمهم يعنى حرس الستارة ، انظر . بعده .

(٣) الإلمام ، ورقة ٨٩ .

(٤) أنظر . بعده .

(٥) نفسه ، ٣ ص ٣٣٥ .

(٦) الخطط ، ٣ ص ٣٤٠ (فى آخر سطر) ، ٣٤١ ص ٤ — ٥ .

(٧) نفسه ، ٣ ص ٣٤٥ .

(٨) نفسه ، ٣ ص ٣٤٠ س ٩ .

مفروشة بالرخام ، قد فرشت بأنواع البسط(١) . كذلك معلوماتنا قليلة عن دخول الأمراء وغيرهم إلى المجلس ، فيبدو أنهم يدخلون إليه بعد تجمعهم فى الرحبة أو الساحة ، حيث كانت توجد مصاطب يجلسون عليها(٢) .

وكان يشرف على تنظيم جلوس السلطان كبار رجال القصر ، وعلى رأسهم أمير مجلس(٣) ، الذى هو أحد كبار الأمراء ، وهو مثل صاحب المجلس فى أيام الفاطميين(٤) ، كما كان لأمراء المماليك أنفسهم فى مجالسهم من يتولى أمرها ، ويُطلق عليه أيضاً : أمير مجلس . وكان لابد أن تتوفر الحراسة اللازمة للسلطان فى هذا المجلس ، حيث تُكفل إلى أمير جاندار ، الذى يعاونه جماعة البرد دارية(٥) . ويوجد أيضاً الحجّاب ، وعلى رأسهم أمير حاجب(٦) ، الذين لا يُدخلون إلى المجلس إلا من يريد السلطان رؤيته ؛ وإن كان هؤلاء اختصوا بالأولى بالنظر فى المظالم ؛ مما جعل لأمير جاندار سلطة الاستئذان(٧) على السلطان فى وقت الجلوس . وكانت العسكر بدورها تقف فى الساحة وهى تنظر من تخاريم باب الإيوان المسبوك من حديد بصناعة دقيقة(٨) .

ولا يسمح بدخول الأمراء إلى القاعة ، إلا إذا أذن لهم السلطان . ويبدو أن دخولهم من باب الإيوان ، الذى يُغلق من ورائهم(٩) . فإذا

---

(١) نفسه ، ٣ ص ٣٤١ س ٩ — ١٠ .

(٢) نفسه ، ٣ ص ٣٤١ س ٨ .

(٣) صبح ، ٥ ص ٤٥٥ ؛ انظر . قبله .

(٤) نفسه ، ٣ ص ٤٨١ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٣١ .

(٥) صبح ، ٤ ص ٢٠ ، ٤٨١ ؛ انظر . قبله .

(٦) نفسه ، ٤ ص ١٩ — ٢٠ ، ٥ ص ٤٥٠ .

(٧) نفسه ، ٥ ص ٤٦١ .

(٨) الخطط ، ٣ ص ٣١٥ (آخر الصفحة) .

(٩) نفسه .

دخلوا وقفوا عن يمين وشمال، على حسب رتبهم، ولهم آداب في الوقوف(١)؛ فيقف كل منهم في مكان معروف، يتفق مع مكانته وتربيته، ولا يتحدث أبداً مع جاره ولو بكلمة واحدة(٢)، ولا يلتفت نحوه أيضاً، خوفاً من مراقبة السلطان. ولكن في بعض الجلوسات ـ مثل جلوس النظر في الإقطاعات ـ كان الأمراء يجلسون على مقاعد من حرير(٣).

ويكون أهم ما في رسوم الجلوس عادة ـ غير القصد من الجلوس ذاته ـ هو تقديم الولاء للسلطان؛ إذ على جميع موظفي الدولة بما فيهم الخليفة، تقديم الولاء للسلطان، حتى بالصعود إليه في القلعة كل أول شهر(٤). وتبيّن النصوص وسائل تقديم هذا الولاء، على الخصوص بالسجود وبوس الأرض أمام السلطان، ولا يستثني من ذلك أحد إلا الملوك(٥). وقد غيّر برسباي في ذلك، بجعل التحية بتقبيل اليد، أو بالركوع بأن يضع الشخص أصبعه على الأرض، مظهراً أنه يقبّل الأرض(٦). ولقد كان يوجد ترتيب بين كبار رجال الدولة وأعيانها في تقديم الولاء؛ ففي العادة يبدؤه الأمراء على قدر مراتبهم؛ فإذا فرغوا قدّمه مقدمو الحلقة(٧)، الذين لهم حق حضور الحفلات الرسمية، ثم يليهم كبار رجال الدولة المدنيون والدينيون؛ وربما كان تقديم ولاء الأمراء لا يكون أمام الآخرين من غير المماليك.

---

(١) نفسه، ٣ ص ٣٤١ س ٢، ٣٥٢ س ٧ـ٩؛ النجوم (P)، ٦ ص ٣٦٤.

(٢) الخطط، ٣ ص ٣٥٢؛ ابن إياس، ٢ ص ٣.

(٣) زبدة، ص ٨٧ س ١ — ٢.

(٤) ابن إياس، ١ ص ١٠٣.

(٥) نفسه، ٢ ص ٢، ٣٩ س ١٦؛ الخطط، ٣ ص ٣٤٠.

(٦) النجوم (P)، ٦ ص ٥٥٨، ٥٥٩.

(٧) الخطط، ٣ ص ٣٤٠.

وكان السلطان غالباً لا يتكلم إلا نادراً فى المجلس إيحاءً بالاحترام ، وخصوصاً أن عدداً من السلاطين لا يتكلم العربية إلا قليلاً ؛ إذ اللغة فى البلاط هى اللغة التركية(١). ولكن يتكلم بلسانه موقف موظف أسمه : المشير أو المشوّر ، الذى يكون برتبة أمير ، حيث يقول ابن شاهين عنه إذا حصل مهم وأراد السلطان شيئاً جعله يلقّن مقصوده للأمراء(٢) ؛ فيتكلم فى المجلس ويرد على الأمراء بالنيابة عن السلطان .

وكما لا نعرف كيف دخل السلطان إلى مجلس السلطنة ، فلا نعرف خروجه ؛ وإن كان ولا ريب إذا خرج ، خرج الأمراء بعده وبقية الحاضرين .

* *

الأسمطة

أو الأسمطة السلطانية(٣) ، وهى الولائم ، التى تُعتبر من رسوم البلاط أيضاً . فكانت الأسمطة تُقام يومياً لسكان القلعة الكثيرين ، كما تُقام أسمطة عظيمة فى أيام المواكب ، مثل سماط عيد الفطر ، الذى يُعد من أكبرها . هذا غير ما كان الأمراء أنفسهم يقيمونه من أسمطة هائلة ؛ إذ اعتبر كل منهم سلطاناً مصغراً .

فكانت أسمطة اليوم الواحد تبلغ خمسة ؛ ففى أول النهار يُقام الأول فى الصباح ولا يأكل منه السلطان ، والثانى قد يأكل منه أو لا يأكل ، والثالث يسمى الطارىء يأكل منه ، وفى آخر النهار يُمد سماطان الأول

---

(١) أنظر . قبله .

(٢) زبدة ، ص ١٠٦ ؛ القصد ، ورقة ١٢٥ ا .

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٤١ — ٣٤٢ ؛ النويرى ، نهاية ، ٨ ص ٢٧١ ؛ صبح ، ٤ ص ١٣ ، ٥٦ .

والثانى ، وهذا الأخير يسمى الخاص . فكان السلاطين يصرفون لهذه الأسمطة اليومية كميات كبيرة من المأكول ، حتى أنها بلغت ستمائة رطل فى وجبتين[١] .

أما الأسمطة العظيمة فى أيام المواكب وغيرها ، فلدينا عنها بعض المعلومات . فكانت تقام فى القاعة ذات الأعمدة « الإيوان » ، حيث يجلس السلطان على رأس المائدة « خوان » ، وعلى يمينه ويساره الأمراء على قدر مراتبهم ، وذلك بعد خروج القضاة وسائر أرباب الأقلام[٢] ؛ مما يبين أرستقراطية المماليك ، التى ترفض أن تأكل مع غيرها . ولكن فى بعض الأحيان ، قد يقوم السلطان بإعداد مآدب للعامة وغيرهم فى الوقت ذاته أمام القلعة[٣] .

فكان يشرف على السماط عدة موظفين ، منهم : « الخوان سلار »[٤] ، الذى يعد الطعام فى المطبخ بمعاونة غيره كما ذكرنا ، و « استدار الصحبة »[٥] ، الذى من عمله نقل الطعام من المطبخ « المشى أمامه » ، ويبقى حاضراً للسماط ، و « سقاة الخاص » ، الذين بلغ عددهم أكثر من عشرة[٦] ، يرأسهم الساقى أو ساقى الملك[٧] ، وعملهم مد السماط ، وتقديم الخدمة ، بما فيها سقى المشروب بعد رفع السماط ، فلعلهم سموا بالسقاة لهذا

---

(١) المخطط ، ٣ ص ٣٤٢ .

(٢) صبح ، ٤ ص ٥٦ .

(٣) ابن إياس ، ١/١ ص ٣٠٩ .

(٤) عنه : صبح ، ٥ ص ٤٧١ ؛ انظر . قبله .

(٥) عنه : نفسه ، ٤ ص ٢١ ؛ انظر : قبله .

(٦) زبدة ، ص ١١٦ س ٤ — ٥ .

(٧) ابن إياس ، ٢ ص ٤٠ س ٢٦ ؛ صبح ، ٥ ص ٤٧٤ ؛ ابن بطوطة ، رحلة ، ٣ ص ٢٤ .

السبب ، و «الجاشنكيرية»[١] ، يرأسهم كبيرهم «الجاشنكير»[٢] ، وهم يتصدون لذوقان الطعام والمشروب قبل السلطان ، خوفاً من أن يُدس فيه سم أو غيره .

وقد وُصفت آلات المطبخ التي تعد فيها الأطعمة بأنها عجيبة[٣] . أما أدوات الأكل ، فإنها تكون عبارة عن أوانٍ من ذهب وفضة[٤] ، وأنواع من الصيني الفاخر . كذلك وجدت شوكات[٥] وملاعق ؛ وإن كان الأكل عادة يكون بالأصابع ، التي تغسل دائماً في أباريق وطاسات وصحون واسعة معدّة لذلك .

ولعل أهم أنواع الطعام ، التي كانت تقدّم في الأسمطة المشويات من اللحوم الحيوانية والطير ؛ حيث يوجد في المطبخ موظفون كبار من درجة الأمراء ، يشرفون على تسوية أصناف اللحوم والطيور ، يسمى الواحد منهم : أمير مشوى[٦] . وكان المماليك يكثرون من أكل اللحم الحيواني ، بما فيها لحم الخيل[٧] ، التي انتشر أكل هذه الأخيرة بين المماليك[٨] ، الذين تعودوا على أكلها في بلاد أصولهم . وللأديب الجاحظ ملاحظة عامة عن أكل اللحم الحيواني عند الترك ؛ فيقول : إن أجسامهم دون أجسام

---

(١) صبح ، ٤ ص ٢١ .

(٢) نفسه ، ٤ ص ٤٦٠ ؛ انظر قبله .

(٣) زبدة ، ص ١٢٥ .

(٤) نفسه ، ص ١٢٢ س ١١ .

(٥) النويري ، نهاية ، ص ٨ .

(٦) زبدة ، ص ١١٦ س ١١ ؛ المقصد ، ورقة ١٢٨ (ب) .

(٧) ابن إياس ، ١ ص ٣٠٩ .

(٨) ابن حجر ، إنباء الغمر ، مخطوط دار الكتب ، ٢ ورقة ٢١٠ ؛ انظر — ماجد ، نظم المماليك ، ١ ص ١٤٣ .

سائر الناس بُنيت على تقبل اللحوم[1] . وكانوا فى أول الأمر يأكلون اللحم «السليخ» ، ربما يشويه على النار ، وبعد ذلك جعلوا اللحم «بالسميذ»[2] ، وربما بالسمن . كذلك أحبوا من لحوم الطير الفراريج أو الدجاج ، حيث يجب أن نذكر معامل التنانير ، أو ما يسمى أيضاً معمل الفروج أو بيت التوقيد ، وهى بيوت فى كل منها ألفا بيضة ، ويوقد عليها بالنار ، فتحاكى نار الطبيعة فى حضانة الدجاجة ، فتخرج منها الفراريج ، ولا يعمل هذا فى بلد غير مصر ، حيث توجد معاملها فى كل بلد فيها[3] . ولعل أشهر طبق للفروج فى أيام المماليك ، هو ما سمى : الفستقية ، وذلك بوضع الدجاج فى الجلاب ، ويلقى عليه البندق ، أو جعل لحوم الدجاج هريسة[4] .

وقد تفنن المماليك فى إعداد صحون أخرى من الطعام ، حتى وُجد من بينهم من يعمل وصفات خاصة ، نذكر على الخصوص ما أوجده الأمير الفنان يلبغا (ت ٨٦٨/١٣٦٦) ، الذى يُنسب إليه ما يسمى باسمه : صحن يلبغا[5] . والواقع إن مصر من أيام الفاطميين قد اشتهرت باتقان فن الطبخ ؛ فكان يوجد فيها جوارٍ طباخات لهن فى الطبخ صناعة عجيبة ورياسة[6] . ومن ناحية أخرى يورد ابن شاهين أسماء متعددة للأطعمة ، التى تقدّم فى أسمطة سلاطين المماليك ، منها[7] : أرز مفلفل ، قلقاس ثلاثة أنواع ، كذونية ، فولية ، ملوخية ، قرعية لونين ، بامية لونين ،

---

(١) رسالته إلى الفتح بن خاقان فى مدح الترك ، تحقيق ، ص ٢٩ .

(٢) حسن المحاضرة ، ٢ ص ١٢٨ .

(٣) ابن إياس ، ١ ص ٥ ؛ البغدادى ، الإفادة والإعتبار ، ص ١٧ — ١٩ .

(٤) نفسه ، ١ ص ٢٦٣ ؛ نفسه ، ص ٤٢ .

(٥) ابن إياس ، ١ ص ٢١٠٩ .

(٦) الخطط ، ٢ ص ١٨٩ .

(٧) بدزة ، ص ١٢٥ .

كرنب سبعة ألوان ، كشك ، مطجن ، وغير ذلك ؛ حيث لا تزال هذه الأطعمة معروفة بأسمائها إلى الآن . أما الخبز السلطانى ، فهو خبز كبير مليح ، غير خبز الفلاحين[١] ؛ أى عامة الشعب المصرى .

أما أنواع الحلوى ، فهى لا تقل فى الاهتمام باعدادها عن الأكل الأسامى ؛ حيث كان يُصرف لها ثلاثون قنطاراً من السكر للنوع الواحد منها ، فى السماط الواحد[٢] . ومن قبل اشتهرت فى مصر أنواع عديدة من الحلوى ، ولا سيما تلك التى عُرفت من أيام الفاطميين ، وبقيت فى عهد المماليك باسم : « الحلاوى القاهرية »[٣] ؛ فلعلها الحلاوى السكرية المعروفة فى وقتنا . ولدينا أسماء أخرى لأنواع من الحلوى تأتى فى طليعتها : « الأقسمة أو الأقسماء أو أقسماوية » ، التى هى عبارة عن نوع من السكر والزبيب والماء وغيره ، ولعل صنعها مأخوذ عن اليونان « الروم » ، فهى تُوصف بالرومية[٤] ، و« الجوارشات »[٥] التى هى نوع آخر من الحلوى ، و« هريسة الفستق »[٦] ، الذى كان يستخدم بكثرة ، و« القطر »[٧] ، نوع من حلوى يشبه العسل فى كثافته . وقد كانوا فى أيام المماليك يصنعون ألوان القشطة ، والجبن المقلى[٨] ، كما كانت أصناف المكسرات من أنواع

---

(١) النجوم (P) ، ٦ ص ٤٣٠ س ٩ .

(٢) ابن إياس ، ١ ص ٣٠٩ .

(٣) نفسه ، ١ ص ٢٦٣ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١٣٤ .

(٤) زبدة ، ص ١٢٥ س ٧ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٤٢ س ٥ — ٦ ؛ النويرى ، نهاية ، ٨ ص ٢٢٤ ؛ ابن إياس ، ١ ص ٣٠٩ ؛ انظر . Dozy : Suppl, 2, p. 30

(٥) النويرى ، نهاية ، ٨ ص ٢٢٤ .

(٦) الإفادة ، ص ٤٢ .

(٧) الخطط ، ٣ ص ٣٤٢ . عنها ، انظر . Dozy : Suppl, 2, p. 304

(٨) الخطط ، ٣ ص ٣٤٢ س ٧ .

الأكل المحبب[1] . أما الفواكه فكانت بأنواعها ، مثل[2] : الرمان ، والموز ، والسفرجل ، والتفاح الشامى ، والعنب ، والتمر بأنواعه : القوصى نسبة لقوص بالصعيد ، و « البسر » ، وهو التمر الأصفر ، والبطيخ الصيفى ، والخوخ ، وغير ذلك .

وكان مايقدّم للشراب غالباً على الموائد الماء البارد[3] ؛ إذ كان المماليك يجلبون الثلج من الشام ـ كما ذكرنا ـ فى البحر على السفن ، ثم أصبح يحمّل أيضاً على الهجن ، فينقل على البغال إلى خزائن الشراب أو الشراب خاناه ، ويخزّن فى صهريج ، حيث يشرف على ذلك الثلاجون[4] . كذلك كانوا بعد السماط يشربون السكر ، الذى قد يعنى الشربات فى وقتنا ، وذلك بحضور الأمراء مجتمعين[5] .

وقد وُجد نوع من الشراب البرىء كالقهوة[6] ، التى عُرفت من أيام الأمويين ؛ وإن لم تُشرب فى مصر إلا فى أيام المماليك ، حيث حُرمت فى أول أمرها ، حتى أن تاج العروس يسمى القهوة الخمر ؛ فهى لكى تُشرب فى مصر صدرت بصددها فتوى ، ولعل الصوفية هم أول من شربوها . وعلى العكس ، عُرف الشاى المنعنع[7] ، فى جميع أنحاء البلاد الإسلامية ، منذ وقت مبكر .

---

(١) نفسه ، ٢ ص ١٤٧ (أسفل الصفحة) .

(٢) ابن إياس ، ١ ص ٢٦٣ ؛ زبدة ، ص ١٢٥ . عن البسر ، انظر ، Dozy : Suppl, I, p. 83.

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٤٢ س ٨ .

(٤) صبح ، ٤ ص ٣٩٥ — ٣٩٧ ؛ زبدة ، ص ١١٧ — ١١٨ ؛ انظر . قبله .

(٥) ابن إياس ، ١ ص ١٧٣ س ١٨ — ١٩ ، ٢٠ س ٧ .

(٦) مروج الذهب ، ط : مصر ، ٢ ص ١٤٦ ؛ تاج العروس ، ٩ ص ١٤٥ ، ١٠ ص ٣٠٨ ؛ الجزيرى ، عمدة الصفوة فى حل القهوة ، نقل وترجمة De Sacy فى : Chrest. arabe. 2ed. Paris, 1826, texte, p. 138, suiv ; trad, p. 412 suiv; Ency. (art Kahwa) t2, p. 671-676 ; ماجد ، تاريخ الحضارة ، ص ١٣٥ .

(٧) عن ذلك ، انظر . متز ، الحضارة الإسلامية ، ترجمة عربية ، ط ٢ ، ٢ ص ١٨٤ .

ومع ذلك ، فقد كان المماليك يشربون الخمر سراً وجهراً ، حتى أن شربها جعل من شعائر المملكة في عهد فرج بن برقوق ؛ وذلك منذ عام ٧٩١/ ١٣٨٩[١] ؛ فكان الأمراء يجتمعون في الميدان الذى تحت القلعة يشربون ويسكرون بحضور السلطان . كذلك أحد الأمراء واسمه تمربغا ، ابتكر نوعاً من الخمور ، نُسب إليه وعُرف بالتمربغاوى[٢] . فظهرت أنواع متعددة من الخمور كانت تقدّم على موائدهم ، أشهرها : القُمز أو القراقز[٣] ، وهو ابن الفرس المحمض ، الذى كان معروفاً للمماليك فى موطنهم الأصلى ، ولذا اقتصر شربه على طبقتهم ؛ فيوزع عليهم فى زبادى من الصينى ، والشرش ولعله أيضاً الشش[٤] ، يشبه القراقز ، والبوزة أو البوظة[٥] ، وهى مصنوعة من الدقيق أو التمر أو غير ذلك . كذلك كانت توجد أصناف من الخمور أقل جودة لا يشربها غالباً المماليك ، وإنما يشربها المصريون[٦] ، مثل : « المِزر » الذى هو نبيذ القمح أو الشعير[٧] ، و « الفقّاع »[٨] ، الذى لعله هو الآخر نوع من « الخمر » ، وكلاهما عرفت صناعته فى مصر من أيام

(١) ابن إياس ، ١ ص ٢٦٩ ؛ انظر . ماجد ، نظم المماليك ، ١ ص ١١٦ .

(٢) ابن حجر ، إنباء الغمر ، مخطوط دار الكتب ، ١ ورقة ٣٨١ . كذلك البشتكى نسبه إلى بشتك . السلوك ، ٢ ص ٦٤٢ .

(٣) ابن إياس ، ١ ص ٢٦٩ . عن هذه الكلمة ، انظر Dozy : Suppl, 2, p. 405.

(٤) نفسه ، ١ ص ٢٦٩ ، ص ٣٠٩ — ٣١٠ . التوضيح يوجد فى النص الأول .

(٥) نفسه ، ١ ص ٣٠٩ — ٣١٠ . عن هذه الكلمة ، انظر Dozy : Suppl, I, p. 127.

(٦) الإفادة والاعتبار ، ص ٤٣ :

(٧) عن هذه الكلمة ، انظر Dozy : Suppl, 2, p. 587.

(٨) الخطط ، ٤ ص ١٥٨ ص ٢٨ ؛ انظر Ibid. 2, p. 274.

الفاطميين وحتى قبلهم . والواقع إن مصر منذ الفراعين قد اشتهرت بصنع الخمور ، إلا أنه لم يسبق أن شرب الخمور حكام مصر المسلمون جهاراً غير المماليك .

يُضاف إلى ذلك أن بعض السلاطين كان يتعاطى المخدرات والمسطلات[1] ، وربما لهذا السبب أفتى أحد القضاة بتحليل الحشيش ؛ فكان له بياعون وضمّان ،[2] ، يدفعون للدولة رسوماً عنها[3] .

* * *

وتفصيل هذه الرسوم ؛ من الممكن أن نعرضها على هذا النحو :

(ا) أعياد عامة : وهي ذات صبغة رسمية ، يشترك فيها السلطان ، وأرباب الدولة ، ورجال الجيش .

(ب) أعياد خاصة : وهي ذات صبغة شخصية ، تتصل بالقصر المملوكي ذاته ، وبأعياد قبطية شعبية .

فمن الأعياد العامة ، نذكر المواكب[4] ؛ وأهمها :

---

(١) ابن إياس ، ٢ ص ٨ .

(٢) شذرات ، مصر ١٣٥١ هـ ، ٧ ص ٤٠ .

(٣) ابن حجر ، رفع الإصر ، مخطوط بدار الكتب ، برقم ١٠٥ ، ورقة ١٢٨ ا .

(٤) عنها بالعموم ، انظر : زبدة ، ص ٨٦ — ٨٧ ؛ صبح ، ٤ ص ٤٦ — ٤٩ ؛ يذكر ابن شاهين مواكب أخرى متعددة ، لا نذكرها هنا بعناوينها ؛ بسبب أنه لم يورد عنها غير معلومات قليلة جداً ، حتى أنه يكتفي أحياناً بذكر الاسم فقط ، مثل : موكب ليلة عيد الفطر بعد صلاة العصر ، أو موكب الريدانية عند لبس السلطان الصوف ، أو موكب سرياقوس ، ويقول عنه إنه من الميادين ، وأخيراً يقول : ولو أردنا تفصيل ترتيب المواكب وبيانها لطال الشرح ، وحصل الملال . أما القلقشندي ، فلم يذكر من المواكب غير العام منها ، عند كلامه عن هيئة السلطان ؛ وذلك على عكس خطته حينما تكلم عن مواكب الفاطميين ، التي أسهب في الإخبار عن تفاصيلها . وعلى كل حال ؛ فإننا نذكر هنا المواكب الرسمية على حسب أهميتها ، كما أدمجنا بعضها في بعض ؛ فضلا عن أننا ذكرنا سابقاً بتفصيل وتطويل رسوم الموكب الرسمي بصفة عامة .

١ — موكب يوم عيد الفطر .

٢ — موكب عيد الأضحى .

٣ — موكب يوم الجمعة .

٤ — موكب كسر الخليج .

٥ — موكب السرحات ، وهو أيام الصيد والأسفار .

٦ — ركوب الميادين ، وهى مواكب الرياضة .

٧ — موكب دوران المحمل .

١ — موكب يوم عيد الفطر :

لا يحتفل به إلا إذا صحت رؤية هلال شهر شوال ؛ حيث كان المحتسب يكلف بذلك[1] ، وهو الموظف الدينى الذى يختص بالمدينه وأحوالها فى دول الإسلام . فإذا صحت الرؤيا ، سار المحتسب فى موكب حافل ، وقدامه الفوانيس والمشاعل موقدة . كذلك السلطان بعد صلاة العصر ، لليوم السابق للعيد — وهو يوم الوقفة — يجتمع بكبار رجال الدولة فى قصره[2] ؛ إحتفالاً بقدوم العيد .

فكان السلطان فى صباح يوم العيد ، يسير للصلاة جماعة فى موكب — وصفناه برسومه سابقاً — فيه على الخصوص : حامل الغاشية ، التى هى سرج مخرّز من الذهب ، والرقبة وهى من حرير « أطلس » أصفر ، تجعل على رقبة الفرس الذى عليه السلطان ، والجتر وهى المظلة أو القبة ،

(١) ابن إياس ، ٣ ص ١٣٦ س ١٦ — ١٧ .

(٢) زبدة ، ص ٨٦ .

التى تُحمل فوق رأسه ، مصنوعة من حرير « أطلس » مزركش أصفر ، وفى أعلاها شكل طير من فضة ؛ حيث كانت هذه الأشعرة تقتصر على المواكب الهامة ، ولا سيما مواكب العيدين[1] ، كما كان يوجد حملة السلاح بأنواعه، ولاسيما حملة القوس «الأطبار» ، والرايات «العصائب» السلطانية، وهى صفر مطرّزة باسم السلطان وألقابه[2] .

فكان الموكب يتوجه لصلاة العيد بمكان فسيح فى القلعة اسمه : الميدان[3] ؛ حيث تُقام فيه خيمة « دهليز » ضخمة واسعة . ولكن السلطان برقوقاً ومن جاء بعده من السلاطين ؛ خوفاً على حياتهم ، جعلوا صلاة العيد فى داخل الجامع الأعظم أو الأكبر بالقلعة ، الذى يُوصف أنه يُصلى فيه خمسة آلاف[4] ، وبه عمد عظيمة ، ومنارتان . وكان يحضر الصلاة عدد كبير من الأمراء وأرباب المناصب والأجناد ، كما يكون موجوداً بطبيعة الحال البشمقدار[5] ، الذى يحمل نعل السلطان إذا صلى .

وبعد إنقضاء الصلاة ، يُوزع السلطان الخلع[6] الخاصة بعيد الفطر على كبار رجال الدولة ، بما فيها الخلعة التى صلى فيها السلطان ، الذى يتركها لأحد أكابر الأمراء من كبار القواد[7] — أمراء

---

(١) الخطط ، ٣ ص ٣٢٦ س ٢٣ ؛ صبح ، ٤ ص ٧ — ٨ .

(٢) الخطط ، ٣ ص ٣٧٢ س ٨ ؛ حسن المحاضرة ، ٢ ص ٨٣ س ١٢ .

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٧٢ . يسمى أيضاً الجوش. ابن إياس ، ٢ ص ٢٦٥ س ٢١ . لعله ما كان يعرف أيضاً باسم ميدان العيد ، كما له أسماء أخرى . الخطط ، ٣ ص ١٨٠ — ١٨١ ؛ وبعده .

(٤) زبدة ، ص ٢٦ .

(٥) صبح ، ٥ ص ٤٥٩ ؛ وقبله . لعلهم أكثر من واحد ، ربما لحمل نعل كبار الأمراء أو الضيوف. زبدة ، ص ١١٦ . يقول باشمقدارية .

(٦) زبدة ، ص ١٠٨ — ١٠٩ .

(٧) الخطط ، ٣ ص ٣٧٢ س ٩ — ١٠ .

المثين — مثلما كان الحال فى أيام الخلفاء العباسيين ، أو حتى فى أيام الفاطميين، حينما كان الخليفة يترك الثوب الذى صلى فيه لأحد أمراء اليمن من الصليحيين ، تبركاً منه(١) . كما أنه يجلس على التخت — العرش — فى الإيوان — وهى قاعة ذات أعمدة فى القصر — برسوم الجلوس ؛ حيث يقبّل له الحاضرون الأرض ، وقد لبس كل منهم ما منحهم السلطان من تشاريف(٢) .

ثم يُقام سماط فخم ، يُعتبر من أهم الأسمطة وأفخمها ؛ إذ يذكر المؤرخون المبالغ الطائلة ، التى كان السلاطين يصرفونها فى أيام العيد(٣) ؛ حيث يبدو أن هذا السماط يفوق ما كان يقام من أسمطة خلال شهر رمضان أو يومياً . ولدينا قائمة بما كان يُصرف على إحداها ، تشمل : خمسة آلاف رطل من اللحم ، سوى الأوز والدجاج ، وما يقدّم من حلوى العيد ، وأصناف المكسرات . وفى وقت ما ألغى هذا السماط لكثرة نفقاته ، واكتفى باسمطة كل يوم(٤)

٢ — موكب عيد الأضحى

يُقام برسوم مختلفة ، من موكب فخم ، يشتمل على حملة الأشعرة الخاصة: كالغاشية ، والجتر ، والأطبار ، والعصائب السلطانية(٥) ، ثم الصلاة فى الميدان أو فى الجامع بالقلعة ، ثم الجلوس فى الإيوان على التخت ؛ حيث يقبّل الحاضرون له الأرض(٦) . إلا أنه بالإضافة إلى ذلك ، كانت

---

(١) أنظر . نظم الفاطميين ، الجزء الثانى .

(٢) زبدة ، ص ٨٦ س ١٠ — ١١ .

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٤٢ .

(٤) نفسه ، ٤ ص ١٢٧ س ١٠ .

(٥) حسن المحاضرة ، ٢ ص ٨٣ .

(٦) زبدة ، ص ٨٦ .

تُذبح الذبائح الكثيرة ، وتفرّق الأضاحى على الأمراء من خاصة السلطان، زيادة على الرواتب الجارية(١) .

٣ — موكب يوم الجمعة

ويُقصد به موكب الصلاة فى يوم الجمعة ، التى يحضرها السلطان والأمراء والأجناد(٢) ، وتكون فى الجامع الأعظم أو الكبير بالقلعة(٣) . ويكون جلوسه فى الجامع فى المقصورة(٤) ، وهى على القرب من المنبر ، محاطة بشباك حديد محكمة الصنعة ؛ وذلك ليكون فى مأمن مع خاصة حاشيته « خاصكية » . وفى أحيان كثيرة ، كان الذى يخطب الجمعة هو قاضى قضاة الشافعية ، الذى كان له التقدمة على بقية القضاة ، بحكم أن الشافعية مذهب أغلبية المصريين . وكان إذا حضر الخليفه العباسى ، الذى انتقل من العراق إلى مصر ، بعد سقوط بغداد فى أيدى المغول ؛ فإنه يحظى فى هذه المناسبة بتشريف خاص : فيحضر راكباً بغلة ، وقد أحاط به الأمراء الذين قررهم السلطان للإحاطة به ، فيخرج السلطان إليه ويتلقاه بالتعظيم ،

---

(١) الخطط ، ٣ ص ٣٥١ س ٢٧ .

(٢) زبدة ص ٨٦ .

(٣) نفسه ، ص ٩٢ س ١١–١٢ .

(٤) صبح ، ٤ ص ٧ . جمعها مقصورات ، من « قصر » (لسان ، ٦ ص ٤١١) . وقد اختلف فى أول من عملها : لعله عثمان (الخطط ، ٤ ص ٧ س ٥) ، أو معاوية (نفسه ، ٤ ص ١٢ س ١٢ — ١٣) ، أو حتى مروان بن الحكم (فتوح البلدان ، ص ٦ س ١٦ — ١٧) ؛ وأنه يبدو أن الأمويين هم — على كل حال — أول من عملوها فى الإسلام من المقصورة ، انظر . ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢١٢ — ٢١٣ ؛ Creswell : Early muslim Architecture I. Umayyads. Oxeford, 1932, La Mosquée omeyyade de Medine. Paris, 1947, : Sauvaget : p.33. ;Ency. de l'Isl, (art Masdjid) t3, p. 305 - 385. ; p. 150 Suppl, 2, p. 358. ; Dozy

وبتقبيل اليد أحياناً ؛ حيث يدعوه إلى الجلوس معه في المقصورة[١] . فكان الخليفة يقوم بخطبة الجمعة[٢] ، ولا سيما حينما تهدد الغزو المغولي مصر ؛ فكان يحث الناس على الإتفاق حول السلطان ، والجهاد ضد المغول . وبعد إنتهاء الصلاة ؛ يعود كل من الخليفة والسلطان في موكبه ، مصحوباً كل منهما بحاشيته وأوليائه .

٤ — موكب كسر الخليج :

لا يحدث هذا الموكب إلا إذا وفي النيل[٣] ؛ وإن كان إنخفاض مستوى النيل ، وما يترتب عليه من القحط وتفشي المجاعات ، تمنع من الإحتفال به . ومع أن الإحتفال بوفاء النيل كان يستمر عدة أيام قبل المماليك[٤] ؛ فإن الإحتفال به في أيامهم يكون في يوم واحد[٥] . وفي هذه المناسبة ، كانت تجبي ضريبة خاصة من الأهالي بسبب ما كان يُصرف على الإحتفال ؛ وإن أصبح الصرف عليه من بيت المال[٦] .

وكان الوفاء يُسجّل في مقاييس النيل المتعددة[٧] ؛ إلا أنه لا يؤخذ

(١) ابن عبد الظاهري ، الألطاف الخفية ، نشر وترجمة ، ص ٦ وما بعدها .

(٢) حسن المحاضرة ، ٢ ص ٤٨ — ٤٩ .

(٣) صبح ، ٤ ص ٤٧ . يقول ابن شاهين : موكب كسر النيل . زبدة ، ٨٧ .

(٤) بتفصيل ، انظر . ماجد ، نظم المماليك ، ٢ ص ١٠٤ وما بعدها . كان الإحتفال بوفاء النيل يتم على مرحلتين : تخليق المقياس ، ثم كسر الخليج ، وهذا الأخير يكون بعد ثلاثة أو أربعة أيام من الاحتفال الأول .

(٥) أنظر . Les Mosquées, I, p. 191

(٦) ابن إياس ، ١ ص ١٢٠ — ١٢١ ؛ الخطط ، ١ ص ١٢١ ص ٢١ — ٢٢ .

(٧) منها عموما ، انظر . صبح ، ٣ ص ٢٩٣ — ٢٩٤ ؛ الخطط ، ١ ص ٩٢ — ٩٣ .

إلا بما سُجل عند مقياس الروضة[١] ، الذى يقع فى جزيرة الروضة تجاه مصر القديمة — الفسطاط — وهو عبارة عن عمود مثمن[٢] ، من الرخام الأبيض ، تحيط به فسقية يدخلها ماء النيل ، مقسّمة إلى اثنتين وعشرين ذراعاً ، كل ذراع مقسّمة إلى أربعة وعشرين قسماً متساوية تُعرف بالأصابع ؛ ماعدا الاثنتى عشرة ذراعاً الأولى ؛ فإنها مقسّمة إلى ثمانية وعشرين قسماً . فكانت المياه إذا وصلت إلى ست عشرة ذراعاً ؛ فيكون النيل بذلك قد وفى[٣] . وهذا المقياس بنى فى عهد الخليفة العباسى المتوكل فى سنة ٢٤٧/ ٨٦١ ، كما أُقيمت عليه قبة ربما منذ ذلك الوقت ، وبه مسجد ومحراب .

وجرت عادة حكام مصر فى أيام الفاطميين ، أن لايسمحوا بالإعلان عن مقاييس النيل ؛ إلا إذا وفى النيل ، حتى لا تتبلبل الأفكار[٤] . كذلك كانت معرفة الوفاء فى أيام المماليك ، تقتصر على أكابر رجال الدولة ؛ فيكون القياس وقت العصر ، والمناداة عليه من الغد[٥] . وقد كُفل إعلان الوفاء إلى أسرة معروفة فى مصر ، كانت تقوم به منذ بناء المقياس ، هى أسرة عبد الله بن أبى الرداد[٦] (ت ٢٦٦/ ٨٧٩) . فكانت إذا ظهرت الزيادة المطلوبة للوفاء ، التى أصبح يُعبر عنها بماء السلطان[٧] ، أعلن ابن أبى الرداد

---

(١) بخاصة : الخطط ، ٣ ص ٣٠٠ .
(٢) عنه : نفسه ، ١ ص ٩٥ .
(٣) ابن جبير ، رحلة ، ص ٢٥ س ٨ وما بعدها .
(٤) صبح ، ٣ ص ٥١٢ ؛ انظر ، ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١٠٥ .
(٥) نفسه ، ٣ ص ٢٩٣ .
(٦) الخطط ، ١ ص ٩٣ س ٣ وما بعدها .
(٧) صبح ، ٣ ص ٢٨٩ (آخر سطر) .

عنها ، وهى ما سُميت : البشارة أو بشارة النيل المبارك[١] . فكان يسير فى موكب يحرسه أمير جاندار[٢] — وهو حارس السلطان فى المواكب — تحيط به الرايات ؛ حيث ينعم السلطان على ابن أبى الرداد .

وكما هو معروف ، فإن احتفال الدولة الرسمى فى مصر بوفاء النيل متصل اتصالاً وثيقاً بتقاليد الشعب المصرى القديمة . فقد قيل[٣] إن المصريين حتى مجىء العرب ، كانوا يعمدون إلى جارية بكر من أجمل فتيات مصر ليلقوها فى النيل ، بعد أن يُلبسوها أفضل الحلىّ والثياب . ولما جاء العرب منعوا ذلك ، وكانوا يكتفون بإلقاء بطاقة فى النيل ، كُتبت فيها بعض الصيغ الدينية . ولما جاء الفاطميون أحدثوا تجديداً فى الإحتفال بفيض النيل : فلم يلجأوا إلى إلقاء فتاة جميلة ، أو بطاقة قرآنية فى النيل ؛ وإنما كان الخليفة الفاطمى يقوم بتعطير عود المقياس بالطيب ، وهو ما عُبر عنه بتخليق المقياس[٤] . كذلك كان صلاح الدين ، مؤسس الأسرة الأيوبية فى مصر ، يسير على النظام ذاته فى الإحتفال بوفاء النيل ؛ فيركب لتخليق المقياس[٥] . وعلى العكس ، فإن القبط كانوا يرمون فى النيل تابوتاً

---

(١) ابن إياس ، ٢ ص ٢٦٥ س ٣ ، ١ ص ٣١٧ س ٨ .

(٢) أنظر . قبله .

(٣) الخطط ، ١ ص ٩٣ ؛ صبح ، ٣ ص ٢٩١ .

(٤) صبح ، ٣ ص ٥١٢ وما بعدها ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ، ٢ ص ١٠٤ وما بعدها . ومنها الخلوق وهو الطيب . عنها ، انظر . Dozy : Suppl, I, p. 399.

(٥) السلوك ، ١/١ ص ٧٣ س ٤ .

فيه أصبح لبعض من سلف منهم ، واستمر ذلك إلى وقت المماليك ،
فأبطل من عهد بيبرس(١) .

وفى وقت المماليك ، كان السلطان يركب للمقياس ، ولكن بدون مظلة « جتر » بجانبه ، ولا شريط مذهب « رقبة » لفرسه ، ولا الوسادة لسرجه « غاشية » — وكلها من آلات السلطان فى الموكب — ويقتصر فى موكبه على اصطحاب الصناجق والطبردارية والجاويشية(٢) ، وهم حملة الرايات الصغيرة والقووس والرايات الأخرى . وأحياناً لا يذهب السلطان بنفسه ، وإنما يُرسل مندوباً عنه مثل ابنه أو الحاجب(٣) . فكان السلطان أو من ينوب عنه يعمد إلى تعطير « تخليق » المقياس ؛ وذلك بوضع الزعفران فى إناء خاص ؛ حتى يذوب فى الماء . فيقوم ابن أبى الرداد — صاحب المقياس — بالنزول إلى الفسقية بالسلالم ، فينسبح فيها ليخلّق العمود وجوانب الفسقية ؛ كما أن السلطان يتوضأ من الفسقية ، ويصلى ركعتين(٤) . وفى ذلك اليوم ، يُمد سماط فى قاعة المقياس ، وتفرّق الحلوى ومشنات الفاكهة(٥) ؛ حيث يكون مع السلطان الحاشية والأمراء والقاضى والأعيان(٦) .

وبعد ذلك ، يركب السلطان من المقياس فى حرّاقة(٧) — أى مركب خاصة

---

(١) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ١٢ .

(٢) صبح ، ٤ ص ٤٧ . أنظر . ما قلناه عن آلات السلطان وموظفى المواكب .

(٣) التبر ، ص ١١ .

(٤) ابن إياس (K. M.) ، ٤ ص ٢١٢ س ٢٢ — ٢٣ .

(٥) نفسه ، ١ ص ١٢٧ (آخر سطر) .

(٦) نفسه ، (K. M.) ، ٤ ص ٢١٣ .

(٧) صبح ، ٤ ص ٤٧ — ٤٨ . عن هذه الكلمة ، انظر . قبله .

تسير فى النيل — لتكسير أو فتح السد الواقع على الخليج[١] ، فى غرب القاهرة ؛ إيذاناً بفتح جميع السدود ، لإرواء أرض مصر المزروعة ، التى كان أكثرها وقتذاك فى الوجه البحرى[٢] . فتسير حراقة السلطان ، وقد زُينت بأنواع الزينة ، وأحيطت بمراكب العسكر ، وكذا بحراريق الأمراء الكبار المقدمين ، المزينة أيضاً ، ومع كل منهم حاشيته ومماليكه ، وخلفهم مراكب المتفرجين . وحينما يصل السلطان إلى موضع السد ، ينتقل إلى ما يُسمى الحراقة العظمى أو الذهبية ، التى لعلها تكون راسية بجوار موقع السد . فيعطى السلطان الأمر بقطع السد ، وقد أحاط به الجيش والأعيان[٣] ؛ ومرامى النفط والصواريخ تُبهج العين[٤] . ويبدو أن خلجاناً أخرى ، تُفتح فى أوقات أخرى على حسب الاحتياجات[٥] ؛ كما يكون اهتمام الدولة بالجسور فى مثل هذا الوقت[٦] .

وبهذه المناسبة تُكتب البشائر من كبار رجال الإنشاء[٧] ، واصفة هذا

(١) عرف هذا الخليج بأسماء مختلفة فى العهد الإسلامى ، منها : خليج أمير المؤمنين ، وخليج مصر ، وخليج القاهرة ، وخليج الحاكم ، وكان حفره منذ أيام الفراعنة ، ويمتد إلى البحر الأحمر ؛ إلا أنه طم فى العهد الإسلامى ، وانقطع اتصاله بالبحر الأحمر ؛ وأقيمت عليه قناطر كثيرة . الخطط ، ٣ ص ٢٢٦ وما بعدها . أما ما عرف فى أيام المماليك بالخليج الناصرى ، نسبة إلى السلطان الناصر ؛ فإنه كان يخرج من النيل ، ويصب فى الخليج السابق الذكر . نفسه ، ٣ ص ٢٣٥ — ٢٣٦ .

(٢) ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، ص ٢٠١ .

(٣) زبدة ، ص ٨٧ .

(٤) حوادث ، ص ٢٢٨ ؛ صبح ، ٤ ص ٤٨ .

(٥) ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، ص ٥ .

(٦) التبر المسبوك ، ص ١٢ .

(٧) من هذه الرسائل ، انظر ، ما ورد منها فى مخطوط ، برقم ٤٤٤٠ (B. N.) ؛ ورقة ١٧ وما بعدها .

الإحتفال العظيم ، الذى هو من تقاليد مصر منذ الفراعنة ، كما توزع الخلع[١] على كبار رجال الدولة .

٥ — موكب السرحات[٢] ، وهو أيام الصيد والأسفار .

أصبح الصيد والقنص اللذان يتعيّش عليهما الإنسان الأول ، من أهم أمور التسلية والمتعة عند الملوك والحكام عموماً . فى الإسلام وجدنا الخلفاء ينظمون مواكب الصيد ؛ حتى أصبحت ضمن رسومهم . فقد كان الخليفة العزيز الفاطمى فى مصر ، يخرج للصيد ومعه عشرون جملاً ، عليها محامل فيها كلاب الصيد ، ولولعه بالصيد عُرف بالخليفة الصياد[٣] . كذلك كان صلاح الدين يبرز للصيد[٤] فى مصر ، ويقيم أياماً ، وفعل ذلك الملوك من بعده . وعند المماليك ، كان خروج السلطان للصيد من مظاهر الملك والأبهة ، ومن رسوم السلطنة .

وكان الصيد إلى مواضع مخصوصة يوجد بها الطير أو الحيوان : فبعضها يكون قرب القاهرة بجوار الأهرام ؛ حيث توجد أماكن مملوءة بالغزلان[٥] ،

---

(١) التبر ، ص ١١ .

(٢) مفردها سرحة ، انظر . Dezy : Suppl, I, p. 646
بمعنى أماكن متعددة ، أو رحلة سنوية وموسمية ؛ فيقول ابن شاهين إنها تقع غالباً فى فصل الربيع سبع مرات . زبدة ، ص ٨٦ .

(٣) ابن الحسين ، كتاب البيزرة ، تحقيق محمد كرد على ، دمشق ١٩٥٤ ، ص ٧ ، ٢٤٩ ؛ انظر : ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٤١ ؛

(٤) الخطط ، ٢ ص ٣٨٤ س ١١ ؛

(٥) ابن عبد الظاهرى ، الألطاف الخفية ، ص ٢٤ .

وبعضها يكون بعيداً بجوار الإسكندرية على الخصوص[١] ، فى تروجة المجاورة ، أو حتى فى الصعيد[٢] . وكان الخروج عادة للصيد يقع فى الربيع؛ حيث يتعدد سبع مرات[٣] ، وقد تصل السرحة إلى ثمانية أيام[٤] .

فكان السلطان يخرج فى موكب رسمى ، ومعه خواص مماليكه والأمراء ومماليكهم ، وحتى الغرباء[٥] ، والأعيان[٦] ، بدعوة منه . فيركب على فرس من غير رقبة ، وهى شريط للحلية ، ولا عصائب أو رايات لموكبه . وكان يصحبه عدة موظفين مثل : الأستادار ، الذى يُشرف على تموين السرحة ، ومن تدعو الحاجة إليه فى الخروجات الطويلة من الأطباء وغيرهم[٧] . وإذا كان الصيد بالجوارح فإنه يصحبه : أمير شكار الذى يرتب أحوال صيود السلطان ، وحارس الطير الذى يشرف على الأماكن التى تنزل بها الطيور المزمع صيدها[٨] ، والبازدارية أو البزادرة[٩] ، الذين يحملون الجوارح المعدة للصيد ، يرأسهم البازدار أو البازيار ؛ حيث كانوا يتصدرون الموكب وهم يحملون بأيديهم صقوراً تنقض كالصواعق

---

(١) ابن الجزرى ، جواهر السلوك ، ورقة ٢١٩ .

(٢) السلوك ، ٢/٢ ص ٥٢٠ .

(٣) زبدة ، ص ٨٦ .

(٤) ابن إياس (K. M.) ٤ ص ٣٥٤ س ٤ — ٥ .

(٥) صبح ، ٤ ص ٤٨ ، ١٤ ص ١٦٦ وما بعدها ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٢٤ .

(٦) زبدة ، ص ١٢٧ س ٥ .

(٧) صبح ، ٤ ص ٤٩ . والكحالين والجرائحية ، إذ لكل منهم تخصص طبى . عن اشتراك الأستادار . الخطط ، ٣ ص ٣٦١ .

(٨) صبح ، ٤ ص ٢٢ ، ٥ ص ٤٦١ . عنهما ، انظر . قبله .

(٩) نفسه ، ٥ ص ٤٦٩ . هى كلمة فارسية ، خص بإضافته إلى الباز الذى أحد أنواع الجوارح دون غيره ؛ لأنه هو المتعارف عليه .

أنظر . Ency. de l'Isl, (art Bayzara) 2ed I, p. 1186 sqq.

على كل صيد ثمين تراه أمامها بمخالبها الحادة ، والحوانداريه وهى طائفة مكلفة بخدمة الطيور(١) . ولا ريب أنه كان لكل أمير فى صحبة السلطان بزدارية ، وحواندارية أيضاً ، يهتمون بطيوره . أما إذا كان الصيد بالكلاب — وهى من سلالات — فإنه يصحبه الكلابزية(٢) ، وهؤلاء كثروا فى مصر ، وأصبحوا طوائف متعددة ، حتى أنهم بلغوا خمسين جوقة ، اتخذت لها موضعاً بالجبل ؛ مما جعل أحد السلاطين يأمر بإلغائها فيما عدا جوقتين ؛ لتخفيف مصاريف الدولة . فكانت كلاب الصيد تخرج فى الموكب عليها أجلة بالحرير مطرّزة بطرز الذهب(٣) ؛ حيث تستخدم فى مطاردة النعام والظباء والغزلان . كذلك الصيد يكون أحياناً بالفهود المدّربة(٤) ، التى لها حراس خصوصيون .

ولقد عرفنا وسائل أخرى للصيد فى وقتهم منها : أنهم كانوا يطلقون الطير فى الهواء ، ثم يُلقى لها الحب لتهبط ، وعندئذ يصيدون منها بالفخ أو بالبندق(٥) ، وهذه الأخيرة كلمة فارسية ، تعنى الرصاص أو الطين أو الحجر ، ويُطلق بالمزاريق ، وهى أنابيب ترسلها بضغط الهواء ، أو بالنُشّاب ، أو بالأقواس ، أو بما يسمى أيضاً بقوس البندق أو الجلاهق .

---

(١) نفسه ، ٥ ص ٤٧٠ . أصله « حيوان دار » ، وكلمة حيوان فى ذلك الوقت تطلق على نوع من الطيور معروفة وقتئذ .

(٢) الخطط ، ٤ ص ١٢٤ (آخر الصفحة) ؛ المقصد ، ورقة ١٢٧ب .

(٣) النويرى ، الإلمام فيما جرت به الأحكام ، مخطوط بدار الكتب ، برقم ١٤٤٩ ، ورقة ١٢٩ .

(٤) صبح ، ١٤ ص ١٧٠ .

(٥) نفسه ، ٢ ص ١٤٦ ؛ السلوك ، ٢/٢ ص ٥٢٣ .

جمع الجلاهقات — أو الزبطانة[١] ، ولعلها البندقية[٢] . فكان البندق يحمل فى كيس يسمى جراوة ، على يد موظف خاص اسمه : البُندقدار[٣] ؛ يصحب السلطان فى هذه السرجات .

ونظراً لبعد أماكن الصيد ؛ فإن الموكب تصحبه معدات خاصة ، مثل : خيام تسمى : خيام الصيد[٤] ، تُسلم لفراشين لنصبها فى أماكن الصيد ؛ حيث تُعاد منهم بعد ذلك . فكان على الفراشين الإشراف على خيام السلطان ومماليكه على إختلاف طبقاتهم ، وعلى خيام الحريم من زوجات وجوارٍ قد يصحبن السلطان ومن معه . فكانت هذه الخيام تُزود بكل ماتحتاج إليه من اللبابيد أى الأبسطة وشلائت النوم ؛ إذ كانت تنوب مناب قصورهم فى الإقامة ، كما تُنقل على الظهور حمامات من خشب ، وقدور الرصاص لشئون الطبخ والطعام[٥] .

وإذا استقر السلطان فى المكان ، كانت الطبول والكوسات — نوع من الصنوج — والشبابة — وهى الصفافير — تلف حول الخيام ؛ ولاسيما خيمة السلطان، التى توقد فيها الشموع فى شمعدانات. فكان إذا نام فى الطريق ، طافت به المماليك ، وضرب الجيش حوله حلقة[٦]، وحملت فوانيس ومشاعل .

---

(١) صبح ، ٢ ص ١٤٥ .

(٢) لعله كان لها سوق خاص فى مصر أسمه سوق البندقانيين . الخطط ، ٣ ص ١٦٩ — ١٧٠ .

(٣) صبح ، ٥ ص ٤٥٨ — ٤٥٩ .

(٤) نفسه ، ٤ ص ٩ .

(٥) نفسه ، ٢ ص ١٣٨ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٢٥ .

(٦) نفسه ، ١٤ ص ١٦٨ ؛ نفسه .

كما أن أرباب النوبة — وهم حرس السلطان — تخرج لهم المصاحف لقراءة القرآن والشطرنج ؛ ليتشاغلوا عن النوم(١) .

وكان السلطان فى تصيده إذا مر بإقطاع أمير كبير ، قدّم له الأمير الأوز والدجاج وقصب السكر والشعير ، وما تسمو إليه همته مثله ؛ فيقبله منه ، وينعم عليه بخلعة يلبسها ، وربما أمر له بالمال(٢) . وجرت العادة أيضاً أن يخلع السلطان على من يُظهر تفوقاً فى الصيد ؛ فإذا صاد أحدهم غزالاً أو نعاماً خلع عليه ؛ كما يخلع على رجال الصيد فى كل حين(٣) .

٦ — ركوب الميادين ، وهى مواكب الرياضة .

ولا ريب أن المماليك كانت تحب الرياضة حباً جماً ؛ وهى التى كانوا يمارسونها فى الطباق أى المدارس الحربية . والواقع إن الرياضة أصبحت فناً على أيديهم ، وأخذت أشكالاً متعددة . فأصبحت — بسبب تقديرهم لها — تخرج لها مواكب رسمية ؛ وإن عزف عنها بعض السلاطين ؛ إلا أنها كانت لا تلبث أن تعود ، دليلاً على حيوية المماليك .

وكانت تقام لها الميادين ، وهى ساحات فسيحة ، فى أماكن عديدة ، بعضها فى القلعة وفى القاهرة أو فى خارجها . فمن أهمها : الميدان بالقلعة — وهو الميدان الذى كان يصلى فيه صلاة العيدين — ويُعرف بالميدان

---

(١) الخطط ، ٣ ص ٣٤٣ س ١١ — ١٢ .

(٢) نفسه ، ٣ ص ٣٢٤ ؛ صبح ، ٤ ص ٦٣ .

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٢٤ س ٢٣ ، ٣٢٠ (آخر الصفحة) .

الكبير[١] ، وميدان القَبق[٢] المسمى أيضاً : الأخضر أو الأسود أو السباق ، وهو خارج القاهرة من شرقيها ، والميدان الناصري[٣] ، وهو على النيل بين مصر والقاهرة ، وميدان سَرْياقوس[٤] ، وهذه الأخيرة بليدة فى نواحى القاهرة . وكانت أرض هذه الميادين ممهدة تُرش بالمياه بانتظام ؛ وتوجد فى بعضها مصاطب لجلوس المشاهدين ، حيث كانت هذه الأمكنة لا تسع الناس[٥] ، من كثرة الحاضرين . كذلك كانت تقام فى بعضها — وقت المباريات — خيمة كبيرة للسلطان « دهليز » ، وخيام أخرى للاستراحة[٦] ، أو حتى قصور وأماكن خاصة[٧] ، مثل تلك التى تحيط بميدان سرياقوس .

ولدينا وصف لعمارة[٨] الميدان بالقلعة — وهو الذى كان السلطان يلعب فيه غالباً الكرة — فهو يقع تحت القلعة مباشرة ، وله سور من حيطان ؛ فتح فيها بابان : أحدهما كبير والآخر صغير ، ركبت فى كل منهما سلسلة من حديد . وقد حفرت أرضية الميدان ، ورُمى فيها الطين الكثير قدر

---

(١) نفسه ، ٣ ص ٣٣٣ س ١١ ، ٣٧١ — ٣٧٢ ؛ صبح ، ٤ ص ٤٧ .

(٢) الخطط ، ٣ ص ١٨٠ وما بعدها . يسميه أيضاً : ميدان العيد ، مع أنه ليس الميدان السابق ، الذى كان بداخل القلعة .

(٣) نفسه ، ٣ ص ٣٢٥ — ٣٢٦ .

(٤) نفسه ، ٣ ص ٣٢٤ — ٣٢٥ . هنها ، انظر . معجم البلدان ، ٥ ص ٨٠ .

(٥) نفسه ، ٣ ص ١٨٠ س ٢٦ .

(٦) نفسه ، ٣ ص ١٨١ س ١٤ ، ١٨٣ س ١١ .

(٧) نفسه ، ٣ ص ٣٢٤ س ٥ ، ٨ .

(٨) ابن إياس (K. M.) ، ٤ ص ٥٦ . هذه العبارة للميدان حديثة ؛ تقع فى سنة ٩٠٩ / ١٥٠٣ — ٤ ، فى عهد السلطان قانصوه الغورى . كذلك كان قد أعيدت عمارته فى أيام الناصر محمد فى عام ٧١٢/١٣١٢ — ١٣١٣ . الخطط ٣ ص ٣٧١ — ٣٧٢ . عن كلمة : النقارة وبحرة ؛ انظر . Dozy .

أربعة أذرع ، وبعدها سويت الحفرة «النقارة» . كذلك بنى فيه وحواليه مقعد ربما للاستراحة ، وبيت برسم المحاكات ربما لنظر المظالم وقت الاستراحة ، وحتى قصر ومنظرة وحوض ماء «بحرة» ، وغير ذلك . كما زُرعت على جوانبه الأشجار وأصناف الزهور والرياحين ، وأجريت إليه المياه من سواقى متعددة . وكان السلطان يصل إليه من القلعة عن طريق عشاة بسلالم تصل إلى القصر الواقع على الميدان .

ولعل أهم مواكب الرياضة ؛ هي تلك التي يتوجه فيها السلطان للعب أو ضرب الكُرَة أو الأكْرَة ، وهي التي عُرفت بأسماء فارسية متعددة ، مثل : الصوالجة (الصوالج) والصوْلجان والجُوكان(١) ، وتُعرف حالياً باسم : البولو (Polo) ؛ وذلك بضرب الكرة بالمضارب من على ظهور الخيل ؛ ويبدو أنها رياضة إسلامية أصيلة ؛ فينسب للرشيد أنه أول من لعبها من ملوك الإسلام(٢) . إلا أن المماليك جعلوا لعبها من رسوم الدولة ؛ حتى أن السلطان الناصر محمد كان يفرض لعبها على أمراء المماليك يومى الثلاثاء والسبت(٣) من كل أسبوع .

فكان السلطان يخرج فى موكب فيه كل شيء فيما عدا الجتر وهى المظلة ،

---

(١) صبح ، ٤ س ٤٧ ؛ السلوك ، ١/١ س ٤٤٤ سه ٣ وهامش (١) ؛
انظر. La chasse et les Sports chez les Arabes. Paris, : Mercir 1927, p. 205; 223.
من كلمة الكرة أو الأكرة ، انظر . قاموس محيط المحيط و Dozy : Suppl, I,p. 30.
عن الصوالج والصولجان ، انظر . Dozy : Op. cit, I, p. 854
عن الجوكان ، انظر . Ibid, I, p. 235.
قد تعنى الكلمات الفارسية المحجن (المضرب) . أنظر . صبح ، ٥ س ٤٥٨ .

(٢) السلوك ، ١/١ س ١٦ س ٣ .

(٣) الخطط ، ٣ س ٣٧١ (آخر الصفحة) .

ربما دلالة الإنطلاق . فيصحبه الأوجاقية ، المسمون : جفتاوات(١) ، وهم في خدمة خيل السلطان ، التي كان لها اصطبل الحجورة ، التي يُنتخب منها الخيل الخاصة بلعب الكرة(٢) . فكان اثنان من هؤلاء الأوجاقية ، لكيْ يتميّزوا عن غيرهم ، يكون كل واحد منهما لابساً ثياباً من الحرير الأصفر ، وراكباً على فرس أبيض ، في عنقه حلية ، رقبة ، ذهب ، نظير ما يركب به السلطان ؛ حيث يسيران بين يديه في ركوبه ؛ بدلاً من حامل الجتر الذي كان يركب بجواره . كذلك يصحبه موظف خاص هو الجوكندار(٣)، ومعه أتباعه الجوكندارية(٤) ؛ حيث الجوكان هو المحجن الذي تُضرب به الكرة ، وكان طوله نحواً من أربعة أذرع ، رأسه خشبة مخروطة ، فكان لهذا الأمير شعار خاص وهو عصوان ؛ لأنه يحمل العصوين اللذين يلعب بهما السلطان الكرة .

وكان لعب الكرة في الميدان عن طريق أن ينقسم أمراء المماليك إلى فرقتين ، على رأس أحدهما السلطان ، والآخر أتابك العسكر(٥) . ويكون لعبها من الظهر حتى العصر . وبعدها يُقام سماط(٦) ، ربما في الميدان ذاته ؛ حيث تُقام خيمة كبيرة ، وعدة صواوين . وكان السلطان ينعم بالخلع على المشتركين في اللعب ، وعلى الجوكندار وأتباعه ؛

---

(١) نفسه ، ٣ ص ٣٢٦ س ٥ . عنهم ، انظر . قبله .

(٢) زبدة ، ص ١٢٥ س ١٦ — ١٧ .

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٢٦ .

(٤) للقصد ، ورقة ١٢٢ ا ؛ صبح ، ٥ ص ٤٥٨ ؛ انظر Steingass Persian English Dict, ؛ انظر : قبله .

(٥) زبدة ، ص ٨٧ .

(٦) ابن إياس ، ١ ص ٣٠٩ س ١٩ — ٢٠ .

حتى بلغ ما خلعه فى يوم واحد ، وقت لعب الكرة ، ألفاً ومائتى تشريف[١] .

كذلك كان السلطان يشترك فى السباق ، الذى أصبح من أحب أنواع الرياضة إليه وإلى الأمراء . والسباق أحبه المسلمون منذ زمن النبى ؛ بسبب ربط النبى بين الجهاد والخيل ، وهو ما عُرف برباط الخيل[٢] . وكان خلفاء الإسلام الأمويون ، يقيمون الحلبة وهى مجمع الخيل[٣] . بل أصبح عرض الخيل جزءاً من رسوم الخلافة الفاطمية فى مصر ؛ فكان يخصص يوم قبل قيام الموكب الرسمى ، يعرض فيه الخيل ، يحضره الخليفة وكبار رجال الدولة[٤] .

وكان المماليك يحبون الخيل حباً جماً ، ويستوردونها من أماكن متعددة ، ويدفعون فى الأصيل منها مبالغ طائلة ، قد تبلغ العشرة آلاف والعشرين ألفاً والثلاثين ألفاً ، للحصان الواحد[٥] . فكانت خيول السلطان تتميّز بوضع علامة خاصة « دوّغ »[٦] ؛ حيث يعرضها فى أوقات متفاوتة ؛ وتمرّن باستمرار ؛ خشية أن يسبقها فرس أحد الأمراء . وكان حب المماليك للسباق كبيراً ؛ حتى بلغت الخيل المتسابقة فى وقت ما مائة وخمسين

---

(١) الخطط ، ٣ ص ٣٧٠ س ٢٣ ــ ٢٥ .

(٢) ابن هذيل ، كتاب حلية الفرسان ، تحقيق عبد الغنى ، دار المعارف ، ص ٤٣ ــ ٤٤ .

(٣) المسعودى ، مروج الذهب ، ط . مصر ، ٢ ص ١٤٢ ؛ انظر . ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٤٢ .

(٤) صبح ، (ط . دار الكتب) ، ٣ ص ٥٠٤ ــ ٥٠٥ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٨١ .

(٥) السلوك ، ٢/٢ ص ٥٢٦ س ١٢ .

(٦) الخطط ، ٣ ص ٣٦٦ س ٥ . عن كلمة « دوغ » ، انظر .
Suppl, I, p. 476. : Dozy

فرساً فما فوقها(١) . فكانت تقام فى الميادين عواميد من رخام تعرف بعواميد السباق ، بين كل عمودين مسافة بعيدة(٢) . وكان السباق بين خيل السلطان وخيل الأمراء ؛ حيث يركبها البدو عادة . ومما يذكر أن حصان أحد الأمراء سبق خيل مصر كلها ثلاث سنين متوالية أيام السباق(٣) .

كذلك كان السلطان يحضر لعبة القَبق أو القباق أو رمى القبق(٤) ، وهو اسم تركى لنبات القرعة العسلية ؛ وإن أُطلق فى العربية على الهدف الذى استعمل فى الرماية أيام المماليك . فكان القبق على شكل قرعة من ذهب أو فضة ، يضعون فيها طيراً مثل الحمام ، ويرمونها بالنُشّاب أو من على ظهور الخيل ، أو أنه عبارة عن خشبة عالية جداً تُنصب فى براح من الأرض ، ويعمل بأعلاها دائرة من خشب ، وتقف الرماة بقسّيها ، وترمى بالسهام جوف الدائرة ؛ لكى تمر من داخلها إلى غرض هناك . فكان الرامى يستلق على قفاه ، ويرمى يمنة ويسرة . ويكون الرمى من قبل الأمراء عادة ، وذلك على قدر منازلهم واحداً واحداً ، أو حتى من قبل العساكر والمماليك ؛ حيث يشرف على ذلك الحجاب . فمن أصاب القرعة أو أصاب طير الحمام ، رمى السلطان عليه خلعة ، أو منحه فرساً ، أو غير ذلك . وبعد الرمى يدعى الأمراء والمشتركون لشرب سكر مذاب فى خيمة أقيمت خصيصاً لذلك ؛ فيمر

---

(١) نفسه ، ٣ ص ٣٦٦ س ١٢ — ١٣ .

(٢) نفسه ، ٣ ص ١٨٣ — ١٨٤ .

(٣) نفسه ، ٣ ص ٣٦٦ .

(٤) السلوك ، ٢/٢ ص ٥١٨ — ٥١٩ وهامش (١) ؛ الخطط ، ٣ ص ١٨٠ س ١٨ وما بعدها ، ١٨١ س ٨ وما بعدها ، ١٨٢ س ٢٤ وما بعده ، ص ١٨٣ س ١ وما بعدها ؛ ماجد ، الحضارة ، ص ١٤٤ ؛ Dozy : Suppl, 2, p. 303.

السقاة على الأمراء بالأوانى الذهب والفضة والبلور ، أما الأجناد فتشرب من أحواض قد تبلغ المائة حوض .

وأخيراً كان السلطان يشاهد المماليك فى الطباق — وهى المدارس الحربية — أو فى الميادين ، وهى تتمرن على أنواع الفروسية ، مثل ركوب الخيل بدون سرج ، أو اللعب بالرمح عن طريق الطعان(١) ، أو الرمى بالنشّاب وهى السهام ، أو القتال بالدبابيس وهى أعمدة لها رؤوس مضرسة ، أو اللعب بالسيف ، أو المصارعة(٢) ؛ حيث كانوا يتعلمون كل هذا فى الطباق . فكان السلطان يمنح من يتفوقون منهم الخلع ، ويشجع الرهان على الفائزين .

٧ — موكب دوران المحمل .

الواقع إنه كان لموكب الحج فى مصر أهمية خاصة منذ مجىء الفاطميين ؛ وذلك بسبب أن مصر أصبحت ترسل الكسوة ، التى كان العباسيون والأمويون يرسلونها قبلاً ؛ وإن كان المأمون العباسى هو أول من أرسلها فى قافلة(٣) . فكان خلفاء الفاطميين قبل عيد النحر ، ينصبونها على قصرهم الكبير(٤) ، فى القاهرة قبل إرسالها إلى مكة . فلما جاء المماليك وسيطروا على الجزيرة العربية ، أصبحوا يرسلونها من مصر أيضاً . وكانت قبلهم تسمى : شمسية ؛ أما فى عهدهم فسميت : الكسوة أو المحمل أو المحمل الشريف(٥) ؛

---

(١) الخطط ، ٣ ص ١٨١ س ٧ وما بعدها ،

(٢) ابن إياس ، ٣ ص ١٣ س ١٠ .

(٣) أنظر . Demombynes : Le voile de la Ka'ba, Stv. Isl, 11 Paris, 1954, p. 12:

(٤) الخطط ، ٢ ص ٣١٧ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ، ٢ ص ١٣٠ .

(٥) ابن إياس ، ١ ص٢٠١ ، ١٩٣ ؛ انظر . Le Mahmal et la caravane, egyptienne des pélerins de la Mecque XII – XXSiècles, 1953.

وهذا الأخير اسم لم يُعرف قبل عهد بيبرس ، وذلك يعنى أنها تُحمل إلى مكة .

وفى خلال تاريخ الكسوة الطويل ؛ اختلفت فى قماشها ولونها وصنعها . فكانت فى الجاهلية تُصنع من الجلد ، ثم أصبحت من القماش(١) المصرى على الخصوص — ولا سيما القباطى(٢) — التى تُصنع منه حتى ولو أرسلت من المدينة أو دمشق أو بغداد(٣) . وكانت عبارة عن ستارة واحدة ، ثم أصبحت على يد معاوية اثنتين ؛ وفى العهد العباسى ثلاث(٤) . وفى أيام الفاطميين أصبحت على شكل مربع ، تصنع من قماش حرير « ديباج » أحمر ، مزخرف « موشح » ، ولها بطانة « حشو » ، تفوح منها رائحة المسك المسحوق ، وقد كُتبت على أطرافها آيات الحج بزمرد أخضر ، وثبتت فيها أهلة من الذهب ، وياقوت ، ودر كبير كبيض الحمام(٥) .

وفى أيام الأيوبيين والمماليك أصبحت عبارة عن ثياب من حرير « أطلس » ، سوداء حالكة شعار العباسيين ، مبطّنة بالكتان ، وتُكتب فيها آيات الحج مطرّزة بكتابة بيضاء فى النسج ذاته ، وفى أعلاها مكتوب بالتطريز اسم السلطان ، ثم استقرت الكتابة صفراء ، وهو المميّز للون السلطانى(٦) . ولدينا سجل يبيّن أنها كانت تصنع فى دار الطراز

---

(١) فتوح البلدان ، ص ٤٧ ؛ صبح ، ٤ ص ٢٧٨ وما بعدها .

(٢) القباطى قماش ينسب صنعه إلى القبط فى مصر . أنظر . ماجد ، الحضارة ، ص ١١٤ ؛ Dozy : Suppl, 2, p. 302

(٣) الأزرق ، كتاب أخبار مكة شرفها الله ، تحقيق Wust ، طبعة Leipzig ، ١٨٥٨ ، ١ ص ١٦٨ .

(٤) صبح ، ٤ ص ٢٧٩ ص ٢ ، ٢٨٠ ص ١ .

(٥) الخطط ، ٢ ص ٣١٧ .

(٦) صبح ، ٤ ص ٥٧ — ٥٨ .

بالإسكندرية(١) ؛ وإن كانت تصنع عند مشهد الحسين(٢) أيضاً . وكانت لها إدارة خاصة لصنعها ، تسمى : نظر الكسوة ، يُشرف عليها : ناظر الكسوة ، ولعله هو ناظر المحمل الشريف(٣) . كذلك يُرسل معها ستائر أخرى ، مثل : الستارة الزركش « المزخرفة » ، التي أرسلتها أخت السلطان برقوق لضريح النبي ، والأخرى لبابها(٤) ، أو حتى مفتاح مذهب لباب الكعبة(٥) .

ويبدو أن بيبرس هو أول من نظّم إرسال الكسوة في عهد المماليك بالرسوم المعروفة(٦) . فكان الحالون يضعون الكسوة على جمل ، فوق هيكل هرمي « خركاه(٧) » ، له قبة مطلى بالفضة ، مكسو بغشاء حرير لامع « أطلس » ، لونه أصفر ، شعار السلطان . فكان يحدث مايعرف بدوران المحمل(٨) ، بقصد عرض الكسوة على أنظار الناس ؛ لحثهم على الحج . وقد جرت العادة أن يدور المحمل في السنة مرتين : في شهر رجب وشوال ؛ فكان يسير بين صفوف من فرسان السلطان ، الذين لبسوا الدروع ، وتسلحوا بالرماح ، فوق خيولهم الملبسة أيضاً بالدروع « بركستوانات(٩) » ،

---

(١) صبح ، ١١ ص ٤٢٥ — ٤٢٦ ؛ السلوك ، ٢/١ ص ١٩٠ س ١١ .

(٢) صبح ، ٤ ص ٥٧ .

(٣) المقصد ، ورقة ١٣٢ ب ؛ زبدة ، ص ١١٥ س ١٢ ؛ انظر . Van Berchem : Corpus I, pp. 346—47.

(٤) ابن إياس ، ١ ص ٢٩٣ .

(٥) الخطط ، ١ ص ٣٢٧ س ١٧ .

(٦) أنظر . Demombynes : Le Voile, p. 11.

(٧) عنها ، انظر . Dozy : Suppl, I, p. 366.

(٨) صبح ، ٤ ص ٥٧ — ٥٨ ؛ ابن بطوطة ، رحلة ، مصر ١٣٢٢ هـ ، ١ ص ٢٦ ؛ ابن إياس ، ١ ص ٤٣ س ١١ .

(٩) عن هذه الكلمة ، انظر . Dozy : Suppl, I, p. 77. ؛ وقبله .

ومن ورائه الطبول والصنوج «الكوسات» السلطانية تدق ، وأمامه الوزير والقضاة الأربعة — لأنهم يمثلون أربعة مذاهب — وبطانتهم من الشهود ، والمحتسب — المشرف على أحوال المدينة — وناظر الكسوة ، وموكب من رجال الصوفية على طبقاتهم(١) ، وغيرهم . وقد يصحب الموكب عفاريت المحمل ، الذين يضحكون الناس على العادة ، وهم جماعة يغيّرون من صفاتهم بهيئة عجيبة مزعجة(٢) . وحينئذ يجتمع أهل مصر ، وكل ما في الديار المصرية قد زيّن ، وخصوصاً الحوانيت . فكان المحمل يطوف بمدينتي القاهرة ومصر ، وأخيراً يتجه إلى القلعة ؛ حيث يلعب هناك الرماحة من فرسان السلطان ، حتى أن بعضهم يلعب بالرماح وهو واقف على ظهر فرسه ، كما تطلق الصواريخ « أزيار النفط » . كذلك الكسوات الأخرى تشق القاهرة(٣) . وربما كان يوجد محمل آخر في دمشق ؛ لتحميس أهل الشام على الحج ؛ فنسمع بأنه يخرج من دمشق محل يدور فيها(٤) ؛ وإن كان إرسال الكسوة بالضرورة من مصر .

وكان الحجاج يتجمعون قبل سفرهم ، منذ زمن الفاطميين ، خارج القاهرة في مكان يُعرف باسم : جُب عميرة(٥) — على اسم قبيلة عربية — أو أرض الجب ؛ وإن غلب عليه تسمية بركة الحجاج من أجل نزول الحجاج فيها قبل رحيلهم . فكان يتجمع في هذا المكان الحجاج المصريون

---

(١) زبدة ، ص ٩٢ .

(٢) حوادث ، ص ١٨٩ ، ٣١٦ .

(٣) ابن إياس ، ١ ص ٢٩٣ .

(٤) ابن قاضي شهبة ، الذيل ، ورقة ٢٨٦ ب .

(٥) الخطط ، ٢ ص ١٢٩ .

والمغاربة والأندلسيون ، بسبب أن مصر فى طريق الحجاج ؛ وإن كان خروجهم يكون من جهات غير مصر ، وهى : دمشق وبغداد وتعز[١] . فكانت تصحبهم المماليك من حاشية السلطان « الخاصكية »[٢] ، على رأسهم أمير الركب[٣] — ويسمى أيضاً أمير الحاج أو أمير المحمل — ومعهم الأدلاء والأطباء والكحالون والمجبرون والأئمة والمؤذنون والقاضى والشهود والدواوين والمغسلون للموتى[٤] .

وإذا كان السلطان هو الذى يصحب المحمل ؛ فإن موكب الحجاج يكون أكثر أهمية . فمن العادة أن تصحبه جماعة من فرسانه « طلبه » فى أحسن زينة ، وكذا نساؤه وعياله ، الذين تحملهم محفات مزركشة . ويكون معه كل مايحتاجه المطبخ السلطانى من أفران وقدور من ذهب وفضة ونحاس ، بل يحضر الخولة لعمل البقول « مباقل » ، ورياحين فى أحواض من خشب ؛ فتصـــير مزروعة وتسقى على الجمال ، كما تحمل أنواع الحلوى والفاكهة والجبن المقلى والعليق ، والأوز والدجاج بأعداد كبيرة[٥] . ومن الجدير بالذكر أن السلطان كان غالباً ما يحج ، ولا يحج أحد من الخلفاء العباسيين ، الذين انتقلوا إلى مصر بعد استيلاء المغول على بغداد ؛ وذلك لأنه منذ هرون الرشيد لم يكن

---

(١) حسن المحاضرة ، ٢ ص ١٦٥ .

(٢) زبدة ، ص ١١٥ .

(٣) صبح ، ٤ ص ٢٧٦ ؛ ابن إياس ، ١ ص ٢٦٥ ص ١٨ و ١٩ .

(٤) حسن المحاضرة ، ٢ ص ١٦٥ .

(٥) النجوم ، ٩ ص ٥٨ ؛ السلوك ، ٢/١ ص ١٩٦ .

يحج أحد من خلفاء العباسيين(١) ، كما لم يحج خلفاء الشيعة الفاطميين في المغرب أو في مصر ، أو حتى خلفاء بني أمية في الأندلس .

وكان سيرهم غالباً في الطريق البري : عن طريق الفسطاط إلى قوص في أقصى الصعيد(٢) ، ومنها في الصحراء إلى عَيْذَاب(٣) ، بليدة على ضفة البحر الأحمر ، التي يأخذون من عندها الجلاب(٤) ، وهي مراكب خفيفة لا يُستعمل فيها مسمار البتة ؛ حيث أن مياه البحر الأحمر تأكل المسامير ، وإنما خشبها مخيط بحبال مصنوعة من قشر الجوز . فكانت هذه الطريق ، التي اتبعت منذ أيام الفاطميين ، بسبب الخوف من الصليبيين الذين كانوا يحتلون الشام . ولكن منذ بيبرس ، عبرت أول قافلة برية(٥) في ٦٦٦/ ١٢٦٧ — ٨ ، عن طريق سيناء إلى تهائم (وديان) الحجاز ، وذلك من البركة ، مركز التجمع إلى السويس ، ثم إلى أيْـلة(٦) (العقبة) . فكانت هذه المسافة أقصر ، تبلغ في الذهاب والمجيء ثلاثة وعشرين يوماً(٧) . ولعل بيبرس نقل سلوك الحجاج لهذه الصحراء ؛ بسبب زوال خطر الصليبيين ؛ حيث أن المماليك هم الذين طردوهم من الشام نهائياً . فكان الحجاج كلما سارت القافلة بهم من مكان إلى مكان ، وبدأوا في الرحيل ، دقت الكوسات والطبول ، وأطلق النفير(٨) .

---

(١) للمقريزي ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق الشيال ، القاهرة ١٩٥٤ .

(٢) عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٧ ص ١٨٣ .

(٣) عنها ، نفسه ، ٦ ص ٢٤٦ .

(٤) الخطط ، ١ ص ٣٢٧ ؛ ابن جبير ، رحلة ، تحقيق نصار ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٤٤ .

(٥) الخطط ، ١ ص ٣٢٧ .

(٦) عنها ، انظر . معجم البلدان ١ ص ٣٩١ — ٣٩٢ .

(٧) النويري ، نهاية الأرب ، ٣١ ورقة (١) .

(٨) حسن المحاضرة ، ٢ ص ١٦٥ .

فكان إذا وصل الموكب ؛ فإن أمير مكة ينزل عن فرسه ليقبّل رجل جمل المحمل[١] ، وتعلّق الكسوة باحتفال كبير . أما إذا كان السلطان حاضراً ، فإنه يغسل الكعبة بيده ؛ مثلما فعل بيبرس ، الذى غسلها بماء الورد[٢] . كذلك عودة الحجاج كانت مجالاً لاحتفالات كبيرة فى مصر : فكان يسبقهم البشير مبشراً بوصولهم[٣] ؛ ويكون السلطان فى استقبال الحجيج ، ويمنح الخلع لأمير الحاج[٤] ، الذى يعود إلى داره فى موكب حافل . وفى هذه المناسبة ، قد يستدعى رجال من الشام ، فنسمع بأنه كان يخرج مع القضاة الشامية فى مصر والشام ؛ وأنه كان يخلع على الأمراء والمقدمين من المصريين والشاميين ، الذين يقبلون يد السطان ، بعد أن قبلوا الأرض بين يديه[٥] .

ب — ومن الأعياد العامة ؛ نذكر الجلوسات ، وهى :

١ — تولية السلطان .

٢ — الجلوس اليومى .

٣ — الجلوس الشهرى .

٤ — جلوس توزيع الإقطاعات .

---

(١) ابن إياس ، ١ ص ٢٦٥ س ١٦ — ١٢ .

(٢) الخطط ، ٤ ص ٩٦ س ١٤ .

(٣) حسن المحاضرة ، ٢ ص ١٦٦ .

(٤) ابن إياس ، ٣ ص ٦ [آخر الصفحة] .

(٥) ابن قاضى شهبة ، الذيل على تاريخ الإسلام ، مخطوط ، ورقة ٢٣ ب .

٥ — الجلوس للقصاد من الملوك الضخام والرسل .

٦ — جلوس قضاء المظالم .

٧ — جلوس المولد النبوى .

١ — تولية السلطان[1]

يقام بالضرورة فى القلعة باحتفال كبير ؛ لأن سلطنته لا تتم إلا بدخوله قلعة الجبل . فيخرج السلطان من داره راكباً فرسه ، ومعه خواص أمرائه ، إلى الإيوان — وهى القاعة الضخمة ذات الأعمدة — بشعار السلطنة من آلات خاصة وبنود وأبواق ، وقد ظلله لواءان أسودان ، منشوران على رأسه ، كما يوضع فى عنق فرسه قماش أسود «مشدّ» ، وعليه بردعة سوداء ؛ إذ أن اللون الأسود يرمز إلى الشعار العباسى ؛ وذلك لتأكيد صبغة الدولة السنية . فيدخل السلطان إلى الإيوان من باب اسمه باب النحاس ، أو من باب آخر اسمه سر القصر الكبير ؛ حيث يوجد عنده درج يقف عنده فرس السلطان .

ويكون جلوس السلطان فى هذا الاحتفال على تخت فى أعلى مكان . فيقبل الأمراء الأرض بين يديه على قدر مراتبهم ، ثم يتقدمون إليه

---

(١) ابن حبيب ، درة الأسلاك فى دولة الأتراك ، مخطوطة (B. N.) ، برقم ٤٦٨٠ ، ١ ورقة ٩٨ ب ؛ صبح [ط . دار الكتب] ، ٣ص ٢٨٠ — ٢٨١ ؛ الخطط ، ٣ص ٣٤٠ ؛ السلوك ، ١/٢ ص ٤٥٢ وما بعدها ؛ حسن المحاضرة ، ٢ ص ٤٥ ؛ مفضل ، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد (Pat. Or., t12, Fasc 3. Paris) ، ص ٤٢٤ — ٤٢٥ ؛ المقصد ، ورقات ٥٥ ، ١٢١ ا — ١٢١ ب ؛ زبدة ، ص ٨٩ ؛ ابن إياس ، ١ ص ٩٨ ، ١٠١ ؛ انظر . ماجد ، نظم المماليك ، ١ ص ٣٧ — ٣٨ .

ويقبلون يده . فإذا فرغوا ، حضر الخليفة وجلس مع السلطان على التخت ؛ ليلبسه بيده الخلعة المسماة[١] : الخلعة الخليفتي أو السواد الخليفتي ، وهو زيّ السلطان الرسمي ، الذي وصفناه سابقاً . فيقرأ كبير موظفي ديوان الإنشاء (كاتم السر) المختص بالمكاتبات الرسمية — تقليد الخليفة للسلطان على البلاد الإسلامية بما فيها مصر والشام والحجاز واليمن وديار بكر والفرات بالجزيرة ، وما يُضاف إليها ، وما يُفتح من بلاد الكفر ، ولا سيما هذه العبارة : «فوضت إليه ذلك» ، وكذا يشهد كبار قضاة المملكة على عقد التفويض . وقد يخطب الخليفة في هذه المناسبة ؛ فإذا كان قويّ الشخصية دعا السلطان إلى أن يكون رحيماً بالرعية . ثم يقبّل الأمراء الأرض للسلطان من جديد ، ويحلفون له على المصاحف بأن لا يخونوا ولا يغدروا ولا يثبوا عليه ؛ إذ أن السلاطين كانوا دائماً مهددين من قبل الأمراء . وبعد ذلك ، يصافح السلطان أمير المؤمنين ، بعد أن يمنحه التشاريف ، ويمنحها لرجال الدولة ، حتى أنها قد تبلغ أكثر من ألف ومائتي خلعة[٢] .

وقد يخرج الأمراء ورجال الدولة وعلى رأسهم السلطان في شوارع القاهرة ؛ حيث يُحمل التقليد ، الذي منحه الخليفة إياه في كيس من الحرير الأسود يوضع على رأس الوزير[٣] ؛ وتكون القاهرة قد زينت[٤] .

---

(١) ابن تغرى بردى ، مورد اللطافة ، ص ٤٥ ، ٧٨ ، ١٠٢ . منها ، انظر . ابن إياس ، ١ ص ١٠١ س ٢٢ وما بعدها ؛ وقبله .

(٢) السلوك ، ٢ ص ٤٨ س ٧ — ٨ .

(٣) نفسه ، ٢ ص ٤٨ س ٧ — ٨ .

(٤) مورد اللطافة ، ص ٩٣ .

وكذا يمد السماط(١) — أى الوليمة — للأمراء بعد ذلك .

٢ — الجلوس اليومى(٢)

وكان يعقد فى قصره ، فيما عدا يومى الاثنين والخميس ، اللذين كان يخصصان عادة للنظر فى المظالم . ويبدو أن هذا المجلس كان يختص بالأولى بالنظر فى تصريف أمور الدولة ، ولذا يحضره بالإضافة إلى الأمراء من دعت الحاجة إلى حضوره من رجال الدولة بما فيهم الخليفة وقضاة القضاة والوزير والقرباء من السلطان . ولذا كان يوجد أحياناً المشير فى المجلس ، وهو الذى يقول عنه ابن شاهين بأنه إذا حصل مهم وأراد السلطان شيئاً ، جعل المشير هذا يلتمس من يقصدهم رغبة السلطان(٣) ؛ فضلاً عن أننا نسمع عن أمراء المشورة(٤) ، مما يبين تعددهم أحياناً . فكان السلطان يجلس للحاضرين على العرش « التخت » ، فى قاعة فى القصر « إيوان » ، أو حتى على الأرض ، وإن وقف الأمراء حوله .

٣ — الجلوس الشهرى

هذا الجلوس يكون فى أول كل شهر ، لتقبل التهنئة به من قبل رجال الدين ، ولاسيما الخليفة(٥) ، ورجال الصوفية(٦) ، وذلك لمباركة الشهر عليه ؛

---

(١) الخطط ، ٣ ص ٣٤٠ .

(٢) نفسه ، ٣ ص ٣٤٠ — ٣٤١ ؛ صبح ، ٥ ص ٤٥ .

(٣) زبدة ، ص ١٠٦ .

(٤) الخطط ، ٣ ص ٣٤١ س ٢ .

(٥) ابن إياس ، ١ ص ١٠٣ س ٢ — ٣ .

(٦) زبدة ، ص ٩٢ .

حيث يبدو أن بيبرس هو الذى وضع هذا التقليد ؛ إذ كان السلاطين فى حاجة إلى تأييد حكمهم من قبل السلطة الدينية .

٤ — جلوس توزيع الإقطاعات[١]

يكون غالباً فى قاعة خاصة بالقصر اسمها : الإصطبل السلطانى[٢] ، حتى عُرف الجلوس بموكب الإصطبل ؛ وذلك مرتين فى الأسبوع ، فى أوقات معينة . فيجلس السلطان فى صدر المجلس ، وعن يمينه ويساره أمراء المئين — الأمراء الكبار — جلوساً على مقاعد من الحرير ، كما يحضر ناظر الجيش[٣] ؛ ليقرأ ما يتعلق بالإقطاعات على المسامع ، وهى التى يوزعها السلطان على من يشاء . فكان الإقطاع يُكتب مختصراً باسم الأمراء ، وأحياناً باسم الأجناد مباشرة ، وذلك أمام السلطان ، الذى يعلّم عليه بالموافقة ، عن طريق كاتم (أو كاتب) السر — وهو رئيس ديوان الإنشاء — حيث كانت هذه الموافقة تتكون غالباً من عبارة دينية ، وهى : الله أملى[٤] . وبعد ذلك ، يُرسل المنشور بالإقطاع إلى ديوان الجيش لقيده ، ولديوان الإنشاء للتنفيذ .

---

(١) زبدة ، ص ٨٦ — ٨٧ .

(٢) بنيت فى عهد السلطان برقوق [٧٨٤ — ٨٠١ / ١٣٨٢ — ١٣٩٨] . النجوم ، ٣ ص ٣٣٦ .

(٣) حسن المحاضرة ، ٢ ص ٨٥ ؛ وقبله .

(٤) الخطط ، ٣ ص ٣٤٢ ؛ وقبله .

٥ — الجلوس للقصاد من الملوك الضخام والرسل[١]

كان استقبالهم يتم على مراحل ، برسوم ثابتة ، تظهر فيها مكانة الدولة وبذخها . فقد عرفت دولة المماليك بصلاتها الكثيرة ؛ بسبب مركزها الحربي المتفوق ، بعد تغلبها على الصليبيين والتتار ، وحملها لواء الحضارة الإسلامية ، التي كانت قد أفلت في المشرق بعد سقوط بغداد في أيدي التتار . فكان رسل ملوك الدنيا ، يأتون من كل مكان إلى القاهرة : من أسبانيا وإيطاليا[٢] ، ومن دول المغرب وبلاد أفريقيا ، ومن الهند وبلاد المشرق ، ومن أمراء العربان ومن غيرهم .

فإذا وصل[٣] إلى أطراف مملكة السلطان ملك من الملوك أو رسول دولة من الدول ؛ كاتب نائب تلك الجهة السلطان وعرّفه بوصوله . فإذا كان ملكاً ذا مكانة خاصة ؛ فقد يخرج السلطان لتلقيه بنفسه عند وصوله إلى القاهرة ، أو أن يخرج له بعض أكابر الأمراء كنائب السلطنة أو حاجب الحجاب[٤] ؛ وإذا كان دون ذلك ، تلقاه موظف من القصر المملوكي ، الذي اختصت وظيفته باستقبال الضيوف ، يعرف باسم :

---

(١) زبدة ، ص ٨٦ .

(٢) مثلاً ، انظر . Schefer : , la relation de l'ambassade de Domenico Trevison auprès des Sudan d'Egypte en 1512, Paris, 1884, cf.

(٣) بتفصيل ، انظر . صبح ، ٤ ص ٥٨ — ٥٩ .

(٤) عنها ، انظر . قبله .

المهمندار[١] ، أى متلقى الضيوف .

وحينئذ ينزل الضيف فى إحدى دور الضيافة أو ببعض الأمكنة على حسب قدره . فنذكر منها : قصور السلطان بالميدان الذى يلعب فيه الكرة ، وهو أعلى منازل الرسل ، ودار الوزارة التى كانت من أيام الفاطميين والأيوبيين ، وعُرفت باسم : الدار السلطانية . فكان يشرف على هذه الدور موظف يُعرف باسم : ناظر الضيافة[٢] ؛ الذى يضع تحت تصرف الضيوف الخيل وعلوفتها[٣] ، ويصرف لهم مرتبات وجرايات ، وأحيانا يُرسل لهم جوارى أبكاراً[٤] . ومن ناحية أخرى ، كان عليه أن يكتب عنهم كل ما يتعلق بهم : فيكتب تاريخ وصولهم ومكانهم ، وما يحملوه من هدايا ، وأن يشدد الحراسة عليهم إذا كانوا من غير المسلمين ، أو من دول الأعداء ، حتى لا يرجمهم العوام ، كما يمنعون من الإتصال إلا بالسلطان[٥] .

وكان لمثول الضيف بين يدى السلطان عدة مراسم . فكان لابد أن يحدد يوم لاستقباله ، ويعلَّم أصول المقابلة . ويوم حضوره ، يُنزع سلاحه ، ويمر بعدة دهاليز ، تقام فيها العسكر . فيستقبله السلطان بأبهة ، وهو جالس على تخت الملك ، الذى هو على هيئة منبر الجامع[٦] ؛ وذلك فى الإيوان ، وهى القاعة الفخمة ذات الأعمدة ؛ حتى أن استقباله

---

(١) عنه : صبح ، ٤ ص ٢٢ ، ٥ ص ٤٥٩ ؛ الخطط ، ٢ ص ٣٩٩ ؛ وقبله .

(٢) عنه : صبح ، ٤ ص ٣٢ ؛ المقصد ، ورقة ١٣٥ ؛ وقبله .

(٣) زبدة ، ص ٩٧ س ٢٢ ؛ ابن إياس ، ١ ص ٣٠١ س ٢٥ .

(٤) ابن إياس ، ١ ص ٣٠١ س ٢٦ .

(٥) نفسه ، ٣ ص ٨ .

(٦) صبح ، ٤ ص ٧ س ٢ .

فيها ، يسمى : موكب الإيوان(١) . فكان السلطان يحاط برجال الدولة ، وهم فى أحسن زينة ، وقد إصطف الأمراء عن يمينه وشماله كل واحد فى منزلته ، كما يقف على حراسة السلطان رؤوس النوب(٢) . فكان من المراسم أن يقبل الضيف الأرض أمام السلطان من بعيد ؛ عند أوائل البساط الممتد إلى تخت الملك ؛ وإن عاد إلى تقبيل الأرض مرة ثانية وثالثة كلما اقترب من السلطان . ولا يبدو أنه كان يسمح للضيف بالجلوس(٣) إلا فى حالات قليلة ؛ إذ يمنع رءوس النوب ذلك . فكان الضيف يقدمه عادة كاتم (كاتب) السر ، وهو نفسه الذى يُرسل إلى المهمندار البطاقة لملاقاته . كذلك يوجد التراجمة إذا احتيج إليهم ؛ لكى يترجموا عن الضيوف ، أو ليعرّبوا الرسائل التى فى أيديهم(٤) .

ولدينا وصف لاستقبال قصاد ملك الحبشة ، الذين بلغ عددهم ستمائة شخص : بعضهم عريان مكشوف الرأس ، فى أذن كل منهم حلق من ذهب ، وفى أيديهم أساور ذهب ، ورئيسهم عليه الحرير الملوّن ، ويلبس على رأسه خوذة من المخمّل الحمراء ، فيها صفائح ذهب ، ثبتت فيها درة كبيرة مثمنة . وكانت معهم طبول يضربونها على الجمال ، وأعيانهم تركب الخيل ، والبقية مشاة ، كما يحملون كراسى حديداً للجلوس بحضرة السلطان ؛ إلا أن رءوس النوب لم تمكنهم من ذلك . وعلى العكس ؛

---

(١) زبدة ، ص ٨٦ .

(٢) ابن إياس ، ٣ ص ٢ س ٢٣ — ٢٥ .

(٣) نفسه ، ٢ ص ٨ .

(٤) المقصد ، ورقة ١٠٣ و ب .

إذا كان الضيف أحد الملوك العظام ؛ فإن السلطان يخرج بنفسه من القلعة لإستقباله، ويترجل له عن فرسه، ويلبسه جبة «قباء»(١) من حرير مذهب ، وبعد ذلك يمد له سماطاً عظيماً(٢) .

٦ – جلوس قضاء المظالم

يقام فى قاعة خاصة أنشأها بيبرس فى القلعة عُرفت : « بدار العدل » ، فى عام ١٢٦٣/٦٦١(٣) ، وذلك على نسق دار العدل التى كانت فى دمشق زمن نور الدين ؛ بحيث أصبحت دار العدل تعنى مكان نظار المظالم . كذلك بنى الناصر محمد بن قلاوون فى عام ١٣٢٢/٧٢٢(٤) ، قاعة جديدة للمظالم عُرفت : « بالإيوان الكبير » – تكلمنا عنه فى الجلوس – سُميت أيضاً : « دار العدل » ، ولتميّز عن دار العدل التى بناها بيبرس ، سُميت : « دار العدل القديمة » ، التى مالبث أن هدمها الناصر . كذلك أنشأ برقوق (٧٨٤ – ١٣٨٢/٨٠١ – ١٣٩٨) قاعة جديدة للمظالم عُرفت باسم : « الاصطبل السلطانى »(٥) . وفوق ذلك ، كان نظار المظالم ينظر فى داخل القصر أو فى خارجه فى « قاعة الدكة(٦) » أو دار النيابة التى بنيت فى أيام سلطنة قلاوون عام ١٢٨٨/٦٧٨ ، أو فى « الشبّاك »(٧) ، الذى يقع بالدار ذاتها ؛ حيث كان يجلس فيه

---

(١) ابن إياس ، ٣ ص ٧ – ٨ .

(٢) نفسه ، ١ ص ٣٠١ .

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٣٣ ، ٣٣٨ .

(٤) نفسه ، ٣ ص ٣٣٨ .

(٥) نفسه ، ٣ ص ٣٣٦ .

(٦) النجوم (P) ، ٧ ص ٧٤٥ .

(٧) الخطط ، ٣ ص ٣٤٨–٣٤٩ .

السلطان أو نائبه المتظلمين ، أو فى « الميدان »(١) ، الذى تحت القلعة ، أثناء احتفالات السلطان بلعب الكرة ؛ إذ بُنى فيه بيت برسم المحاكمات، أو فى أى مكان آخر .

وجرى حكام الإسلام عند النظر فى المظالم أن يحددوا لها أوقاتاً معينة(٢) ، لا تتعدى يومين فى الأسبوع ، وهى غالباً صبح الاثنين والخميس ؛ وإن غيّرها برقوق بعد ذلك ، وجعلها الأحد والأربعاء ، وغيّرها ثانية إلى الثلاثاء والسبت ، وأضاف الجمعة بعد الظهر(٣) ؛ وهى تُعقد فى كل أسبوع طوال السنة ، ماعدا شهر رمضان(٤) .

وكان حضور السلطان مجلس المظالم يُعتبر من الرسوم الملوكية(٥) . فيُحاط بمظاهر الأبهة والقوة(٦) ، ويُمثل فيه جميع عناصر الدولة وموظفوها الكبار ، الذين يقل عددهم أو يزيد على حسب الحاجة . فمن رجال الدواوين مثلاً : الوزير ، وكاتم (أو كاتب) السر ، والوكيل عن بيت المال ، وناظر الجيش ، وناظر الخاص . ومن رجال الدين : القضاة الأربعة ، وقضاة العسكر(٧) ،

---

(١) ابن إياس ، ١ ص ٢٩٢ س ٤ ، (K. M.) ، ٤ ص ٥٦ .

(٢) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، القاهرة ، ص ٦٦ .

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٣٨ .

(٤) نفسه ، ٣ ص ٣٣٩ س ٧ — ٨ ، ٣٤٠ س ١ .

(٥) نفسه ، ٣ ص ٣٣٦ س ١٧ .

(٦) بتفصيل : نفسه ، ٣ ص ٣٣٩ — ٣٤٠ ؛ صبح ، ٤ ص ٤٤ — ٤٥ ؛ حسن المحاضرة ، ٢ ص ٨٣ ؛ ابن بطوطة ، رحلة ، القاهرة ١٣٢٢ هـ ، ١ ص ٢٥ ؛ ابن عبد الظاهرى ، الألطاف ، ص ٥٤ — ٥٥ .

(٧) عددهم ثلاثة : شافعى وحنفى ومالكى ؛ وليس للحنابلة منهم حظ . صبح ، ٤ ص ٣٦ .

ومحتسب القاهرة . ومن رجال السيف : الأمراء وهم قواد الجيش ، وكبار رجال البلاط ، وعلى رأسهم نائب السلطنة ، وحتى أمراء المشورة ، المخصصون لإستشارة السلطان .

وكان يشترك فيها موظفون متخصصون لهذا القضاء ، مثل : جماعة من الموقعين المعروفين بكتاب الدست ، وذلك لكتابتهم على الدست ، وهى الدرج ؛ فلعلهم كانوا ينتقلون من ديوان الإنشاء إلى هذا المجلس ، أو على الأقل يكون بعضهم قد تخصص لهذا القضاء[1] ؛ ومفتو دار العدل[2] ، الذين تؤخذ آراؤهم الشرعية ، فقد كان لكل مذهب منصب مفتية ، والحجاب الذين ينظمون دخول المتظلمين ، وحتى « الدوادار » ومعاونوه « الدوادارية »[3] ، وهم الذين يجمعون الشكاوى . وهذا يدل على طابع نظر المظالم الخاص ، وهو طابع السلطة العليا ، الممثلة فى السلطان ، أو من ينوب عنه .

وكان جلوس أعضاء المجلس على حسب طبقاتهم بترتيب معيّن دقيق ؛ وإن أختلف من مجلس لآخر . فكان جلوس السلطان وحواليه الموظفون فى حلقة دائرة فى الغالب : فيجلس السلطان فى وسط المجلس على كرسى موضوع تحت سرير الملك « تخت الملك » ؛ إذا قعد عليه يكاد تلحق الأرض رجليه ، أو يجلس على الأرض ؛ لأنه فى هذا الجلوس يضع نفسه موضع القاضى المحايد ؛ الذى لا يتكبر ولا يشمخ ؛ مثلما يكون الحال فى الجلوسات الأخرى . كذلك يجلس القضاة الأربعة عن يمينه على حسب

---

(١) نسمع عن موقع دار العدل ؛ فلعله منهم . الخطط ، ٣ ص ٣٢٥ س ٢٠ .
(٢) صبح ، ٤ ص ٣٦ و ٤٥ .
(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٣٩ س ٢١ ، ٣٦١ س ١٧ .

ترتيبهم : الشافعى ثم الحنفى ثم المالكى ثم الحنبلى ؛ وإن جلس أحياناً الشافعى عن يمينه والمالكى عن يساره . وقد يجلس كبار الأمراء ، أو بعض كبار الموظفين الديوانيين الكبار بما فيهم الوزير — وهو رأس الدواوين — عن يسار السلطان ؛ أما الأمراء أو الموظفون الأقل درجة ؛ فيكونون وقوفاً .

وحينئذ يجمع الدودار وأعوانه « الدوادارية » الشكاوى . فيقوم كاتم السر أو موقعو الدست — وهم رجال ديوان الإنشاء — بقراءتها واحدة واحدة ، أمام هذا الجمع الحاشد من كبار الموظفين . وعندئذ يراجع كل صاحب اختصاص من الحاضرين فى هذا المجلس هذه الشكاوى ، سواء أكان من كبار أصحاب الوظائف الديوانية أم الدينية أم أرباب السيوف . وكذلك قد يطلع السلطان على الشكاوى ، ويكتب عليها بخطه توجيهات معينة . أما مالم يتم فحصه ، فيرسل من جديد إلى ديوان الإنشاء لفحصه . فإذا انتهى المجلس ، كان يُقام فى دار العدل ذاتها سماط بهذه المناسبة .

وإذا كان نظر المظالم لا يرأسه السلطان ؛ فإنه فى الغالب يرأسه نائب السلطان ؛ حيث يكتفى السلطان بمجلس نائبه ، فلا يجلس هو . وحينئذ يكون مجلسه بدار النيابة فى الشبّاك ، الذى يُسمى أيضاً : شُباك دار النيابة ؛ لأنه يطل منه على المتظلمين ، الذين يقفون من وراء الشباك . وقد كان مجلسه يحضره أرباب الوظائف وغيرهم ، كما يكون الحال فى مجلس السلطان .

ولما ألغيت وظيفة النائب أحياناً ، كان حاجب الحجاب — وهو موظف

كبير فى البلاط يلى النائب — يقوم بنظر المظالم نيابة عن السلطان . وكان عمله فى المواكب فى أول الأمر ، فيمسك بعصا ويسير أمام الموكب ، وينظر فى المظالم[١] . كذلك قد يعقد مجلسه بحضور الأمراء وناظر الجيش وكاتب الجيش ، وحينئذ يكون نظره فى مخاصمات المماليك ومشاكلهم فى أمور الإقطاع [٢] . وبعد ذلك أصبح مجلس نظره ينظر فى كل جليل وحقير ، وكثر الحجاب من أتباعه ، الذين يصلون إلى عشرة[٣] . فأصبح مجلسه يتبكون من نقيب يجمع المتخاصمين ، كما أن بين يديه موقعين من موقعى الدست ، وهم كتّاب الإنشاء[٤] .

٧ — جلوس المولد النبوى

ظهرت له فى عهد الفاطميين رسوم دقيقة لم تُعرف قبلاً ؛ فكان يحتفل به فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول ، بحضور الخليفة الفاطمى[٥] . وفى عهد المماليك ، استمر الإحتفال به ، برسوم دقيقة كذلك بحضور السلطان . فكانت تُقام خيمة[٦] عظيمة ، لا نظير لها فى الدنيا ، فى مكان اسمه الحوش ؛ يعمل على نصبها ثلثمائة أو خمسمائة جمّال ونواتية[٧] ؛

(١) صبح ، ٥ ص ٤٥٠ .
(٢) الخطط ، ٣ ص ٣٥٦ .
(٣) المقصد ، ورقة ١١٢٦ .
(٤) الخطط ، ٣ ص ٣٥٧ س ٧ ، ٣٦٠ س ١٢ .
(٥) صبح ، ٣ ص ٥٠٢ — ٥٠٣ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١٢٢ — ١٢٣ .
(٦) ابن إياس ، ٣ ص ١٦ — ١٧ ، ١١٢ — ١١٣ . لواوين جمع ليوان ، وهى الإيوانات ، جمع الإيوان انظر . Dozy : Suppl, 2, p. 563 . هذه الخيمة يبعث الناس قلما فى عهد العثمانيين . ابن إياس ، ٣ ص ١١٢ .
(٧) النوتى هو الذى يرفع الأشياء ، وجمعها نوتية أو نواتية . أنظر . Dozy : Suppl, 2, p. 783 . لها معنى البحارة أيضاً .

وذلك على هيئة أربع قاعات كبرى بأعمدة « لواوين أو إيوانات » ، فوقها قبة بفتحات « قمريات » ، مقامة على أربعة أعمدة ، والحوائط جميعها من قماش بتقاصيص وفصوص ملونة وغريبة . فيجلس السلطان فى صدر الخيمة ، ومعه الخليفة ، وقضاة القضاة الأربعة ، وشيوخ العلم ، والوعاظ وهم المنشدون للقصائد النبوية(١) أو السيرة النبوية ، وأعيان الناس ، والأمراء ، وغيرهم(٢) من رجال الدولة « المباشرين »(٣) . ويقام لهذه المناسبة أحواض جلد ، مملوءة بالماء الحلو(٤) ؛ ليقدّم منها للوافدين دون تفرقة بين كبير وصغير ؛ فى أوانى الصينى وطاسات النحاس .

ويبدأ الحفل بعد العصر ، بقراءة القرآن ، وإنشاد المنشدين ، الذين يزيد عددهم على عشرين ، بقصائد وعظات مناسبة . ثم يصلون المغرب جماعة ؛ وبعد الصلاة تمد أسمطة الأطعمة الفائقة ، ثم أسمطة حلوى مولد النبي السكرية ؛ فتؤكل ؛ ويتخطفها الفقهاء . ثم يكمل إنشاد المنشدين ، وعند ثلث الليل ، تأتى طوائف الصوفية أو الفقراء(٥) ، طائفة بعد طائفة ،

---

(١) ابن عبد الظاهرى ، الألطاف ، ص ٦٢ – ٦٣ ؛ الخطط ، ٣ ص ٢٧٣ .

(٢) يبدو هذا من قول النص : إنشاد المنشدين ووعظهم . الخطط ، ٣ ص ٢٧٣ . وفى مكان آخر : يقول النص : الوعاظ ، دون ذكر المنشدين . ابن إياس ، ٣ ص ١٧ .

(٣) ابن إياس ، ٣ ص ١٧ .

(٤) نفسه .

(٥) من الفرق الصوفية الكثيرة نعرف : الكوزية نسبة إلى ابن ثابت المصرى (ت ٥٦٢ / ١١٦٧) ، الذى كان يعمل الكوز [النجوم (ط دار الكتب) ٥ ص ٣٦٧ – ٨ ؛ وفيات ٢ ص ٣٩١ ؛ انظر . كامل حسين ، بين القديم وأدب الصوفية بمصر ، فصلة من مجلة كلية الآداب ، الجزء الثانى ، المجلد ١٦ ، ديسمبر ١٩٥٤ ، ص ٥٣ وما بعدها] ، والرفاعية نسبة إلى أحمد الرفاعى (ت ٥٧٨/١١٨٣) [أبو الهدى الرفاعى ، تنوير الأبصار ، القاهرة ١٣٠٦ هـ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art al-Rifâ'i) Rifâ'i [t3, p.1236-7 ، والشاذلية نسبة إلى على الشاذلى التونسى (ت ٦٥١ / ١٢٥٣) ، التى حل لواءها ابن العباس المصرى (ت ٦٨٦/١٢٨٧) ، وابن عطا السكندرى ، [انظر . Ency (art al-Shâdhili) t4, 256; (art Shâdhilîya) t4 , p. 2569-

لكل منها شعارها وأعلامها ، حيث كثرت فرقها فى مصر فى عهد المماليك ، الذين شجعوا التصوف . وكانت طوائف المتصوفة تقوم بالذكر ، الذى يصحبه التغنى بحب الله ، أو الموسيقى ، أو حركات الجسم ؛ مما يُفضى بهم إلى الرقص أو السماع[1] ؛ حيث يستمر ذلك بقية الليل . وتكون المجامر والألوية الكثيرة موضوعة بين أيديهم . وفى هذه المناسبة ، يعطى المنشدين صرر المال ، ويُغدق على المقربين للسلطان ورجال الصوفية بالملابس والأنعام[2] ، كما يمنح الأمراء الموجودون المنشدين شقق الحرير . كذلك تكثر البدع بشكل لم يُعرف من قبل ، وأحيط المولد بمظاهر معروفة من المخالفات ، لا تزال بقاياها توجد حتى الآن ؛ حتى أنه فى أيام المماليك كانت تصدر أوامر كثيرة بإلغاء هذه المخالفات[3] .

الأعياد الخاصة ونذكر منها :

١ — أعياد المماليك

كان المماليك يحبون الإستمتاع بالحياة ، وخصوصاً أن مصر بغناها

= والأحمدية نسبة إلى أحمد البدوى (ت ٦٧٥ / ١٢٧٦) [الخفاجى ، النفحات الأحمدية والجواهر الصمدانية ، القاهرة ١٣٢١ هـ ؛ انظر .

Ency. (art Ahmed al-Badawi) tt, p. 196-9.

والنقشبندية الذين ينتسبون إلى بهاء الدين نقشبند (ت ٧٩١ / ١٣٨٩) ، أو لأنهم كانوا يضعون النقش فى جسمهم أو من النقش الأبدى [عبد المجيد الخانى ، الحدائق الوردية فى حقائق أجلاء النقشبندية ، القاهرة ١٣٠٦ هـ ؛ انظر .Ency. (art Nakshband) t3, p, 899-900] . بالسوم ، انظر . Ency. (art. Tarika) t4, p. 700-705; ماجد ، الحضارة الإسلامية ، ص ١٨٦ — ١٨٧ .

(١) الخطط ، ٣ ص ٣٢٣ س ١٠ .

(٢) ابن إياس ، ٣ ص ١١٢ .

(٣) مثل إلغاء رقص الصوفية فى عام ٨٥٢ / ١٤٤٨ . السخاوى ، التبر المسبوك ، بولاق ١٨٩٦ ، ص ٢٢٠ .

وثروتها جعلت نفوسهم تميل نحو الإبتهاج بالحياة ؛ ولذلك أقبلوا على الملاهى ، وأحاطوا أنفسهم بأربابها[١] . ويبدو تشجيعهم للملاهى من المال الكثير الذى كانوا يحصلون عليه من ضريبة : « ضمان المغانى » ، التى فرضوها على رجال ونساء ، يؤدونها فى كل سنة إلى الخزانة الشريفة[٢] . ومع ذلك ؛ فقد وجد بعض السلاطين الأتقياء ، الذين كرهوا حياة الملاهى ؛ وإن كان هؤلاء قلة .

فكانت مجالس الغناء تُقام فى قاعات خاصة بالقصر ، مثل : قاعة الدهيشة[٣] ، التى عمّرها السلطان الملك الصالح إسماعيل فى ٧٤٥/١٣٤٤ ، وصرف عليها مبالغ طائلة ، وكانت من الحجر الأبيض والأحمر والرخام ، وحُملت لها البسط والفرش وغيرهما . ولقد اشتهر بعض المغنيات والمغنين فى عصر المماليك بجمال الصوت وحُسن الأداء ، مثل : إبراهيم بن باباى ، وعطعط ، والبلبيل[٤] ، وهذا الأخير ربما سُمى هكذا بسبب صوته الجميل ، ونال من أحد السلاطين فى إحدى حفلات الختان ألف دينار . بل وكانت للمغنين رواتب من قبل الدولة ؛ عُرفت : برواتب الأغانى[٥] . كذلك كان بعض السلاطين أنفسهم يحسنون العزف ؛ فالسلطان شيخ[٦] ، كان يُحسن أداء الموسيقى . ومن ناحية أخرى ، شجع المماليك الموسيقى العسكرية ؛ فكانت تدق

---

(١) ابن إياس ، ١ ص ٣٠٩ س ٢٦ .

(٢) نفسه ، ١ ص ٢٣٠ س ٢١ — ٢٢ .

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٤٤ .

(٤) المنهل الصافى ، ص ٤٧ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٤٣ [آخر سطر] ؛ ابن إياس ، ١ ص ٢١٠ س ٢ ، ٣ ص ٦ س ٢٣ .

(٥) الخطط ، ٤ ص ١٢٤ س ٢٥ — ٢٦ .

(٦) النجوم (P) ، ٦ ص ٤٢٨ س ١٢ .

فى أنحاء القصر بنظام خاص ، وهو ما عُرف بنوبة خاتون ؛ وهم جماعة يدقون الموسيقى ، يرأسهم أمير فى يده عصا[1] .

كذلك استمتع المماليك بالرقص ، وجلبوا الراقصات من اليهوديات والأرمن ، وضموهن إلى الحاشية ؛ فنسمع عن راقصة خاصة لزوجة طومان باى[2] . ويبدو أن الرقص فى قصور المماليك لم يقتصر على الرقص المفرد ، وإنما كان أيضاً جماعياً ، ربما فى الحفلات الرسمية ؛ إذ يصف ابن خلدون بعض الراقصات اللاتى كانت لهن تماثيل خيل من الخشب « الكُرّج »[3] ، معلقة بأطراف يلبسنها الراقصات ؛ ليحاكين بها امتطاء الخيل والكرو والفر ويظهر أنه كان للمماليك رقص فولكلورى — أى إقليمى — فنسمع بأن الخاصكية — وهى حاشية السلطان — قامت بالرقص[4] فى إحدى حفلات السلطان . كما ظهر فى قصور المماليك ما عُرف بالمساخر[5] « Clowns » ؛ لإضحاك النظارة . وكذا الحواة الذين يلعبون بالسحر[6] ، وهؤلاء كثروا فى مصر ، ولعلهم هم من عُرفوا بأهل الملاعب .

وكان المماليك بطبيعتهم يحبون الشراب . فقد كانوا على

---

(١) أنظر . Quat : Sult. Maml, I, p. 139 n. (18).

(٢) ابن إياس ، ٣ ص ١١٨ س ١٩ — ٢٠ .

(٣) المقدمة ، ص ٣٢٩ . الكرج كلمة فارسية . أنظر . ماجد ، الحضارة الإسلامية ، ص ١٢٧ — ١٢٨ ؛ Dozy : Suppl 2, p. 453.

(٤) المقريزى ، ٣ ص ٣٤٣ .

(٥) السلوك ، ١/٢ ص ٢٩٤ س ٨ ؛ انظر . Dozy : Suppl. I, p. 637-8 جمع مسخرة ، وهو الشخص الذى تسخر الناس منه .

(٦) الخطط ، ٤ ص ١٢٢ — ١٢٣ ؛ ابن إياس ، ١ ص ٣١٠ س ١ .

رأسهم السلطان يجتمعون لشرب أنواع من الخمور ، مثل : القِـمِـز
أو القراقز(١) ، وهو لبن الفرس الحمض ؛ حيث عرفوا شربه فى موطنهم
الأصلى ، والبوظة أو البُـوزة(٢) ، التى هى مصنوعة من الدقيق أو التمر
أو غير ذلك ، حيث عرفوا شربها من مصر . ولعل السلطان فرج
ابن برقوق ، هو أول من دعا أمراء المماليك إلى شرب القمز معه
فى ١٣٨٩/٧٩١ ؛ بحيث أصبح شربه من جملة شعائر المملكة . فكان تعد
فى الميدان ، الذى تحت القلعة ، خيمة كبيرة مدورة ، وعدة صواوين ؛
فيجتمع فيها أمراء المماليك ، وهم فى مراتبهم ، والسقاة يسقونهم إياه فى
الزبادى الصينى . ومع ذلك ؛ فإن المماليك كانوا يمتنعون عن الشراب
فى رمضان ، حتى أنه لما سُمع بأن بعض المماليك شربوا فى رمضان
ضُربوا ، وشهّر بهم ، وسجنوا(٣) .

وإذا رزق السلطان بولد ذكر من إحدى زوجاته ؛ فإن ذلك يكون
مناسبة لحفلات . فتدق البشائر — أى تعلن بدق الطبول — بالقلعة ،
وينعم على الأمراء بالخلع . وفى يوم السبوع تُدعى سائر الخوندات(٤)
— وهن زوجات السلطان — ونساء الأعيان للاحتفال به . كذلك
يحتفل بختان ابن السلطان بأبهة ؛ فتقام مهرجانات مدة سبعة أيام :
فالسلطان بيبرس(٥) لما ختن ولده ، استمرت الاحتفالات أسبوعاً .

---

(١) ابن إياس ، ١ ص ١ ص ٢٦٩ . عن هذه الكلمة ، انظر . Dozy :
Suppl, 2, p. 405 ؛ ماجد ، نظم المماليك ، ١ ص ١١٧ .

(٢) نفسه ، ١ ص ٣٠٩ — ٣١٠ . عن هذه الكلمة ، انظر . Ibid, I, p.127 ؛
نفس مرجع النظم ، انظر .

(٣) ابن إياس ، ٢ ص ٢٦٥ س ٩ — ١٠ .

(٤) السلوك ، ٢ ص ٧٦٤ .

(٥) ابن إياس ، ١ ص ١٠٣ — ١٠٤ ، ٢٣٠ .

ورسم للأمراء والجند وبقية الرعية أن كل من كان له ولد، فليطلع به إلى القلعة حتى يختتن مع ولده . فأحضر الناس أولادهم فبلغ عددهم نحو ألف وستمائة وخمسة وأربعين ولداً غير أولاد الأمراء والأعيان، الذين رسم لكل واحد منهم بكسوة على قدر مقام أبيه — وقد يمنح الأمراء مبلغاً من المال فى هذه المناسبة — أما أولاد الرعية فرسم لكل واحد منهم بكسوة ومائة درهم ورأس غنم . وفى أثناء الختان، قد تقام حفلة خاصة ترقص فيها الخاصكية(١) — الحاشية — وينثر الخزندارية — القائمون بشئون المال الخاص — أكياس الذهب، على كل من قام بالرقص حتى فرغ الختان، كما قد يغنى مشاهير المغنيين . ثم يقام سماط — وليمة — كبير، ذبح فى واحد منه : ثلاثة آلاف رأس غنم، وستمائة رأس من البقر، ومن الخيل غير الأصيلة خمسمائة «أكديش(٢)» .

وكانت تفرّق أموال على من يباشر الختان من المتخصصين «الحكماء» والمزينين(٣) .

أما حفلات زواج بنت السلطان، فلدينا بعض الروايات القليلة، وكانت مجالاً لمهرجانات تستمر أياماً . وهناك تقاليد ازفافها : فهى تنزل من القلعة إلى دار زوجها، وقد حملت إليه فى محفة(٤)، كما يقدّم المطبخ السلطانى فى هذه المناسبة ولائم باهرة .

وإذا خرج السلطان للنزهة، فإن والى القاهرة ينتهز المناسبة لإقامة

---

(١) الخطط، ٣ص ٣٤٣ — ٣٤٤ .

(٢) عن هذه الكلمة، انظر . Dozy : Suppl, 2, p. 449.

(٣) الخطط، ٣ ص ١٨٢ س ٤ . الحكيم هو الطبيب .

(٤) ابن إياس، ٢ ص ٤٣ س ١٩ — ٢١ .

المهرجانات : فيطلق النفط أو يشعل قنابل بالزيت فى قشور البيض ، ثم تُطلق على وجه الماء (١)؛ لتكون أسرجة موقدة على وجه النيل(٢) .

وكان السلطان يقيم الولائم « الأسمطة » ؛ إذا تم بناء شيء(٣) ؛ مثلما فعل السلطان الناصر محمد عند الإنتهاء من بناء القصر الذى سُمى : الأبلق فى ٧١٤/١٣١٤—١٥ ؛ فدعا الأمراء وأهل الدولة ؛ وحُمل إلى كل أمير من الأمراء الكبار الدنانير .

وأخيراً ، كان السلطان يستمتع بمشاهدة الذكر والرقص فى الخوانق (٤)، التى هى أماكن العكوف للمتصوفين كما أن رجال الصوفية كان لهم عادة أن يحضروا عند السلطان فى كل يوم من ثلاثة اشهر لقراءة البخارى . وكذلك كان السلاطين يشاركون بالاحتفال بمولد أولياء الله، مثل مولد السيد البدوى(٥). فقد كان السلاطين المماليك يميلون إلى التدين؛ بحكم أنهم رؤساء أكبر دولة إسلامية ، حتى أن الواحد منهم كان يتسمى بالإمام .

٢ ـ أعياد قبطية.

أوجدتها تقاليد قبطية ؛ فقد كانت مصر تحتفل بأعياد القبط منذ أن ظهرت فيها دول إسلامية ؛ واستمر ذلك إلى وقت المماليك : فكان حكام

---

(١) الخطط ، ٤ ص ١١٦ س ٤ .

(٢) العينى ، عقد الجمان ، حوادث سنة ٨٢١ هـ ؛ انظر . عاشور ، دولة المماليك ، ص ١٢٩ .

(٣) ابن إياس ، ١ ص ٢٣٠ .

(٤) المقصد ، ورقة ١٣١ ؛ انظر . Massignon : Lexique de la mystique, musulmane. Paris, 1922, p. 85 Suiv.

(٥) ابن إياس ، ٢ ص ٣٠ .

مصر الإسلامية يقيمون اعتباراً لموظفيهم المسيحيين الذين يملأون الدواوين، ويشاركونهم السرور بحضور أعيادهم، بإطلاق الدولة للمأكولات والأموال والملابس ليكون الابتهاج عاماً ؛ وإن كان لهذا التسامح رد فعل عند المتعصبين من السلاطين ، الذين كثيراً ما عمدوا إلى إلغائها . فمن هذه الأعياد القبطية العامة ، نذكر :

عيد رأس السنة القبطية أو النوروز[1] (أو النيروز).

يقع هذا العيد فى أول السنة الشمسية ، فى مستهل شهر توت أى العاشر أو الحادى عشر من شهر سبتمبر . فهو عيد معروف عند معظم الشعوب القديمة كالمصريين والبابليين وخصوصاً الفرس[2] ، الذين جعلوه اليوم الجديد « نوروز آمد » ، من شهر « فرافردين » فى التقويم الإيرانى ؛ ومن هنا ظهرت كلمة نوروز ، وأصبحت تدل على أول العام عند القبط .

وكان النوروز من أعياد العباسيين ، وكذا الفاطميين[3] والمماليك ، ووصف فى عهد هؤلاء على أنه من أجل المواسم بالديار المصرية . فكانت الدولة تحتفل به رسمياً ، ويشترك فيه السلطان نفسه أحياناً ؛ فتتعطل الأسواق ، ويجتمع الناس فى الحارات ، ويتراشون بالماء والبيض ، ويرجمون بها المارين ولو كانوا من كبار القوم ، ويشربون الخمر ، حتى ينسى الناس أنفسهم ؛ كما كانت ضفاف النيل تدرّج بالمشاعل . وكان لهذا العيد أمير

---

(١) نفسه ، ١ ص ٢٦٣ — ٢٦٤ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art Nauruz) 3, p. 333 sqq.

(٢) انظر . Christensen : L'Iran sous les Sassanides, p. 106 sqq.

(٣) بتفصيل ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ، ١ ص ١٣٢ — ١٣٣ .

خاص اسمه أمير النوروز ، يخرج فى جمع كبير من الناس ، فيقف على أبواب الأكابر ، ويجمع منهم المال للإحتفال بالعيد . وفوق ذلك ، كانت الدولة تطلق إلى كبار الموظفين مثلما كان الحال فى أيام الفاطميين أصناف الفواكه والحلوى والمأكولات . ولكن برقوق فى سنة ٧٨٧ / ١٣٨٥ ، منع الإحتفال بالنوروز ، وهدد بالشنق من يتراش بالماء ، وضرب الناس بالمقارع ، وكذا منع الناس من الوقوف بدور الأكابر ، وقطعوا أيدى البعض ؛ حتى أنه لم يعد يُفعل فى الأماكن العامة .

عيد الميلاد(١)

كان القبط يحتفلون بذكرى ميلاد المسيح ، يوم الأثنين فى التاسع والعشرين من شهر كيهك (السابع من يناير) ، ولا يزال هذا العيد من أهم أعيادهم ؛ وجرى العرف عند القبط والمسلمين على السواء أن يُظهروا ابتهاجهم بذلك اليوم . وكان هذا العيد موسماً لبيع الشموع الملونة والفوانيس والقناديل ، والتماثيل الدقيقه ، التى يُقبل الناس جميعاً على شرائها لأولادهم ؛ بحيث أن شمعة بلغ ثمنها ألفاً وخمسمائة درهم فضة . وفى أيام المماليك ، لم نعد نسمع بأن الدولة تشارك فيه بإطلاق أصناف الحلوى ، كما كان الحال فى أيام الفاطميين(٢) ؛ ولا سيما الحلوى المسماة القاهرية ، وإن كان أعيان المسلمين والأمراء يكرون المراكب ، ويوقدون الشموع والقناديل ، ويشترون الفوانيس . وقد ألغى الإحتفال به بالنسبة للمسلمين فى عام ٧٥٩/١٣٥٨ ، ولم يُعمل بعد ذلك فى عهد المماليك ؛ وإن بقى يُعمل فى أوساط المسيحيين حتى وقتنا .

---

(١) الخطط ، ٢ ص ٢٥ — ٢٦ ،

(٢) بتفصيل ، انظر ، ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١٣٣ — ١٣٤ .

عيد الشهداء[1] .

يحتفل به القبط في اليوم الثامن من بشنس ، أحد شهور القبط ، ويزعمون أن النيل بمصر لا يزيد ؛ إلا إذا أظهروا صندوقاً من خشب ، به أصبع من أصابع أسلافهم الموتى ، ليغسلوه في النيل . فكان الناس من الفلاحين نصارى ومسلمين من جميع القرى ، يخرجون على إختلاف طبقاتهم ، وينصبون الخيام على شطوط النيل . أما أهل مصر والقاهرة ؛ فيجتمع أعيانهم وصعاليكهم في شبرا من ضواحي القاهرة وقتئذ على شاطئ النيل ، ويتمتعون بكل ما يبهج ، فيركبون الخيل ويلعبون عليها ، كما يخرج كل صاحب لهو ، وحتى البغي والمخنث ، ويشربون الخمر ؛ وكذا يركب أمراء المماليك وغيرهم في النيل ، حتى يسدوا البحر ؛ وقد أوقدوا الشمع والقناديل في الليل . وقد ألغى السلطان الناصر محمد الإحتفال بهذا العيد في عام ١٣٠٢/٧٠٢ ، في كل أرجاء مصر ، وأرسل أمره بعد ذلك على البريد ، وإعلان المنع للمسلمين والنصارى . ومع ذلك ؛ فقد عاد الإحتفال به ؛ وإن ألغى ثانية في ١٣٥٨/٧٥٩ ، وأحرق الأصبع ، ولم يحتفل بهذا العيد بعد ذلك .

---

(١) ابن إياس ، ١ ص ٢٠٦ — ٢٠٧ ؛ الخطط ، ١ ص ١١٠ — ١١٢ .

الخـــاتمة

إن مصر التى أصبحت قاعدة لامبراطورية المماليك الواسعة ؛ فإن نظمها السياسية فى عهدهم ؛ ورثتها عن الدول الإسلامية فى مصر قبلها ، ولا سيما عن الفاطميين ، الذين كانوا قبلهم قد اتخذوا مصر قاعدة لهم . وأيضاً عن النظم التى استوردها المماليك من موطنهم الأصلى ؛ فهم فى أغلبهم من الترك غرباء عن شعوب منطقة الشرق الأوسط . ثم إنها تطورت تطوراً كبيراً على أيديهم ؛ بحيث تعقدت تعقداً كبيراً ؛ ويمكن تمييزها عن أية نظم سابقة عليهم فى مصر ، أو نظم أى دولة إسلامية أخرى معاصرة لهم .

وكان لإنتقال الخلافة العباسية السنية إلى مصر فى أيام المماليك ، بعد سقوطها فى بغداد على أيدى المغول ؛ أثره العميق فى نظم مصر الإسلامية فى أيامهم ؛ إذ صُبغت هذه النظم بصبغة سنية ظاهرة . حقاً إن مصر كانت قبلهم سنية ؛ فيما عدا أيام الفاطميين الشيعة ، إلا أنها لم تكن مركزاً للخلافة السنية إلا فى أيام المماليك .

وعلى الرغم من أن المماليك أصلهم متواضع ؛ فإنهم يدهشون بذخهم وترفهم : فقد حولتهم مصر الغنية ، واستعداد الشعب المصرى المرح ؛ إلى ملوك ألف ليلة وليلة . فعرفت مصر فى عهدهم بيذخ وترف، يفوق ما كان معروفاً من قبل فى بلاط الفراعنة والبطالمة والطولونيين والإخشيديين والفاطميين . لذلك كان تنظيم بلاط المماليك انقلاباً فى حياة البلاط المصرى ؛ بحيث تعددت رسومه ونظمه بشكل لم يُعرف قبلاً .

هذه النظم والرسوم ، التى وجدت فى عهد المماليك ، كانت الأخيرة بالنسبة لنظم ورسوم مصر الإسلامية فى العصور الوسطى . فمصر بعد المماليك أضحت مستعمرة للعثمانيين ، ومن بعدهم للإنجليز ؛ مما أفقد مصر طابعها التنظيمى الإسلامى المحض .

جدول المصادر والمراجع

(ا) مصادر مخطوطة عربية

ابن أرنبغا الوردكاش (٨٦٧/١٤٦٣) ، الأنيق فى المجانيق ، مخطوطة بدار الكتب ، برقم ٧٥ فنون حربية .

ابن أيبك ، كنز الدرر وجامع الغرر ، مخطوط بدار الكتب ، برقم ٢٠٧٨ تاريخ ، وطبعت منه أجزاء ، منها : الجزء التاسع ، وهو بعنوان : الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر ، تحقيق Roemer ، Hanz ، القاهرة ١٩٦٠ .

ابن بسام (٥٤٢ /١١٤٧) ، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، مخطوطة بدار الكتب ، فهرس الخزانة التيمورية ، برقم ٢٥ اجتماع ، ولها مختصر من بيار كيك ، بعنوان : نخبة من كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة لابن بسام ، مجلة المشرق ، العدد الثامن ، آب ، ١٩٠٨ : السنة ١١ ، المجلد ١١ .

بكتوت الرماح (ت ٧١١/١٣١١) ، نهاية السؤل والأمنية فى تعلم أعمال الفروسية ، مخطوطة بالمتحف البريطانى (B. M.) ، برقم ٣٦٣١ ، وبالمكتبة الأهلية (B. N.) ، برقم ٢٨٢٨ .

بيبرس الدودار (ت ٧٢٥/١٣٢٥) ، زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ، مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة ، برقم ٢٤٠٢٨ .

تينبغا اليونيني (٧٧٠/١٣٦٨) ، الرامى والركوب ، مخطوطة بالمكتبة الأهلية (B. N.) ، برقم ٦١٦٠ .

، الجهاد والفروسية وفنون الآداب الحربية ، مخطوطة بدار الكتب ، برقم ٣٠ فنون حربية .

ابن الجزرى (ت ١٣٣٨/٧٣٩) ، جواهر السلوك فى الخلفاء والملوك ، تكملة لمرآة الزمان لسبط الجوزى ، مخطوطة بالمكتبة الأهلية (B. N.) ، برقم ٦٧٣٩ .

ابن حبيب (ت١٣٧٧/٧٧٩) ، درة الأسلاك فى دولة الأتراك ، مخطوطة بالمكتبة الأهلية (B.N.) ، برقم ٤٦٨٠ أو ١٧١٩ ؛ أما مانشره منها Weyers ، فى Orientalia ، فهو مقتبسات .

ابن حجر (ت ١٤٤٩/٨٥٢) ، أنباء الغمر بأبناء العمر ، مخطوطة بدار الكتب ، برقم ٢٤٧٦ تاريخ ؛ فى جزءين ، وبالمكتبة الأهلية (B.N) ، برقم ١٦٠١ و ١٦٠٢ .

، إتحاف أخوان الصفا بنبذ من أخبار الخلفاء ، نسخة مخطوطة بدار الكتب ، برقم ٢٧٩ تاريخ .

، رفع الإصر عن قضاة مصر ، مخطوطة بدار الكتب ، برقم ١٠٥ تاريخ ، وقد حققت حديثاً على يد حامد ، القاهرة ١٩٦١ .

حجة وقف السلطان الأشرف برسباى سنة ١٤٢٤/٨٢٧ ، مخطوطة بدار الكتب .

حسام الدين لاجين (١٣٧٩/٧٨١) ، عمدة المجاهدين فى ترتيب الميادين ،

وكتاب فى لعب الدبوس ، مخطوطة بالمكتبة الأهلية (B. N)، برقم ٦٦٠٤ .

الخالدى (ت ٩٣٧/١٥٣٠ — ١٥٣١) ، كتاب المقصد الرفيع المنشأ الهادى إلى صناعة الإنشاء ، مخطوطة بالمكتبة الأهلية (B.N.) ، برقم ٤٤٣٩ .

ابن دقماق (ت ٨٠٩/١٤٠٦) ، الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ، برقم ١٥٢٢ تاريخ ، وبالمكتبة الأهلية (B.N.) ، برقم ٥٧٦٢ .

الذهبى (ت ٧٤٨/١٣٤٧ — ١٣٤٨) ، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، مخطوطة بدار الكتب ، برقم ٤٢ تاريخ .

رسائل ، مخطوطة بالمكتبة الأهلية (B. N.) ، برقم ٤٤٤٠ ، من غير عنوان .

الشعرانى (ت ٩٧٣/١٥٦٥) ، ذيل لواقح الأنوار القدسية فى طبقات العلماء الصوفية ، مخطوطة بدار الكتب ، برقم ٤٩٣ تاريخ .

شهاب الدين محمود الحلبى (ت ٧٢٥/١٣٢٥) ، حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، مخطوطة بالمكتبة الأهلية (B.N.) ، برقم ٤٤٣٦ .

عماد الدين اليوسفى المصرى (ت ٧٥٩/١٣٥٨) ، كشف الكروب فى معرفة الحروب ، مخطوطة بدار الكتب ، برقم ٢١٠ فنون حربية .

العمرى (ت٧٤٩/١٣٤٦) ، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، بالمكتبة الأهلية (.B. N) ، برقم ٢٢٢٥ و ٥٨٦٧ و ٥٨٦٨ ، وبدار الكتب ، برقم ٢٥٦٨ ، وقد نشر أحمد زكى باشا جزءاً منه ، القاهرة ١٩٢٤ .

العينى (ت ٨٥٥/١٤٥١) ، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، مخطوطة مصورة بدار الكتب ، برقم ١٥٨٤ ، ومنها جزء نشر فى R. H. C.H. or ، الجزء الثانى ، القسم الأول .

أبو الفرج البصرى (فى أيام بيبرس) ، المناقب العباسية والمفاخر المستنصرية ، مخطوطة بالمكتبة الأهليــة (.B. N) ، برقم ٦١٢٤ .

ابن قاضى شهبة (ت ٨٥١/١٤٤٧ — ١٤٤٨) ، الذيل على تاريخ الإسلام للذهبى ، مخطوطة بالمكتبة الأهلية (.B. N) ، برقم ١٥٩٨ — ١٥٩٩ ، فى جزءين .

ابن ماجد ، كتاب الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد ، مخطوطة بالمكتبة الأهلية (B. N) ، برقم ٢٢٩٢ .

محمد بن قاسم النويرى (ت ٧٧٥/١٣٧٣) ، الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية ، مخطوطة بدار الكتب ، برقم ١٤٤٩ تاريخ .

محمد بن منكلى المصرى (٧٧٨/١٣٧٦) ، التدبيرات السلطانية فى سياسة

الصنائع الحربية ، مخطوطة بالمكتبة التيمورية ، برقم ٢٣ .

المقريزى (ت ٨٤٥/١٤٤٢) ، السلوك فى معرفة دول الملوك ، مخطوطة بدار الكتب ، الجزء الثالث ، برقم ٤٥٥ ، والجزء الرابع ، برقم ٢٣٣٧ .

النويرى (شهاب الدين) (ت ٧٣٢/١٣٣٢) ، نهاية الأرب ، مخطوطة بدار الكتب ، برقم ٥٤٩ ، معارف عامة ، أجزاء ٢٩ و٣٠ و٣١ ، كما طبعت منها أجزاء ١ — ١٢ ، القاهرة ١٩٢٨ — ١٩٣٨ ، وظهرت الطبعة الثانية .

(ب) مصادر ومراجع وترجمات عربية مطبوعة

أحمد تيمور باشا ، خيال الظل واللعب والتماثيل المصورة عند العرب ، القاهرة ١٩٥٧ .

، الرتب والألقاب المصرية لرجال الجيش والهيئات العلمية والقلميه ، القاهرة .

ابن الأخوة ، معالم القربة فى أخبار الحسبة ، تحقيق Rouben Levi [أنظر . Gibb-Memorial, New Series. Vol XIII] ط Cambridge ، ١٩٣٨ ،

أنستاس الكرملى ، النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة ١٩٣٩ .

، ألقاب الشرف والتنظيم عند العرب ، بحث فى مجلة الرسالة ، العدد ٤١١ ، ١٩ مايو ١٩٤١ .

أنور زقلة ، المماليك فى مصر ، القاهرة ١٩٣٠ .

ابن إياس ، تاريخ مصر المشهور ببدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ط . بولاق ١٣١١ ، فى ٣ أجزاء ، ونشر Kahle ومصطفى للأجزاء ٣ و ٤ و ٥ ، بعنوان Die Chrönik ، ط . Istanbûl ، ١٩٣١ — ١٩٣٦ ، ثم نشر مصطفى للأجزاء ٤ و ٥ ، القاهرة ١٩٦٠ — ١٩٦١ ، وترجمة مختصرة من Wiet ، بعنوان :
Journal d'un bourgeois du Caire. Chronique d'Ibn Iyas. Paris, 1945.

الباز العرينى ، الإقطاع الحربى بمصر زمن سلاطين المماليك ، مصر ١٩٥٦ .

، الإقطاع فى الشرق الأوسط منذ القرن السابع ، حتى القرن الثالث عشر الميلادى ، دراسة مقارنة ، حوليات كلية الآداب ، المجلد الرابع ، يناير ١٩٥٧ ،

باول كاله (Kahlè) ، منارة الإسكندرية القديمة فى خيال الظل المصرى ، وهى مجموعة من الأزجال ، نشر وترجمة ومقدمة ، ط . Stuttgart ، ١٩٣٠ .

ابن بطوطة ، رحلة ، فى جزءين ، ط ٢ ، مصر ١٣٢٢ هـ .

ابن تغرى بردى (أبو المحاسن) ، مورد اللطافة ، تحقيق Carlyle ، ط . Cantabrigiae ، ١٧٩٢ .

، النجوم الزاهرة ، دار الكتب ، ط . ٢ ؛ وتحقيق

Popper ، ط Berkeley ، ١٩٠٩ – ١٩٢٨ ، وقد ترجم الجزء الخاص بالمماليك .

، منتخبات من حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور — حوادث — تحقيق Popper ، ط . California ، فى ٤ أجزاء ، ١٩٣٠ — ١٩٣١ .

، المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، تحقيق يوسف نجاتى ، الجزء الأول ، دار الكتب ١٣٧٥/١٩٥٦ ، وله ملخص بالفرنسية من Wiet ، بعنوان :

Les Biographies du Manhal Safi. 1932,

توفيق إسكندر ، نظام المقايضة فى تجارة مصر الخارجية ، فى مجلة الجمعية التاريخية للدراسات الإسلامية ، ١٩٥٧ .

ابن تيمية ، الحسبة فى الإسلام ، مصر ١٣١٨ هـ .

، رسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان فى مدح الترك .

ابن جبير ، رحلة ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة .

جمال سرور ، الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره ، القاهرة ١٩٣٨ .

، دولة بنى قلاوون فى مصر ، القاهرة ١٩٤٧ .

ابن الجيعان ، القول المستطرف فى سفر مولانا الملك الأشرف ، تحقيق Lanzone ، ط Torino ، ١٨٧٨ .

، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، نشر Moritz ، القاهرة ١٣١٦/١٨٩٨ .

ابن الحاج ، المدخل ، مدخل الشرع الشريف على المذهب ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٩٢٩ .

حاجى خليفة ، كشف الظنون ، ط ١ ، در سعادة ١٣١١ .

ابن حجر ، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، فى ٤ أجزاء ، حيدر أباد ١٣٤٨ — ١٣٥٠ﻫ .

حسان سعداوى ، نظام البريد فى الدولة الإسلامية ، القاهرة .

حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٥٧ .

حسين مجيب المصرى ، تاريخ الأدب التركى ، القاهرة ١٩٥١ .

ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بولاق ١٢٨٤ﻫ .

خليل الظاهرى ، زبدة كشف الممالك ، تحقيق Ravaisse ، ط . Paris ، ١٨٩٤ .

دراج ، رسالتان متبادلتان بين سلطان مالوه والأشرف قايتباى ، فصله من مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، شوال ١٣٧٧ / مايو ١٩٥٥ .

، جم سلطان والدبلوماسية الدولية ، مقال فى المجلة التاريخية المصرية ، ١٩٥٩ .

، المماليك والفرنج ، فى القرن التاسع الهجرى ، القاهرة ١٩٦٠ .

ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، بولاق ١٨٩٣ ، الجزءان الرابع والخامس .

ابن دنيال ، خيال الظل ، حققه حماده ، القاهرة ١٩٦٣ .

الرازى (أبو حاتم) ، الزينة فى المصطلحات الإسلامية العربية ، الجزء الأول ، تحقيق الهمدانى ، القاهرة ١٩٥٦ .

رشدى صالح ، مسرح خيال الظل فى العالم الإسلامى ، المجلة ، عدد ٣٣ ، سبتمبر ١٩٥٩ ، ص ٢٥ وما بعدها .

الرمزى (وهو بلغارى) ، تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار فى وقائع قازان وبلغار وملوك التتار ، المجلد الأول ، بلدة أورنبورخ .

زامباور ، معجم الانساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ، ترجمة زكى حسن وحسن محمود ، فى جزءين ، القاهرة ١٩٥٢ .

ابن زنبل ، آخر المماليك ، نشره عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٦٢ .

سالم ، الإسكندرية من الفتح الفاطمى حتى الفتح العثمانى ، مقال فى الكتاب الذى أصدرته محافظة الإسكندرية فى عام ١٩٦٣ ، صفحات ٢٩ — ٢٢٦ .

سبط الجوزى ، مرآة الزمان ، الهند ١٣٥١ هـ .

السبكى ، معيد النعم ، ومبيد النقم ، تحقيق Myhrman ، ط London ، ١٩٠٨ .

، طبقات الشافعية الكبرى ، ٦ أجزاء ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .

سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، إلى دعاة اليمن وغيرهم ، قدس الله أرواح جميع المؤمنين (وهى المعروفة بالسجلات المستنصرية) ، تقديم وتحقيق ماجد ، القاهرة ١٩٥٤ .

السخاوى ، كتاب التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، بولاق ١٨٩٦ .

، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ١٢ جزءاً ، القاهرة ١٣٥٣هـ .

سعد زغلول ، الترك والمجتمعات التركية ، فصله من مجلة كلية آداب الاسكندرية .

سفير غرناطى ، سفارة سياسية من غرناطة إلى القاهرة فى القرن التاسع الهجرى ، تحقيق عبد العزيز الأهوانى ، فصلة من مجلة كلية الآداب ، المجلد السادس عشر ، الجزء الأول ، مايو ١٩٥٤ .

السيوطى ، حسن المحاضرة ، فى جزءين ، القاهرة ١٣٢٧ هـ .

، لب الألباب ، تحقيق Veth ، ط . Leyde ، ١٨٤٠ .

، تاريخ الملك الأشرف قايتباى ، تحقيق Wahrmund ، ط . Wien ، ١٨٨٤ .

، تاريخ الخلفاء ، أمراء المؤمنين القائمين بأمر الله ، القاهرة ١٣٢٣/١٩٠٥ .

ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات ، فى جزءين ، بولاق ١٨٨١ م .

أبو شامة ، الروضتين فى أخبار الدولتين ، فى جزءين ، القاهرة ١٢٨٧ هـ .

، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف بالذيل على الروضتين ، نشره عزت العطار ، القاهرة ١٣٦٦/١٩٤٧ .

ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك (زبدة) ، تحقيق Ravaisse ، ط . Paris ، ١٨٩١ .

الشيال ، الإسكندرية فى العصرين الأيوبى والمملوكى ، مقال فى كتاب غرفة الإسكندرية التجارية ، ١٩٤٩ .

صالح بن يحيى ، تاريخ بيروت ، بيروت ١٩٢٧ .

ابن صاعد ، طبقات الأمم ، تحقيق شيخو ، بيروت .

الصفدى النابلسى ، كتاب تاريخ الفيوم ، تحقيق Moritz ، القاهرة ١٨٩٩ ، فى مجموعة المكتبة الخديوية ، الجزء ١١ .

طرخان ، الإقطاع الإسلامى ، مصر ١٩٥٧ .

، مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ، القاهرة ١٩٥٩ .

عاشور ، مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٥٩ .

، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٦٢ .

، الظاهر بيبرس ، القاهرة ١٩٦٣ .

، العصر المماليكى فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٥ .

عبادة ، سفن الأسطول الإسلامى ، القاهرة ١٩١٣ .

عبد الرحمن زكى ، الأعلام وشارات الملك فى وادى النيل ، القاهرة ١٩٤٩ .

عبد اللطيف إبراهيم على ، المكتبة المملوكية ، القاهرة ١٩٦٢ .

عبد اللطيف البغدادي ، كتاب الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة.

والحوادث المعاينة بأرض مصر، القاهرة ١٢٨٦هـ .

، التحفة السنية فى أسماء البلاد المصرية ، تحقيق Moritz القاهرة ١٨٩٨ .

أبو عبد الله الحسن ، البيزرة ، وهى من تأليف بازيار العزيز بالله الفاطمى أبى عبد الله الحسن بن الحسين ، نظر وتعليق كرد على ، دمشق ١٩٥٢ .

ابن عبد الله الظاهرى ، الألطاف الخفيفة من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية، نشر وترجمة سويدية Axel Moderg, ، ط . Distribuent ، ١٩٠٢ .

ابن عبد الظاهر (محي الدين) ، سيرة الملك الظاهر ، ترجمة لحياته على يد سيدة فاطمة صادق ، ط Oxford، ١٩٥٦ .

عبد الوهاب حسن ، الإسكندرية فى العصر الإسلامى ، مجله الكتاب ، القاهرة ١٩٤٦ .

ابن عرنوس ، تاريخ القضاء فى الإسلام ، القاهرة ١٢٢٥/١٩٣٤ .

على إبراهيم ، دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٤٨ .

، مصر فى العصور الوسطى ، ط ٢ ، مصر ١٩٤٩ .

على مبارك ، نخبة الفكر فى تدبير نيل مصر ، القاهرة ١٢٩٧هـ .

، الخطط التوفيقيه ، بولاق ١٣٠٥هـ .

عماد الدين الأصفهانى ، كتاب الفتح القسى فى الفتح القدسى ، مصر ١٣٢١هـ .

، شذرات الذهب ، مصر ١٣٥١هـ .

العمرى بن فضل الله ، التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة ، ١٣١٢هـ/١٨٩٢ .

أبو الفدا ، المختصر فى أخبار البشر ، الجزء الرابع ، القاهرة ١٣٢٥هـ .

ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، أجزاء ٧—٩ ، تحقيق زريق وعز الدين ، بيروت ١٩٣٦—١٩٤٢ .

ابن أبى الفضائل (مفضل) ، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، انظر .. Pat. Or. t,XII, Fasc 3. Paris, 1911-1913.

فكرى (أحمد) ، المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها ، الإسكندرية ١٩٦٣ .

القلقشندى ، ضوء الصبح (مختصر لصبح الأعشى) ، القاهرة ١٣٢٤/ ١٩٠٦ .

، صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، ١٤ جزءاً ، ط . دار الكتب ، ١٩١٣—١٩١٩ ، وطبعة ثانية (اعتمدنا عليها) ، وترجمة Wüstenfeld ، بعنوان :

Die Geographie... Gottingen, 1879.

الكندى ، الولاة والقضاة ، تحقيق Guest ، ط . London ، ١٩١٢ .

كولتون ، عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة ، ترجمة وتعليق جوزيف نسيم ، القاهرة ١٩٦١ .

لينبول ، سيرة القاهرة ، ط ٢ ، ترجمة إلى العربية .

ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، جزءان ، القاهرة ١٩٥٣ — ١٩٥٥ .

، تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٣ .

، الناصر صلاح الدين ، ط ٢ ، بيروت ١٩٦٧ .

الماوردى ، الأحكام السلطانية ١٣٢٧/١٩٠٩ .

متز ، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة فى الإسلام ، ترجمة من الألمانى بعنوان Die Renaissance des Islams ، ط ٢ .

المحمصانى ، فلسفة التشريع فى الإسلام ، بيروت ١٣٦٥ هـ .

محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى ، ١٩٤٧ .

المقريزى ، رسالة النقود الإسلامية ، قسطنطينية ١٢٨٢ هـ .

، البيان والإعراب عمّا فى أرض مصر من الاعراب ، تحقيق Wust ، ط Gottingen ، ١٩٤٧ .

، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٤٧ .

، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، حقيقة زيادة ، وترجم بعض أجزائه مع تعليقات Quatremère ، بعنوان :

Histoire des Sultans Mamelouks de l'Eypte I. I. Paris, 1877; I, 2, 1840; II, I. 1842, II, 2, 1845
كما ترجم Blochet بعض أجزائه فى : Revue de l'Orient, Latin. Vol VI, VIII, IX. Paris, 1908.

، الخطط المقريزية ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .

وترجمة لبعض أجزائه من : Bouriant و Casanova و Griveau و Wüstenfeld .

مصنف مجهول [الأسلحة فى عهد صلاح الدين] ، نشرها وترجمها Cahen ، بعنوان :

Un traité d'armurerie. B. E. O, t X .., années 1947-8, p. 103-163.

ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، تحقيق سوريال عطية ، مصر ١٩٤٣ .

مؤلف مجهول ، تاريخ سلاطين المماليك ، نشر Zetterestéen ، London ، ١٩١٩ .

ابن ميسر ، تاريخ مصر ، تحقيق Massé ، القاهرة ١٩٥٩ .

ناصر خسرو ، سفرنامة ، تحقيق الخشاب ، ط ١ ، القاهرة ١٩٤٥ .

النعمان بن حيون ، دعائم الإسلام ، تحقيق فيظى ، القاهرة ١٩٥١ .

ابن هذيل ، كتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان ، تحقيق وتعليق عبد الغنى ، دار المعارف .

واصف بطرس غالى ، تقاليد الفروسية عند العرب ، ترجمة أنور لوقا ، القاهرة .

وليم ميور ، تاريخ دولة المماليك فى مصر ، ترجمة محمود عابدين وسليم حسن ، ١٩٢٤ .

ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ أجزاء ، القاهرة ١٩٠٦ .

يحيى بن سعيد ، تاريخ ، أو صلة تاريخ أوتيخا (P.O.) ، الجزء ١٩٠ .

يونس ، خيال الظل ، المكتبة الثقافية ، عدد ١٣٨ ، أغسطس ١٩٦٥ .

(ج) المراجع الإفرنجية

Abdel Rahman Zaki : Military Literature of the Arabs, Cah. d'hist. ég. Série, VII, Fasc 3. Juin, 1955, p. 149 sqq.

Abel : Le Khalife, présence Sacrée. S. I., 1957. pp. 29-45.

Ali Bahgat : Les Forêts en Egypte. M. I. ég. Le Caire, 1900.

Amedroz : The Mazalim Jurisdiction in Ahkâm Sultaniyya. J. R. A. S. July, 1911,

Artin Pacha : Un Sabre de l'emir Esbek el Yussufi el Zahery in B. I. E. année 1898, 3e Série, No. 9, pp. 249-259,

: Contribution à l'étude du Blason en Orient. London, 1902.

: Les Armes de l'Egypte aux XVe et XVIe Siècles, in B. I. E. 1906; publ. 1907, pp. 87-96.

Ashtor—Strauss : Prix et Salaires à l'époque mamlouke R.E.I, XV. 1949.

Ayalon : L'Esclavage du Mamelouk. Jerusalem, 1951 (Oriental Notes and Studies).

: Le régiment Bahriyya. R. E. I. 1952, p. 133 sqq.

: Studies on the Mamluk Army. BSOAS XV-XVI (1953-1954).

: Gunpowder and Fire-arms in the Mamluk Kingdom. London, 1956.

: The System of Payment in Mamluk Military Society. Journal of the Economic and Social History of the Orient I (1957-58), (JESHO) pp. 3 ,; 257—296.

Becker : Die Entstehung. von ʿUshr und Charagland in Aegypten Zeitschrift fur Assyriologie, 1903.

Björkmann : Beiträge zur Geschichte der Staatskanzlei im islamischen Aegypten. Hambourg, 1928.

Bloch : Le problème de l'or au moyen âge. Ann. d'Hist. Econ. et Sociale, IV, 1933.

Cahen (C) : Quelques aspects de l'administration égyptienne médiévale. Vus par un de ses fonctionnaires. Bull. de la F. des Lettres de Strasbourg. Fév, 1948.

: l'histoire économique et sociale de l'Orient musulman médiéval. S. I. t3, 1955, pp. 93-115.

: Le régime des impôts dans le Fayyûm ayyûbide. Arabica, Jan, 1956. Fasc I, p. 8 sqq.

: L'évolution de l'Iqtâʿ du IXe au XIIIe siècle. Extrait. Paris. Annale, E.S.C, 1953.

Cambridge Medieval History vol : III, IV, V. Cambridge, 1936.

Canard : Une lettre du Sultan Malik Nasir Hassan. in Annales de l'Inst. d'Et. Or. Alger, 1937, t3, p. 35 n (1),

: Textes relatifs à l'emploi du feu grégeois chez les Arabes. Bull. des Etudes Arabes No. 26. Jan-Fev. 1946, pp. 3–7.

: Le Cérémonial fatimide et le cérémonial byzantin. Essai de comparaison. Byzantion, XXI, 1951, pp. 355-420.

Carman : A History of firearms from earliest times to. 1914. London, 1955.

Casanova : Histoire et description de la Citadelle du Caire. M. M. A. F, t. VI, Fasc. 4; 5 p 509 sqq. Paris, 1894; 1897, p. 535sqq.

Clerget : Le Caire. Etude de géographie urbaine et d'histoire économique. Vol 2. Le Caire, 1939.

Colin : Contribution à l'étude des relations diplomatiques entre les Musulmans d'occident et l'Egypte, au XVe siècle. Le Caire, 1935.

Combe : Les Sultans Mameloukes Ashraf Chaaban et Ghoury à Alexandrie. Bull. de la Soc d'Archéol. d'Alex, 1936.

Creswell : Archaelogical Research in the Citadel of Cairo. Publ. in the Bull. de l'Inst. F. d'Arch. Or au Caire, 1924.

Darrag : L'Egypte sous le règne de Barsbay. Damas, 1961.

Daumas : Principes généraux du cavalier arabe. Paris, 1854.

Dean : Handbook of Arms and Armor, European and Oriental. 4ed. New York, 1930.

De Bouard : l'évolution monétaire de l'Egypte Médiévale. R. Soc. Econ. Polit, etc. Le Caire, 1939, pp. 427, 459.

De Sacy : Chrestomathie arabe ou extraits de divers écrivains, tant en prose qu'en vers. 2èd Paris, 1806.

Dozy : Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes. Amesterdam, 1845.

: Supplément aux Dictionaires arabes 2. vols. Leyden, 1881.

Demmbynes : La Syrie à l'époque des Mamelonks. Paris, 1923.

: Le Voile de la Ka'ba. Stv. Isl. II Paris, 1954, p. 5 sqq.

Devonshire : Rambles in Cairo.3ed.

D'Obsson : Des Peuples du Caucase. Paris, 1828.

Dopp. : Le Caire vu par les voyageurs Occidentaux du Moyen Age, dans Bull. de la Soc. R. de Geog. d'Eg, t 23, 24, 26, 1930-1953.

Ehrenkrantz : The Crisis of dinâr in the Egypt of Saladin. J. A. O. S. 70/3, pp. 178-194.

Ency. de l'Isl. 1éd; 2éd.

Fahmy : Muslim Sea-Power in the East Mediterranean from the Seventh to the Tenth Century. Alex.

Fischel : The origin of Banking in medieval Islam. J. R. A. S. April, 1933.

: Über die Gruppe der Kàrimî - Kaufleute" Analecta Orientalia, XIV, 1937.

: Ascensus Barcach. A Latin Biography of the Mamlûk Sultan Barqûq of Egypt: Rendred into English with an Introduction and a Commentary. Arabica. Jan, 1959, p. 57sqq.

Gibb : The armies of Saladin. Cah. d'hist. ég, Série III. Fasc, 4. Mai, 1951, p. 304-306,

; The Caliphate and the Arab States Philadelphia, 1955.

Gildemeister : Ueber Arabisches Schiffswesen. Gettingen, 1881.

(ترجمة من كتاب مجهول عن مراكب بحر الروم).

Goitein : New light on the Beginnings of the Karimi Merchants. JESHO, I, 1958.

: The Unity of the Mediterranean World in the Middle Ages. Stvdia Islamica, 1960, XII.

Guemard : De l'armement et de l'équipement des Mamaluks. Le Caire, 1926.

: Aventuriers mameluks d'Egypte. Toulouse, 1928.

Guest : Notice of Some Arabic Inscriptions on textiles at the South Kengiston Museum in J. R. A. S. 1906, p, 395.

Guest et Richmond : Misr in the Fifteenth Century. J. R. A. S, 1903, p. 791 sqq,

Hammer-Purgatall : Les ordonnances égyptiennes] sur les costumes des Chretiens et des Juifs au commencement du XIVe siècle, tirées de l'Histoire de Nouweiri in J. A. 1855, 5e sér, tv, pp. 393—396.

Hans Ernst : Die mamlukischen Sultansurkunden des Sinai- Klosters Wiesbaden, 1960.

Hartmann : Zur Vorgeschichte des Abbâsidischen Schein Chalifates von Cairo. Abhandlungen d. Deutschen Akademie der Wissenschaften Zu Berlin Phil, Hist. kl. Jgg. 1947, publ, 1950, Nr 9.).

Hasluck : Christianity and Islam under the Sultans. 2 vols. Oxford, 1929.

Hautecoeur et Wiet : Les Mosquées du Caire. 2 vols. Paris, 1932.

Herz Bey, Max : La Mosquée du Sultans Hassan au Caire. Le Caire, 1895.

: Catalogue raisonné des monuments exposés dans le Musée National de l'Art arabe. 2 éd. Le Caire, 1906.

: Armes et armures arabes (in B. I. F. A. O.), 1910, tVII, pp. 1—14.

Heyd : Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age. Leipzig. 1923.

Inostrantsev : Torjestvenrii viezd fatimidiskikh Khalifo.. Saint-Petersbourg, 1904.

Jomier : Le Mahmal et la caravane égyptienne des Pèlerins de la Mecque XIII — XX siècles.1953.

Johnson : Dict. Persian Arabic and English. London, 1852.

Jouin, Jeanne : Le Costume féminin dans l'Islam Syro-Palestinien (in Revue des Et.Islamiques, 1934. Reprinted, 1935.

Kendrick : Catalogue of Muhammadan Textiles of Medieval Period. London, 1924.

Kindermann : "Schiff" im Arabischen. Untersuchung über Vorkmmen und Bedeutung der Termini. Zwirchau, 1934.

Labib : (S. Y) "Geld und Kredit Studien zur Wirtschafts Geschichte Aegyptens im Mittelalter" JESHO, II, 1959.

Lam : Some Mamluk embroideries, in Ars Islamica, vol IV, 1937, pp. 65—76.

Lammens : Correspondances diplomatiques entre les Sultans mamelouks d'Egypte et les puissances chrétiennes. R. O.R. Chrét,1904

Lane—Poole : History of Egypt in the Middle Ages. London, 1900.

Laoust : Le hanbalisme Sous les Mamloûks Bahrides. R. des Et. Isl. T. XXVIII, 1959 p. 1—62.

Lavoix : Catalogue des monnaies Musulmanes de la Bibliothèque Nationale : Egypte et Syrie. Paris, 1887—1891.

Lévy, Reuben : Notes on Costume from Arabic S[illegible] J. R. A. S., 1935, pp. 319—338.

Lot : L'Art Militaire et les armées en Europe et dans le Proche Orient au Moyen Age Paris, 1946.

Macoir Georges : Casque au nom du Sultan Mohammed en—Nâsir, in Bull. des Musées royaux, Bruxelles. Sept, 1909.

Marino Sanuto : Diarri (Journaux des Consulats à l'époque dès Mamlûks. Venise, 1897—1903.

Martin, E. R. : A History of Oriental Carpets before 1800. Vienna, 1908.

Martin, H. : The Mongol Army, i J. R. A. S. 1943, pp. 53.

Marzouk : History of Textile industry in Alex. 1955.

Massé : Croyances et Coutumes Persanes. 2 Vols. Paris, 1938.

Mayer : Saracenic Heraldry. Oxford, 1933.

: Huit. objets inédits à blason mamluks (in Mélanges Maspero 1935, tIII, pp. 97-107

: Some problems of Mamlûk Coinage. London, 1936.

: A New heraldic emblem of Mamluks (in Ars Islamica; 1937, Vol, IV, pp. 349-351.

: New Material for Mamluk Heraldry. Jerusalem, 1937.

: The buildings of Qaytbay. London, 1938.

: The Status of the Jews under the Mamluks (in Magnes Anniversary Book 1938, pp. XXVII—XXVIII.

: Saracenic Arms and Armor (in Ars Islamica, 1943, Vol X, pp. 1—12).

: Some Remarks on the Dress of the Abbasid Caliphs in Egypt (in Islamic Culture, 1943, Vol XVII, pp, 36—38.

: Costumes of Mamluk Women (Isl. Cult, 1943, Vol XVII, pp. 298-303.

: Mamluk Costume. Genèva, 1952.

: Studies on the Structure of Mamluk Army. B. S. O. A. S., XV, 1953, p. 20sqq.

Mazahéri : Le vie quotidienne des Musulmāns au Moyen Age; Xè au XIIIè Siècles. Paris, 1951.

Mercier : La chasse et les spòrts chez les Arabes. Paris, 1927.

: Le feu grégeois. les feux de guerre depuis l'antiquité; la poudre à canon. Paris, 1952.

Michel : L'Organisation financière de l'Egypte sous les Sultans mameluks d'après Qalqachandi, in Bull. de l'Inst. d'Eg. VII, Session 1924-5. Le Caire, 1926.

Minorsky : The Middle East in Western Politics in the 13th, 14th, and 15th centuries. Reprinted from J. Roy C. Asian. Soc vol XXVII, October, 1940.

: La Perse au Moyen Age. 1956.

Moreland : The Ships of the Arabian Sea about A. D. 1500. J. R.A.S. Part I, Jan, 1939, p.63—74. Part 2. April, 1939, p. 173-192.

Munier : Précis de l'histoire d'Egypte. Le Caire 1932.

Nallino : Notes on the Nature of the Caliphate. Rome, 1914.

Nikita Elisséef : Corporations de Damas sous Nûr al-Dîn. Arabica, t3, 1956, p. 61 sqq.

Oman : A History of the Art of War in the Middle Ages. London, 1924.

Paugé von Gennep : Le ducat vénitien en Egypte. R. Num, 1897, 373—394.

Paul Balogy : Etudes numismatiques de l'Egypte musulmane. Bull. de l'Inst, d'Eg. 33; 1950-51, pp. 1-41; 34, 1951 - 52, pp. 17-55; 35, 1952-53, pp. 401-429.

Pauty : Les palais et les maisons d'époque musulmane au Caire. 1933.

Pedro Martin : Una Embajada de los Rèyes Catolicos a Egipto. Traduccim de L. Garcia Valladolid, 1947, pp. 70-80.

Pernoud (Regine) : Les Villes Marchandes aux XIVème et XVème Siècles. Préface de René Grousset, Paris, 1948.

Piloti : L'Egypte au commencement du quinzième siècle d'après le Traité d'Emmanuel Piloti de Crète (Incipit, 1420), avec une introduction et des notes par P.H. Dopp. Le Caire, 1950.

Poliak : Les révoltes populaires en Egypte à l'époque des Mamelouks et leur Causes économiques R. E. I, 1934, t VIII, p. 251-273.

: Le Caractère Colonial de l'état Mamelouk dans ses rapports avec la Horde d'Or. R. E. I, 1935, p. 231-234.

: La Féodolité islamique. R. I. S. 1936, p. 247-265.

: Some notes on the feudal System of the Mamluks J. R. A.S., 1937, p. 97—107.

: Classification of Lands in the Islamic law, in American. J of Semitic Languages, 1942.

Popper W. : Egypt and Syria under the Circessian Sultans, 1382—1468A.D. Systematic Notes to Ibn Taghri Birdi's Chronicles of Egypt. Berkeley and Los Angles California, 1955.

Prisse d'Avennes : L'art arabe d'après les monuments du Kaire, depuis le VIIe Siècle jusqu'à la la fin du XVIIIe Paris, 1877.

Quatremère : Mémoires géographiques et historiques sur l'Egypte et sur quelques contrées voisines, Paris, 1811.

: Histoire des Sultans Mamlouks de l'Egypte. Ecrite en arabe par Makrizi, traduite en Français. Paris, 1837.

Raschid El Din : Histoire des Mongols de la Perse Ecrite en Persan, publiée, traduite en Français accompagnée des notes par Quatremèr. Paris, 1836.

Ravaisse : Essai sur l'histoire et sur la topographie du Caire d'après Maqrîzî, M. M. A. F. Paris. 1887.

Reinaud : Traités de commerce entre la republique de Venise et les derniers Sultans Mamelouces d'Egypte. J A. 2ème Série t4. Paris, 1829.

: De l'art Militaire chez les Arabes au Moyen Age. Paris, 1848.

: Nouvelles observations sur le feu grégeois ext. J. A. 1852.

Reinaud et Favé : Feu Grégeois. Paris, 1845.

René Khoury : Le Caire au Moyen Age. Cah. d'hist. Eg. Série V, Fasc 5, 6, 1953.

Risler. : La civilisation arabe. Paris, 1955.

Rogers Bey : Le blason chez les princes musulmans de l'Egypte et de la Syrie. Le Caire, 1882.

Salibi : The Banû Jamâ'a Dynsaty of Shâfi'ite Jurists· Stvdia Islamica. IX. Paris, 1958, p. 97sqq.

Schefer : La relation de l'ambassade de Domenico Trevison auprès du Sudan d'Egypte en 1512· Paris, 1884.

Schmidt : Damaste der Mamlukenzeit. Ars Islamica, 1932, Vol I, pp 99—109.

Schwarzlose : Kitâb al. Silâh. Die Waffen der Alten Araber aus ihren Dichtern dargestellt. Leipzig, 1886.

Serjeant : Material for a history of Islamic Textiles. Ars. Isl. vol X—XII, 1942—6;XII —XIV 1948.

Steingass : Persian English Dictionnary.

: Observations sur le feu grégeois J.A. 1850, tXV ,pp. 214—274,

Sauvaget : Décrets Mamelouks de Syrie (Bull. d'Et. Or de l'Inst F. de Damas) t2, (1932). pp. 1-52; t3 (1933) pp. 1—29; t12 (1947—48) pp. 5—60.

: Cinq blasons mamelouks inédits. J. A., tCCXXVII (1935) pp. 300—305.

: Carvansérails Syrien du Moyen-âge II, Carvansérails Mamelouks. Röprinted from Vol VII, p. 1. of ARS. Islamica, 1940.

: La poste aux Chevaux dans l'empire des Mamelouks. Paris, 1941.

: Noms et surnoms de Mamelouks. J. A. t CCXXVIII (1950) pp. 31—58.

Sauvagèt et Wiet et Combe : Répertoire chronologique d'épigraphie arabe. Le Caire, 1931. sqq.

Sauvaire : Matériaux pour servir à l'hist. de la numis et de la métrol musul, Paris, 1882.

Schwarzlose : Kitâb al-Silâh, die Waffen der alten Araber aus ihren Dichtern dargestellt. Leipzig, 1886.

Stöcklein Hans : Die Waffenschatze im Topkapu Saryi. Müzes zu Istambul. Ars Islamica vol 1 part 2, 1934, p. 200—218.

Syedah Fatima : Baybars 1 of Egypt. Oxford, 1956.

نشر مخطوطة اللآلئ الظاهرية المتحف البريطاني مع مقدمة .

Syed Sulaîmân : Arab Navigation. Isl. Cult. vol XV. October 1941; Vol XVI, 1942.

Tyan : Histoire de l'organisation Judiciaire en Pays d'Islam. 2 Vols. Paris, 1938-1943.

: Le Califat. Paris, 1954.

: Instituions du droit public musulman Tome II. Sultanat et Califat. Paris,1957.

Tassy : Mémoire sur les noms propres et lès Titres Musulmans. 2éd, Paris, 1878.

Umberto Rizzitanò : Les Monuments islamiques d'Egypte vus par quelques voyageurs italiens. Cahiers Série IV.Fasc. 5-6 Dec, 1952, p. 275 sqq.

Van Berchem : La propriété Tarritòriale et l'impôt foncier. Genève, 1886.

: Matériaux pour un Corpus Inscripi onum Arabicarum. Le Caire, 1903, t19. Egypte lère; II Syrie du Nard (de Sobernheim); III, Syrie du Sud (éd. Wiet).

Wiel : La Tourkmanie et lès Tourkmènes. Paris, 1880.

: Sultan Nassir : Fragment del'Histoire des Sultan Mamlouks d'Egypte. S. d.

Wiet : Les Sécretaires de la Chancellerie (Kuttâb-el - Sirr), en Egypte sous les Mamlouks circassiens. Paris, 1923.

: Une Inscription du Sultan Djakmak. B. I. E. t XXI, 1938-1939.

: Les Marchands d'épices sous les Sultans Mamlouks. Cah. d'hist. Série VII.Fasc 3. Juin, 1955.

: Tapis égyptiens. Arabica Jan. 1959. Fasc, I, tV.I. p. Isqq.

Zananiri : L'Egypte et l'équilibre du Levant au Moyen Age (637-1517). Marselle, 1936.

A. M. MAGUED

Professeur de l'Histoire Islamique

A

La Faculté des Lettres

Et

Directeur du Centre des Etudes de Papyrologie

Université de Ain Shams

INSTITUTIONS ET CEREMONIAL DES MAMELOUKS EN EGYPTE

Deuxième Edition

TOME II

Le Caire, 1982

Librairie Anglo-Egyptienne

Tél. : 914337